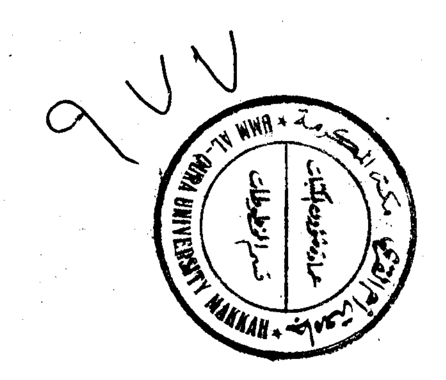
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة
بمكة المكرمة

دور اليهود في إفساد العقيدة الإلهية
والآثار التي ترتبت على ذلك

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد
حسن محمد إبراهيم

إشراف
الأستاذ الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني



١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

(مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي ٱلدِّينِ)

(النساء : ٤٦)

(لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ)

(آل عمران : ١٨١)

(ٱتَّخَذُوٓا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)

(التوبة : ٣١)

(يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ)

(آل عمران : ١٠٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلامضل له ، ومن يضلل فلاهادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وصلاة الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه وإخوانه أجمعين إلى يوم الدين .

أما بعد ، فقد كان من نعم الله على هذه الأمة أن بعث فيها رسولا من أنفسها يتلو عليها آيات الرحمن ، ويبين لها طريق الهداية والرشاد من طريق الغي والضلال ، ليخرجهم من الظلمات إلى النور .

وقد أنزل الله على هذا الرسول كتابا يحمل فى طيه نورا وهدى .

قال اللــه تعالى :

(... قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) (١)

وقال عز وجل :

(هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وان الله بكم لرؤف رحيم) (٢) .

وقال جل جلاله :

(الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد) (٣)

---

(١) المائدة : ١٦ .

(٢) الحديد : ٩ .

(٣) ابراهيم : ١ .

وقال عز من قائل :

(رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور) . (١)

وهكذا أنزل الله هذا الكتاب لهداية الثقلين من الإنس والجن وليخرجهم من عبادة الأوثان والأصنام إلى عبادة الرحمن وخالق الأنام ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

وقد بلّغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الرسالة إلى النّاس وأدّى الأمانة ونصح الأمة ، وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك . وقد علم أصحابه مايهمهم فى شؤونهم الدينية والدنيوية ماقل منها وماكثر ، كماجاء ذلك فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم فى صحيحه ، حيث روى عن عبد الرحمن بن يزيد عن سلمان أنه قال : " قيل له : قد علمكم نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شئ حتى الخراءة ؟ قال : فقال : أجل ، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول ، أو أن نستنجى باليمين ، أو أن نستنجى بأقل من ثلاثة أحجار ، أو أن نستنجى برجيع أو عظم " . (٢)

ودعا أهل الكتاب إلى ذلك ، وإلى كلمة سواء بأوضح برهان وأفصح بيان .
قال تعالى حكاية عن ذلك :

(قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) . (٣)

---

(١) الطلاق : ١١ .

(٢) فى كتاب الطهارة : ٥٧ ، ٥٨ .

(٣) آل عمران : ٦٤ .

ثم اعتنق هذا الدين رجال حملوا راية الدعوة الإسلامية ونشروها بين الناس ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، لا يخافون فى الله لومة لائم ، فنصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتشر الإسلام بفضل الله ثم بفضل جهود أولئك الأبرار فى أنحاء المعمورة ، وبسط سلطانه على وجهها .

هذا وقد لفت نظرى وأثار إهتمامى فى أثناء دراستى فى السنة المنهجة وخاصة مادة " مقارنة الأديان " الدور الذى قام ويقوم به اليهود فى إفساد العقيدة الإلهية ، والذى قد يستحيل على عقل الإنسان أن يصدقه وصدق الله العظيم إذ قال :

(ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق) . (١)

وإذ قال جل جلاله :

(لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدنَّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) . (٢)

دأب اليهود منذ القدم يعملون التهديم ، وتحريف مفاهيم العقيدة ومحاربة الدين . لقد قاوموا الإسلام وانتشاره منذ أن جاءهم ، إلا قلة قليلة منهم ، وأعنى الإسلام هنا الدين المقبول عند الله عز وجل .

ولم يأت إليهم نبى من الأنبياء إلا آذوه ، إما بالقول ، وإما بالفعل ويسلكون فى ذلك كل سبيل يرون أنه يوصلهم إلى مطلوبهم . وكان أول -

---

(١) البقرة : ١٠٩ .
(٢) المائدة : ٨٢ .

الأنبياء الذين آذوهم إيذاء شديدا هو نبى الله موسى عليه السلام ، لقد حاربوه وآذوه وافتروا عليه .

فكانوا إذا قال لهم : آمنوا بالله ، قالوا : " لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة " . ولما قال لهم : جاهدوا فى سبيل الله ، وادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ، قالوا له : (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) . وإذا مروا على قوم يعبدون أصناما قالوا له : (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) . ولأجل ذلك أمر الله المؤمنين بمحمد خاتم الأنبياء والأنبياء جميعا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن لا يحذوا حذو أولئك المفسدين إذ قال سبحانه وتعالى :

(يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ، وكان عند الله وجيها) . (١)

ولما انتهى عهد موسى عليه السلام ، ومرت عليهم أربعون سنة يتيهون فى الأرض ، دخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لهم بقيادة يوشع عليه السلام ، وأمرهم الله عندها على لسان نبيهم بأن يدخلوا باب المدينة ساجدين شكرا لله تعالى على ما أنعم عليهم من الفتح والنصر - وبأن يقولوا " حطة " أى احطط عنا خطايانا ، لما أمرهم الله بذلك رفضوا إمتثال أمره سبحانه وتعالى ، فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم ، وقالوا حبة فى شعيرة أو حنطة فى شعيرة ، بدل من أن يدخلوا الباب ساجدين شاكرين لله تعالى ، وقائلين : اغفر لنا خطايانا .

لقد استمرت محاربة اليهود للعقيدة الإسلامية ولأصحابها على هذا المنوال ، فهم يحبون الفساد فى الأرض ، ويسعون فى انتشاره ، هذه

---

(١) الأحزاب : ٦٩ .

هى سجيتهم ، عرفنا بها القرآن الكريم ، وأوضحتها لنا سنة محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلمتنا التجربة معهم عبر تاريخهم الطويل ، أن إفسادهم قديم وحديث ، قديم لأنه بدأ من زمن بعيد فى تاريخ الحياة وحديث لأنه مازال مستمرا ، وقد يبقى مستمرا مع استمرار البشرية وبقاء حياتها إلى ماشاء الله ، لأن عداوتهم هذه متأصلة ومتمكنة فى نفوسهم (ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين) .(١)

هكذا يؤكد القرآن ، كما يؤيد ذلك الواقع الذى نعيشه اليوم .

من أمثلة إفسادهم فى العقيدة ، أنهم نسبوا إلى الله الولد إذ قالوا : (عزيز ابن الله) (٢) وإذ قالوا : (نحن أبناء الله وأحباؤه) .(٣) وأنهم نسبوا إليه الفقر إذ قالوا : (إن الله فقير ونحن أغنياء) (٤) وزعموا أنه بخيل حين قالوا : (يد الله مغلولة) (٥) وهو كناية عن البخل . ومن أمثلة ذلك إنتهاكهم حقوق الأنبياء ، وهو ما قصه الله علينا بقوله :

(لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا ، كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) .(٦)

وهل هناك فساد أكبر من هذا الفساد ، تكذيب بعض الأنبياء وقتل بعضهم . إنهم قتلوا نبى الله زكريا وابنه يحيى عليهما السلام . وجاء فى الحديث

---

(١) المائدة : ٦٤ .
(٢) التوبة : ٣٠ .
(٣) المائدة : ١٨ .
(٤) آل عمران : ١٨١ .
(٥) المائدة ٦٤
(٦) المائدة : ٧٠ .

أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار فى ساعة واحدة : فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عبادهم ، فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر ، فقتلوا جميعا من آخر النهار فى ذلك اليوم . ذكر هذا ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١) ، كما أنهم حاولوا قتل نبى الله عيسى عليه السلام ، ثم أخيرا حاولوا قتل خاتم النبيين وإمام المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم مرارا مرة بالقتل ، ومرة بالسحر ، ومرة بالسم .

كان هذا هو عملهم مع أنبياء الله ورسله والصالحين من عباده ، ولم يتخلف عن هذا الإجرام إلا قلة قليلة منهم .

وهكذا كان اليهود ، وهكذا يكونون إلى ماشاء الله .

إنهم هم الذين أوجدوا " بولس " الذى نسخ الديانة المسيحية وحولها من كونها ديانة توحيد إلى ديانة وثنية ، حتى صار معتقدوها وثنيين . وهم الذين زرعوا فى قلب العالم الإسلامى "عبد الله بن سبأ " الذى قام بدوره بتأسيس المذاهب الباطنية فى وسط المجتمع الإسلامى ، حتى كادت تلك المذاهب أن تزيل العقيدة الإلهية من قلوب المسلمين ، لولا فضل الله على المسلمين بحفظ كتابهم الذى هو خير حارس لعقيدتهم .

إن مجال بحث دور اليهود فى إفساد العقيدة الإلهية ، ومحاولاتهم التى قاموا بها فى ذلك مجال معقد وشائك بالنظر لما يكتنفه من غموض وتشعبات ، ولما يحيط به من سرية تامة ، وأخذ ورد ولكن مع ذلك فلدينا أمور جلية لا تخضع لتلك الظروف السرية ، فقد أظهر الله عيوب هؤلاء القوم ، وكشف أخطارهم لعباده المؤمنين .

---

(١) انظر جامع البيان ٢/٢١٦ .

إن مانشهده اليوم أو أكثره فى العالم الإسلامى من تحريف وتبديل للحقائق الدينية لها علاقة باليهودية العالمية . من ذلك الفرق الباطنية مع تنوع تسمياتها والتى جعلت لكل مصطلح إسلامى معنيين أو أكثر : معنى ظاهر ومعنى باطن ثم معنى باطن الباطن ، وكان هدفهم من وراء ذلك الغاء معانى المصطلحات الإسلامية ، حتى يتسنى لهم إفساد الشعائر الدينية ، وأرى أن أكثر الأفكار المعادية للإسلام وراءها يهود ، إما بطريق مباشر أو عن طريق عملائهم الذين يستخدمونهم فى قلب العالم الإسلامى .

إن من أنعم النظر فى الحوادث المعاصرة على ضوء الماضى يقرر أن هناك ارتباطا عظيما وتشابها واضحا بين ماحدث بالأمس وبين مايحدث اليوم ، وإن اختلفت الشعارات والمسميات .

ومما لا شك فيه أن اليهودية العالمية بعد ماقامت بتقويض العقيدة الصحيحة وتهديمها (بإفساد كثير من عقائد بعض المسلمين) ، قامت أيضا بتقسيم البشرية إلى معسكرات متنابذة متناحرة ، تتصارع فيمابينها بشكل جنونى يرثى له ، وبث السموم والشقاق والنزاع داخل الأسرة الواحدة ، والبلد الواحد ، وأشاعت الحقد والبغضاء بين أبناء الدين الواحد حتى تتقوض جميع مقومات المجتمع العقدية والأخلاقية .

قال الشيخ عبد الرحمن حبنكة: « لولا أن الإسلام حق بذاته مؤيد بتأييد الله محفوظ بحفظه ، لم تبق منه بقية ، تصارع قوى الشر فى الأرض التى ماتركت سبيلا من المكر به إلا سلكته ، ولا سببا لا طفاء نوره إلا أخذت به ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين(1) » . (٢)

---

(1) الأنفال آية ٣٠ .

(٢) مكايد يهودية عبر التاريخ لأستاذ عبد الرحمن حسن الميدانى ص ٣ .

"سبب إختياري هـذا الموضـوع"

مع كون هذا الموضوع موضوعا عويصا وخطيرا في نفس الوقت فقد اخترته أن يكون موضوع دراستي وبحثي لأسباب منها :

١ - أنه لما كنت في السنة المنهجية كان مقررا عليّ مادة "مقارنة الأديان" . وقد لفت نظري وأثار إهتمامي - كماسبق أن ذكرت - أثناء دراستي لتلك المادة "دور اليهود في إفساد العقيدة الإلهية وكنت أشعر في نفسي أنه ينبغي دراسة هذا الموضوع دراسة شاملة وعميقة ، واعتقدت أن هذا ربما يكون واجبا على نفسي نحو ديني وأمتي ، وأنه من الخير أن أتتبع دور هؤلاء في هذا المجال حتى أصل إلى معرفة حقيقية مايكيدون للإسلام من خيانة ومؤامرة .

٢ - أن هذا الموضوع لم يكتب فيه - على حد علمي - مافيه الكفاية وبشكل مفصل وشامل ، إذ أن كتب الأديان التي تناولت هذا الموضوع كانت تبحث عن بعض جوانبه ، وبعض القضايا في العقيدة من غير إيراد أسباب إنحراف اليهود عن العقيدة الإلهية،فأحببت أن أحاول تحقيق ذلك بالتفصيل المطلوب والشافي للغليل ، وكنت أرجو أن يوفقني الله إلى ذلك .

٣ - اعتقاد بعض الناس أن ماينسب إلى اليهود من إفساد وتحريف ليس بصحيح ، وأن ذلك دعاية لليهودية العالمية . وقد شغلتني هذه الفكرة خلال دراستي مادتي "مذاهب فكرية معاصرة و "مقارنة الأديان" . فأردت أن أصل إلى الحقيقة ، وخاصة مايتعلق في جانب العقيدة ، وأن أبطل ذلك الزعم ، وأرد على أولئك المتشككين

الذين لم يقفوا على الحقيقة الأصلية ، ولم يدركوا ماتكنه اليهودية العالمية للعالم الإسلامى .

نعم إن إسناد كل صغيرة وكبيرة ممايحدث فى العالم من إفساد إلى اليهود ليس بصحيح ، كمافعل صاحب كتاب " أحجار على رقعة الشطرنج " حيث زعم أن كل جريمة وقعت على وجه الأرض وراءها يهود فهذا فيه مبالغة لا يقبلها العقل ، ولكن الذى لا شك فيه أنه أكثر ماحدث فى الأرض من إفساد سببه اليهود ، سواء أكانوا فيه سببا مباشرا أو غير مباشر ، وخاصة مايتعلق بالعقيدة الإلهية .

هذا وقد اعترضتنى بعض الصعوبات فى خلال بحثى ودراستى لهذا الموضوع ، ولم أستطع التغلب عليها ، منها :

أولا : قلة المصادر ، أو المراجع الكافية التى تقدم للدارس النظرة الإسلامية بشكل واسع ومفصل ، ويلاحظ القارئ هذا عند قراءته الفصل الأخير من الباب الأول ، وقد مكثت فى هذا الفصل أدرس وأبحث فيه قرابة أربعة أشهر ، ومع ذلك فإنى أرى أنى ماحققت ماكان يجول فى خاطرى ، وماكنت أتمناه وأرمى إليه .

ثانيا : عدم معرفتى باللغة الأجنبية معرفة تمكننى من الاطلاع على المصادر التى كتبت بها والاستفادة منها ، وهو الأمر الذى حال بينى وبين تلك المراجع الأجنبية ، وهذا لم يكن أمرا هينا بالنسبة إلىّ .

كيف سار هذا البحث

وقع البحث فى أربعة أبواب ، إضافة إلى مقدمة وخاتمة .

الباب الأول

موضوعه ، اليهود وتحريفهم لما جاء به موسى عليه السلام .

وجعلته على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : أثبت فيه نظرة عامة حول العقيدة ، وفي هذا الفصل سبعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف العقيدة لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني : تحدثت فيه بصورة إجمالية عن العقيدة الإلهية التي جاء بها الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وبينت فيه أن العقيدة الإلهية منذ آدم أبي البشر عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها هي عقيدة واحدة ، وهي عقيدة الإسلام (أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره) (١) . وأن أصل الدين واحد وان اختلفت الشرائع والفروع (إن الدين عند الله الاسلام) . (٢)

المبحث الثالث : ذكرت فيه عقيدة بني إسرائيل الأولى التي جاء بها موسى عليه السلام ، وأوضحت في هذا المبحث أن العقيدة التي جاء بها موسى عليه السلام كانت هي الأخرى عقيدة إسلامية ، وليست التي يعتنقها اليهود اليوم .

المبحث الرابع : عرضت فيه إنحراف اليهود عن هذه العقيدة الصحيحة بعد وفاة موسى عليه السلام .

المبحث الخامس: ذكرت فيه عبادتهم للعجل الذى صنع لهم السامرى .

---

(١) المؤمنون : ٣٢ .
(٢) آل عمران : ١٩ .

المبحث السادس : تحدثت فيه عن التوراة عند اليهود وعند والنصارى وعند المسلمين .

المبحث السابع : تعرضت فيه لتحريفهم التوراة ، وبينت أعمال أحبارهم فى كلام الله عز وجل ، وكيف أنهم غيروا وبدلوا بعدما عقلوا وهم يعلمون . وضربت لذلك أمثلة فيمايتعلق بذات الله سبحانه وتعالى ، ومايتعلق بعصمة الأنبياء ، وأوضحت أن تحريفهم هذا كان مقصودا ومتعمدا ولم يكن عن غفلة ونسيان .

الفصل الثانى : أثبت فيه العوامل النفسية لإنحراف اليهود العقدى وقسمت هذا الفصل إلى سبعة مباحث أيضا :

المبحث الأول : ذكرت فيه تأثرهم بالوثنية الفرعونية وعقائدها .

المبحث الثانى : تعرضت فيه لحسدهم المفرط الذميم الذى أعمى أبصارهم وغشى على قلوبهم .

المبحث الثالث : تحدثت فيه عن حبهم الشديد للمال ، وذكرت أن ذلك كان سببا لمعظم إنحرافاتهم .

المبحث الرابع : ذكرت فيه رغبتهم الشديدة فى الفسق والفجور والعصيان .

المبحث الخامس : تكلمت فيه عن حبهم الشديد للحياة الدنيا ، وتعلقهم بها ، وكيف أن ذلك أفسد عليهم الإيمان باليوم الآخر ، يوم الحساب والجزاء .

المبحث السادس : أثبت فيه عقدة الاستعلاء عند بنى إسرائيل على البشرية جمعاء .

المبحث السابع : تكلمت فيه حول نشأة فكرة الغلو فيهم ، وفكرة أنهم شعب الله المختار .

الفصل الثالث : ذكرت فيه اختلاف فرق اليهود حول قضايا اعتقادية .

وتعرضت فيه لأهم فرقهم وهو :

الفريسية ، والصدوقية ، والسامرة ، والعنانية . وبينت فيه اختلافهم فيمايتعلق بالعهد القديم وأسفار التلمود ، والأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، ومايتعلق بمسائل القضاء والقدر ومايتعلق بمسائل البعث والنشور ، والحياة الأخرى ، ومايتعلق بقضية عصمة الحاخامات ، واعتبار أقوالها وحيا من الله تبارك وتعالى أم لا وكذلك ذكرت اختلافهم حول المسيح المنتظر ومجيئه .

وقد واجهتني في بحث هذا الفصل صعوبات كثيرة ، وأهمها -كما أشرت إليه سابقا - قلة المصادر .

الباب الثاني :

وقد تحدثت فيه عن إفساد اليهود العقيدة المسيحية .

وجاء هذا الباب في فصلين :

الفصل الأول : ذكرت فيه العقيدة التي أنزلت على عيسى عليه السلام وبينت فيه أنها كانت عقيدة إسلامية ، وأن دعوة عيسى عليه السلام كانت دعوة توحيد ، وأنه كان عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وليس كمايزعمه النصارى أو يعتقدونه فيه وفي أمه .

وجعلت هذا الفصل في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تحدثت فيه عن إنحراف بني إسرائيل عن العقيدة الصحيحة قبل عيسى عليه السلام .

المبحث الثاني : ذكرت فيه العقيدة التي جاء بها عيسى عليه السلام ودعا إليها .

المبحث الثالث : تعرضت فيه لموقف بنى إسرائيل من دعوة عيسى عليه السلام .

الفصل الثانى : تحدثت فيه عن المسيحية بعد عيسى عليه السلام ووزعت هذا الفصل إلى أربعة مباحث :

المبحث الأول : ذكرت فيه العقيدة فى عهد الحواريين رضوان الله عليهم جميعا ، وبينت فيه أن عهدهم كان إمتداد لعهد المسيح عليه السلام .

المبحث الثانى : تحدثت فيه عن شاول "بولس" اليهودى وتحريفه عقيدة المسيحيين ، وكيف أنه أخرجها من العقيدة الإلهية إلى العقيدة الوثنية .

المبحث الثالث: تكلمت فيه عن الإمبراطور الرومانى "قسطنطين" وأخذه بفكرة بولس بعد إعلانه الدخول فى النصرانية ، وبينت إرساءه القواعد النصرانية ، وخاصة نصرانية بولس وعقيدته الوثنية .

المبحث الرابع :تعرضت فيه لمجمع نيقية ، وماجرى فيه من قرارات وتوصيات من قبل وفود الكنائس .

الباب الثالث

فى هذا الباب تعرضت لمحاولات اليهود إفساد العقيدة التى جاء بها خاتم النبيين والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم . وجعلته على فصلين :

الفصل الأول : تحدثت فيه عن محاولاتهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وماقاموا به من فتن وتشكيك لبلبلة أفكار المسلمين وإضلالهم ومحاولتهم فتنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بعض ماأنزل الله عليه عليه ، وضربت لذلك أمثلة .

الفصل الثانى : ذكرت فيه محاولاتهم إفساد العقيدة الإلهية بعد عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحدثت فيه عن محاولاتهم فى عهد عثمان وعلى رضى الله عنهما ، وماتلى بعد ذلك من أحداث .

ووزعت الفصل إلى مبحثين :

المبحث الأول : تحدثت فيه عن "عبد الله بن سبأ" ودوره فى محاولة إفساد عقيدة المسلمين ، وبينت فيه يهوديته ، وأنه من ثمرة بطن اليهودى من حيث المبدأ .

المبحث الثانى : تعرضت للفرق الباطنية ودورها فى محاولة إفساد العقيدة الإلهية ، كما بينت عقائدها الفاسدة فيه ، وأوضحت اعتقاداتهم فى التوحيد ، والنبوات ، والمعاد ، والجنة ، والنار ، والقرآن ، والإمامة ، والظاهر والباطن .

الباب الرابع

موضوعه الأثار التى ترتبت على إفساد اليهود العقيدة الإلهية ونشر الإلحاد والكفر بالله واليوم الآخر .

واشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تعرضت فيه للأثار التى ترتبت على إفساد اليهود لعقيدتهم وتحدثت فى هذا الفصل عن كفرهم بالله سبحانه وتعالى ، وكفرهم باليوم الآخر ، وإفسادهم فى الأرض ، وقسوة قلوبهم ، وعدم انتفاعهم بهدى الله سبحانه ، وضرب الذلة عليهم ، وطردهم من رحمة الله أخيرا ، وجعلت ذلك فى سبعة مباحث .

الفصل الثانى : تعرضت فيه للأثار التى ترتبت على إفساد اليهود العقيدة المسيحية ، وجعلته على مبحثين :

المبحث الأول : أوضحت فيه كيف أن النصارى كفروا بالله عز وجل نتيجة تحريف اليهود عقيدتهم .

المبحث الثانى : ذكرت فيه اتخاذهم رهبانهم أربابا من دون الله نتيجة لتلك التحريفات .

الفصل الثالث: تحدثت فيه عن الآثار التى ترتبت على محاولات اليهود إفساد العقيدة الإسلامية التى جاء بها خاتم الأنبياء صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين ، وجاء هذا الفصل فى مبحثين ثم خاتمة الرسالة .

المبحث الأول : الإسرائيليات وأثرها فى تفسير كلام الله عز وجل .

المبحث الثانى : ذكرت فيه تخلف المسلمين عن موكب الحياة نتيجة لتلك المحاولات .

الخاتمة

تحدثت فيها عن وجوب عودة المسلمين إلى العقيدة الصحيحة والسليمة ومايجب عليهم فى هذا العصر حتى يستطيعوا الوقوف أمام أعدائهم الذين يريدون إطفاء نور الله بأفواههم ، وحتى يستردوا مافقدوه من عزة وكرامة ولم أتعرض فى الخاتمة لذكر نتائج البحث كما هو فى العادة ، لأن ذلك يغنى عنه ماذكرته فى الباب الأخير من الرسالة .

« هذا وان أملى فى الله عز وجل كبير فى أن أكون قد وفيت هذا الموضوع حقه من العناية والبحث ، وكل ماأرجوه من الله عز وجل هو أن يتقبل منى هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع بهذه المحاولة المتواضعة من يسلك هذا الطريق من بعد لنصل إلى حقيقة من حقائق الأعداء »

وإنى أتوجه بالطاعة والشكر لله رب العالمين الذى وفقنى لإتمام هذه الرسالة وأعاننى عليه ، والشكر لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا ، فهو الأول -

الذى ليس قبله شئ ، والآخر الذى ليس بعده شئ ، والظاهر الذى ليس فوقه شئ ، والباطن الذى ليس دونه شئ ، وهو بكل شئ عليم وبفضله تتم الصالحات .

وإنى أشكر من بعده المسئولين فى الجامعة وعلى رأسهم الدكتور راشد بن الراجح الشريف مدير الجامعة .

كما أشكر القائمين على عمادة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية .

كما أتوجه بالشكر الجزيل الى أستاذى فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنك الميدانى المشرف على هذه الرسالة على الرعاية والعناية التى شملنى بها ، والتوجيهات المفيدة التى أرشدنى إليها ، ولقد قام فضيلته بدور كبير لاخراج هذه الرسالة إلى حيز الوجود حيث إنه أعطانى كثيرا من وقته الثمين ، وقد أحسن فى ذلك جزاه الله خيرا .

كما أتوجه بالشكر إلى كل من قدم لى مساعدة .

جزى الله هؤلاء جميعا عنى وعن المسلمين خير الجزاء إنه سميع مجيب الدعاء .

ومنه أستلهم العون والسداد فهو ولى التوفيق والقادر على كل شئ .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين ،،،،،،،،،

حسن محمد ابراهيم

الباب الأول

اليهود وتحريفهم لما جاء به موسى عليه السلام .

الفصل الأول : نظرة عامة حول العقيدة .

الفصل الثاني : العوامل النفسية لانحراف اليهود العقدي .

الفصل الثالث : اختلاف فرقهم حول قضايا إعتقادية .

الفصـــــل الأول

" نظـــرة عامــــة حول العقيـــدة ."

١ ـ تعريـــف العقيـــدة .

٢ ـ إجمال العقيـدة التى جاء بها الأنبياء والمرسلون .

٣ ـ عقيـدة بنى إسرائيل الأولـــى .

٤ ـ انحراف اليهـــود عن عقيدتهم بعد موسى عليـــه السلام .

٥ ـ عبادتهـــم العجـــل .

٦ ـ التـــوراة .

٧ ـ تحريفهـــم للتوراة .

١ - تعريف العقيدة

أ - تعريف العقيدة لغة :

العقيدة مأخوذة من فعل "عقد" والعقد نقيض الحل ، يقال : عقد الحبل فهو معقود ، وعقدت الحبل والبيع والعهد فانعقد (١) .

والذى صرّح به أئمة الاشتقاق ، أن أصل العقد نقيض الحل ، ثم استعمل فى أنواع العقود من البيوعات وغيرها ، ثم استعمل فى التصميم والاعتقاد الجازم (٢) .

ومعنى العقد فى اللغة : الربط والتوثيق ، ويأتى على معنى التأكيد ، يقال عقدت الحبل إذا وثقته وشددته ، وأحكمت فتله ، بحيث إذا تركته لا ينتقض ، فهو يدور حول معنى الربط والتأكيد ، والاستيثاق .

« والعقيدة تجمع على العقائد ، وهى ماعقد عليه القلب والضمير ، والمعتقد مصدر ميمى ، بمعنى الاعتقاد ، ومايعقده الإنسان من أمور الدين » (٣) .

قد ورد فى القرآن مايدل هذا المعنى أى المعنى اللغوى : قال تعالى فى كتابه الكريم : (لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بماعقدتم الأيمان) (٤) .

قال الإمام الشوكانى فى تفسير هذه الآية : « أى ولكن يؤاخذكم بأيمانكم المعقدة الموثوقة بالقصد والنية إذا حنثتم فيها » (٥) .

---

(١) انظر لسان العرب مادة عقد .
(٢) انظر شرح القاموس مادة عقد .
(٣) دائرة معارف القرن العشرين محمد فريد وجدى ٦/مادة عقد .
(٤) المائدة : ٨٩ .
(٥) فتح القدير فى الجمع بين الرواية والدراية فى التفسير ٢ / ٧١ .

والعقد يجمع على العقود ، كما جاء ذلك فى القرآن الكريم . قال تعالى :
(يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) [١] .

وأصل العقود : الربوط ، فهو يستعمل فى الأجسام والمعانى ، وإذا استعمل فى المعانى كما هنا أفاد أنه شديد الإحكام [٢] ، فالعقود إذاً أوثق العهود .

ب ـ تعريف العقيدة اصطلاحا :

أما العقيدة فى الاصطلاح فهى : ما انعقد عليه القلب من الأفكار والمعانى دون شك فيه لدى معتقده ، سواء وافقت الحق والواقع أو خالفته ، أو كانت باطلا بكل عناصرها ، كعقيدة المؤمن فى وجود الله تعالى ، وصفاته الكمالية ، وبعثة رسله ، ونزول كتبه وغير ذلك من أركان الإيمان ، أو عقيدة النصرانى بأن عيسى ابن الله ، أو عقيدة الوثنى بأن الوثن ينفعه أو يضر. [٣]

فالعقيدة تتضمن معنى ارتباط الفكرة أو المعنى بالقلب ارتباط الشئ المنعقد بالشئ الآخر ، فهو لا ينفك عنه لحظة واحدة ، وعلى هذا فالمفهوم اللغوى للعقيدة له صلة قوية ووثيقة بمفهومها الاصطلاحى ، ولهذا فليس من السهل مطلقا أن يرجع الإنسان عن عقيدته بالإكراه ولو اجتمع على إكراهه أهل الأرض بكل وسائلهم .
وتطلق العقيدة على مجموعة الأفكار والمفاهيم التى ينعقد القلب الآخذ بها
والعقيدة الحق هى : مجموعة من قضايا الحق البديهية والنظرية المسلمة بالعقل والسمع أو بأحدهما ، يعقد عليها الإنسان قلبه ويثنى عليها صدره ، جازما بصحتها قاطعا بوجودها وثبوتها ، ويرى نقيضها أو ضدها باطلا ، وهو الأمر الذى يجب أن يصدق به القلب ، وتطمئن إليه النفس حتى يكون يقينا ثابتا لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك .

---

(١) المائدة : ١ .

(٢) انظر فتح القدير للشوكانى ٢/ ٤ .

(٣) انظر المصادر التالية : عقيدة المؤمن أبو بكر جابر الجزائرى ص ١٩ ، والعقائد الإسلامية السيد سابق ص ٨ ، وفى العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة د/ محمود أحمد الخفاجى ص ٩ .

يقول الشيخ محمود شلتوت : " العقيدة هى الجانب النظرى الذى يطلب الإيمان به أولا قبل كل شئ ، إيمانا لا يرقى إليه شك ولا تؤثر فيه شبهة "(١) .

لذا نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حينما عرضت عليه قريش المال والشرف والملك والطب إن كان به رئى ، لإغرائه يرفض هذا الطلب وهذا العرض ، ويضرب به عرض الحائط ، فيقول له عمه أبو طالب " يا ابن أخى ، إن قومك جاءونى فقالوا لى : كذا وكذا للذى كانوا قالوا له ، فأبق على وعلى نفسك ، ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ياعم ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته "(٢) .

وعرض عتبة بن ربيعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عروضا قال فيها : يا ابن أخى ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ، أو كما قال له : حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع إليه ، قال أقد فرغت ياأبا الوليد ؟ قال نعم : قال فاسمع منى قال أفعل ، فقال (بسم الله الرحمن الرحيم - حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعت ياأبا الوليد ماسمعت ، فأنت وذاك "(٣) .

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ص ٢٢ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٤٠ .

(٣) المصدر السابق ١/ ٢٦١ .

وهذا يدل دلالة واضحة على ثبوت العقيدة التى تعلقت بقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى إيمانه إيمانا يقينيا قطعيا لا يقبل شكا أو جدلا وكذلك كانت عقيدة كل رسل الله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وأتباعهم الصادقين .

هذا هو تعريف العقيدة لغة واصطلاحا ، ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هو : هل ورد هذا المفهوم ، وهذا العرف فى القرآن الكريم والسنة المطهرة ؟.

إذا تتبعنا آيات القرآن والأحاديث النبوية ، لعلنا لا نقف على هذا المفهوم فيهما ، أو بعبارة أخرى على هذا الاصطلاح ، وإنما نجد اصطلاحا آخر ، وهو : " الإيمان " ، فقد عبر القرآن والسنة عن العقيدة بالإيمان ، وعبر عن أحكام التكاليف بالشريعة وبالعمل الصالح ، قال تعالى :

"إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا "(١) .

وقال عز وجل : " الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب "(٢) .

وقال عز من قائل : " وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم "(٣) .

والشريعة مأخوذة من قول الله تعالى : (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك ، وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)(٤) . ومن قوله تعالى : (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)(٥) .

والعقيدة من حيث هى عقيدة متعلقة بالقلب ، قد تطمئن إليها النفس وتستحسنها ، بصرف النظر عن دليلها من حيث الثبوت وعدمه ، لأن القضية قضية

---

(١) الكهف : ١٠٧ .

(٢) الرعد : ٢٩ .

(٣) المائدة : ٩ .

(٤) الشورى : ١٣ .

(٥) جاثية : ١٨ .

فكرية ، فإن كانت موافقة للواقع فهى صحيحة ، وإن كانت مخالفة للواقع فهى باطلة وغير مقبولة ، وذلك يكون باعتبار دليلها ، فإن كان دليلها ثابتا ويقينا كانت صحيحة ومقبولة ، وإن كان دليلها وهميا كانت باطلة وفاسدة ، فهى على حسب برهانها ، أما الاولى فيطمئن إليها القلب إطمئنانا تاما لا يزعزعه شئ ، وأما الثانية فهى عرضة للشكوك والأوهام ، لأنها لا تعتمد على أساس سليم ، وعلى مسلك مستقيم فثبوت العقيدة يختلف باختلاف مسالكها .

«فعلينا إذا فى المسلك العلمى السليم أن نبحث فى سلامة الطريق التى توصل إلى أعماق نفوسنا أية عقيدة من العقائد .

فإن كانت طرقا سليمة ، كانت معتقداتنا مرضية مقبولة ، جديرا بها أن تتمركز فى أعماق النفس ، وأن توجه السلوك وتحرك العواطف ، وإن كانت ظنونا غالية وضعناها فى موضع الظنون الغالبة القابلة للتعديل والتبديل والنسخ ، عند ورود اليقين أو الظن الأقوى ، ولا نسمح لها أن تتمركز فى مراكز العقائد الراسخة التى لا تقبل التعديل والتبديل »(١).

ومن المستدلين من يسلك مسلك الأوهام أو التقاليد العمياء أو الظنون الضعيفة فتكون العقيدة فى نفوسهم غير ذات أساس سليم ، وغير مقبولة لدى ذوى العقول الصحيحة السليمة ، ومن ثم غير مقبولة عند الله تبارك وتعالى .

أما إذا كانت العقيدة تعتمد على مسلك اليقين النقلى والعقلى أو دليل آخر من أدلة المفيدة لليقين العلمى ، فإنها حينئذ تكون ذات أساس سليم ، ومقبولة عند الله عز وجل. والخلاصة : العقيدة هى فكرة يطمئن إليها القلب ويكون لديه آمن من خطئها ، وهى :

---

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها للأستاذ عبد الرحمن الميدانى ص ٣٠ .

١ ـ تنعقد فى القلب فتسمى (عقيدة) وهذه التسمية للإيمان محدثة •

٢ ـ يطمئن القلب لصحتها فتسمى (إيمانا) وهو الاصطلاح القرآنى ، وهى قد تكون صحيحة إذا وافقت الحقيقة ، وطمنا بموافقتها الحقيقة دليله : الحس والعقل والخبر الصادق ومنه الوحى •

وقد تكون باطلة ، وذلك عندما تكون مخالفة للحقيقة ولو ظنها معتقدها حقيقة واطمأن إليها •

(لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) (١) •

(أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون) (٢) •

---

(١) البقرة : ٢٥٦ •

(٢) النحل : ٧٢ •

٢ - إجمال العقيدة التى جاء بها الأنبياء والمرسلون .

إن العقيدة التى جاء بها المرسلون منذ آدم إلى رسول الله محمد صلى عليهم وسلم ، هى عقيدة الإسلام ، وهى : الإيمان بالله وحده والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، وتوحيد الله فى عبادته وفى ملكه وخلقه ، وفى أسمائه وصفاته ، لقد كانوا متفقين على هذه الأصول اتفاقا كاملا وإن كانوا مختلفين فى الشرائع ، قال تعالى مخبرا بذلك وكاشفا عن هذه الحقيقة ومقرراً حالة الناس فى حياتهم الأولى :

(كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) (١) .

فهذه الآية تشير إلى أن الناس كانوا على دين واحد وعقيدة واحدة منذ آدم عليه السلام ، ثم اختلفوا وأخذوا مذاهب شتى فى معتقداتهم فأصبحوا ينحرفون عن الحقيقة ، وعن جادة الحق ، فعندها بعث الله إلى الناس رسلا ليبينوا لهم طريق الحق والصواب من طريق الباطل والضلال ، وليبينوا لهم الإيمان الحق الذى يتفق مع الفطرة السليمة .

روى ابن جرير الطبرى رحمه الله عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : " كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة ، من الحق ، فاختلفوا ، فبعث النبيين مبشرين ومنذرين ، وعن قتادة فى قوله تعالى : (كان الناس أمة واحدة) قال كانوا على الهدى جميعا ، فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) .

---

(١) سورة البقرة : ٢١٣ .

ثم قال : (فكان تأويل على معنى قول هؤلاء "كان الناس أمة واحدة ودين واحد ، فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) (١).

ومماينبغى معرفته هو أن الأنبياء كانوا على نهج واحد فى تقوير العقيدة الإلهية ، فكان بعضهم يصدق بعضا ، ولم يكن أحد منهم يبطل معجزة أخر حتى لو أتى نبى بمعجزة تشبه معجزة نبى آخر قبله ، فإنها لا تبطل معجزة ذلك النبى ومعجزة كل واحد منهما آية له ، والآخر أيضا ، كما أن معجزات أتباعهم آية لهم .

يقول سيد قطب : " وقصص الأنبياء فى القرآن تمثل موكب الإيمان فى الطريق الممتد الواصل الطويل ، ويعرض قصة الدعوة إلى الله واستجابة البشر لها جيلا بعد جيل " (٢).

وقد جاء فى القرآن نصوص تؤكد وتبين وحدة الأنبياء ، وأنه يجب الإيمان بهم جميعا ، كما أن جميع أصول الدين مثل ذلك .

قال تعالى وهو يقرر هذه الحقيقة : "ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا " (٣).

وقال تعالى : (إن الذين يكفرون بالله ورسله ـ ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ") (٤).

فكيف لا تكون دعوتهم واحدة ومنهجهم واحدا وهم "رسل الله إلى عباده تعالى بأوامره ونواهيه ، زيادة على مااقتضته العقول وواجباتها ، وإلزاما لماجوزته من

---

(١) انظر جامع البيان ٢/ ٣٣٤ - ٣٣٦ .
(٢) فى ظلال القرآن ١/ ٦٥ .
(٣) النساء : ١٣٦ .
(٤) النساء : ١٥٠ - ٥١

مباحاتها لما أراده الله من كرامة العاقل ، وتشريف أعماله واستقامة أحواله وانتظام مصالحه حين هيأه للحكمة ، وطبعه على المعرفة ، ليجعله حكيما ، وبالعواقب عليما (١). هذا وقد كانت مهمتهم الأولى دعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وبذلك أمر كل نبى أن يدعو قومه ، وأن يأمرهم بتوحيد الله فى ذاته وصفاته وأفعاله ، وبتوحيد فى العبادات فلا يعبدوا شيئا غيره ، وكان شعارهم الرئيسى (ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) .

قالها نوح عليه السلام وهو ينادى قومه ، قال تعالى حكاية عن ذلك (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) (٢) .

وقالها هود عليه السلام حينما أرسله الله إلى قومه ـ قال عز وجل فى حقه (٣) : (وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون) .

ونادى بها صالح قومه حين بعثه الله إليهم ، قال عز من قائل (وإلى ثمود أخاهم صالحا ، قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشاكم من الأرض واستعمركم فيها ....) (٤) .

ونادى بها شعيب قومه ، حين أرسل إليهم ، قال تعالى (٥) : (وإلى مدين أخاهم شعيبا ، قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) .

وأمر الله بذلك نبيه وكليمه موسى عليه السلام إذ قال (٦) : (إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى) .

---

(١) أعلام النبوة لأبى الحسن على بن محمد الماوردى ص ٢٢ .
(٢) الأعراف : ٥٩ .
(٣) هود : ٥٠ .
(٤) هود : ٦١ .
(٥) هود : ٨٤ .
(٦) طه : ١٤ .

فالأمثلة فى هذا الموضوع كثيرة ومتنوعة ، يكفينا هذا القدر لإثبات وحدة دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فالتوحيد هو أول دعوة الرسل ، قبل كل شىء ، وقد اتفقوا على هذا الجانب وإن اختلفوا فى بعض الشرائع ، لأن الغاية المقصودة من الدين هى عبادة الله سبحانه وتعالى ، وحده لا شريك له ، وهو حقيقة الدين وحقيقة الإسلام .

أما ماجاء مما يخالف هذا المبدأ وهذه العقيدة مما اتخذه الناس دينا فاعلم أنه تحريف وتبديل جاء من قبل الآدميين ، وخاصا مما يسمى اليوم بالديانة اليهودية أو النصرانية ، كما سيتضح لنا ذلك إن شاء الله تعالى .

لأن الله تبارك وتعالى قال فى كتابه الكريم : (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) (١) .

وقال تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (٢) .

وقال عز وجل : (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) (٣) .

والعقيدة التى جاء بها المرسلون هى العقيدة الإسلامية لم تكن هناك عقيدة أخرى ، لا فى الأولين ولا فى الآخرين ، ولم تكن هناك ما يسمى يهودية ولا نصرانية ولا غيرها ولكن كان هناك إسلام ، وهو الدين الذى ارتضاه الله لنفسه ، وهو الذى بعث الله لأجله الرسل ، ولا يقبل من أحد دينا غيره لا من الأولين ولا من الآخرين ، وهو دين الأنبياء جميعا ومن تبعهم إلى يوم الدين .

---

(١) النحل : ٣٦ .

(٢) الأنبياء : ٢٥ .

(٣) الزخرف : ٤٥ .

وقد كانت عقيدة نوح عقيدة إسلامية . قال تعالى على لسانه وهو يعظ قومه : (١)

(فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) .

وهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام يعلن إسلامه حيث يقول تبارك وتعالى : (٢)

(إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) .

وقام لوط يدعو قومه إلى الإسلام فما آمن إلا ابنتاه ، قال تعالى عن ذلك : (٣)

(فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) .

ويقول بها إبراهيم واسماعيل دعاء ونداء وهما يرفعان قواعد البيت (ربنا (٤) واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) ويحفظ لنا الكريم وصية مخلصة صدرت من قلب خليل الرحمن إبراهيم وحفيده يعقوب عليهما السلام لابنائهما ، قال تعالى :في ذلك : (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم (٥) الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) .

وكلمة الإسلام نطق بها يوسف عليه السلام عندما جمع الله به إخوانه وأبويه بعد فراق طويل شاكرا بذلك ربه سبحانه : (فاطر السموات والارض أنت ولى في (٦) الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين) .

ونادى بها موسى عليه السلام وهو يدعو قومه إلى الإيمان بالله تبارك وتعالى : (٧)

(وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) .

ثم تأتى على ألسنة سحرة فرعون واتباع موسى إذ قال تعالى : (ربنا أفرغ (٨) علينا صبرا وتوفنا مسلمين) .

---

(١) يونس : ٧٢ .
(٢) البقرة : ١٣١ .
(٣) الذاريا : ٢٥-٦>
(٤) البقرة : ١٢٨ .
(٥) البقرة : ١٣٢ .
(٦) يوسف : ١٠١ .
(٧) يونس : ٨٤ .
(٨) الأعراف : ١٢٦ .

وقالت ملكة سبأ معلنة إسلامها حين رأت قدرة الله وعظمته فيما أُعطي سليمان عليه السلام : (رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) (١) .

وينطق بها أتباع عيسى عليه السلام حين دعاهم إليها : (من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون) (٢) .

وقال تعالى وهو يؤكد وحدة الرسالات ووحدة الرسل ووحدة ماجاءوا به ومبينا كذب من فرق بين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين :

(وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا ، قل بل ملة إبراهيم حنيفا وماكان من المشركين قولوا آمنا بالله وماأنزل إلينا وماأنزل إلى إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وماأوتي موسى وعيسى وماأوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) (٣)

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : " احتج الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأبلغ حجة وأوجزها وأكملها ، وعلمها محمدا نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : يامحمد قل للقائلين لك من اليهود والنصارى ولأصحابك : كونوا هودا أو نصارى تهتدوا بل تعالوا نتبع ملة إبراهيم التي تجمع جميعنا على الشهادة لها بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتباه وأمر به ، فإن دينه كان الحنيفية المسلمة وندع سائر الملل التي تختلف فيها ، فينكرها بعضنا ويقربها بعضنا ، فإن ذلك على اختلافه لا سبيل لنا على الاجتماع عليه ، كما لنا السبيل إلى الاجتماع على ملة إبراهيم " (٤) .

ومن هنا يتبين لنا أن من طلب دينا غير الإسلام ، فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ، قال تعالى : (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) (٥) .

وقال : (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا ، واتخذ الله إبراهيم خليلا) (٦) .

---

(١) النمل : ٤٤ .
(٢) آل عمران : ٥٢ .
(٣) البقرة : ١٣٥ - ١٣٦ .
(٤) الطبري : ١/٥٦٤ .
(٥) آل عمران : ٨٥ .
(٦) النساء : ١٢٥ .

لقد زعم كل من اليهود والنصارى أنه لا يدخل الجنة أحد إلا إذا كان على ما هم عليه من دين ، فرد الله تعالى عليهم وأبطل حجتهم ، وأخبر أنه من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجر عند الله يثاب عليه ، قال تعالى :

(وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (١) .

وبهذا يتبين لنا أن الإسلام هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

إن توحيد الله يتطلب توحيد دينه الذى أرسل به رسله للبشر ، ويتطلب أيضا توحيد رسله الذين حملوا هذه الراية ، وهذه الرسالة للناس ، ومن هنا كان من ينكر بوحدة الرسالة والرسل كافرا حقيقيا .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عند تفسير قوله تعالى : (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) (٢) « عام فى الأولين والآخرين بأن دين الإسلام هو دين الله الذى جاء به أنبياؤه وعليه عباد المؤمنون » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) :

" الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد " (٤) .

قال الدكتور يوسف القرضاوى : « ان هذه العقيدة ليست من مستحدثات الإسلام ولا مما ابتكره محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما هى العقيدة المصفاة التى بعث بها أنبياء الله جميعا ونزلت بها كتب الله قاطبة قبل أن ينال منها التحريف والتبديل ، إنها الحقائق

---

(١) البقرة : (١١١ - ١١٢) .

(٢) إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص ٤٥ .

(٣) رواه مسلم كتاب الفضائل ١٤٥ .

(٤) الإسلام علم على كل الأديان السماوية كما عرفناه ولكن الدكتور يوسف القرضاوى هنا يقصد الدين الذى جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الخالدة التى لا تتطور ، ولا تتغير عن الله وعن صلته بهذا العالم ، مايبصر منه وما لا يبصر ، وعن حقيقة هذه الحياة ، ودور الإنسان فيها ، وعاقبته بعدها إنها الحقائق التى علمها آدم لنبيه وأعلنها نوح فيها قومه ، ودعا إليها هود وصالح عاداً و ثمودا ، ونادى بها إبراهيم واسماعيل واسحاق وغيرهم من رسل الله وجاء تأكيدها فى التوراة والزبور والإنجيل .

وكل مافعله الإسلام هو أنه نقى هذه العقيدة من الشوائب الدخيلة ، وصفاها من الأجسام الغريبة التى أدخلتها العصور عليها ، فكدرت صفاها وأفسدت توحيدها (١) .

---

(١) الإيمان والحياة د / يوسف القرضاوى ص ١٢٠ .

٣ - عقيدة بني إسرائيل الأولى .

سبق بيان أن دين الأنبياء جميعا دين واحد ، وعقيدتهم عقيدة واحدة ، وموسى كان من أولئك الأنبياء ، لقد كانت عقيدته صافية من شوائب الشرك كما كان إخوانه الذين سبقوه مثل نوح وإبراهيم واسحاق ويعقوب وغيرهم عليهم صلوات الله وسلامه. لقد بين القرآن الكريم قصة موسى عليه السلام بيانا شافيا من منذ ولادته إلى دخول بني إسرائيل في التيه ، كما تحدث عن المتاعب التي عاناها مع بني إسرائيل هو وأخوه هارون عليهما السلام .

لقد أكد القرآن أنهما بلغا رسالة الله كما أُمِرا ، بلغا رسالة التوحيد وأَمَرا بني إسرائيل أن يخلصوا العبادة لله تعالى وحده ، لقد أعطى القرآن صورة واضحة عن ذلك حيث قال :

(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا) (١) .

فهذه هي عقيدة المسلمين الأوائل ، وهي العقيدة التي كلف بنو إسرائيل أن يتصوروها تصورا سليما وصحيحا وصافيا ويؤمنوا بها حتى لا تختلف عقيدتهم عن الأولين والآخرين من ركب أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام .

وبهذا كانت عقيدة بني إسرائيل الأصلية عقيدة التوحيد والإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، إله الأولين والآخرين وخالقهم ورازقهم ، العالم بكل شيء ، القادر على كل شيء ، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ومايتصل به من أمور الحساب والجزاء والثواب

---

(١) النساء : ١٦٣ .

والعقاب ، وهذه القضايا قد تحدث عنها القرآن فقال تعالى وهو يخاطب نبيه موسى عليه السلام : (إننى أنا الله ، لا إله إلا أنا فاعبدنى، وأقم الصلاة لذكرى، إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) (١) .

وقال على لسان موسى : (إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شئ علما) (٢) .

وهكذا كانت العقيدة التى دعا إليها موسى عليه السلام متفقة تماما مع عقيدة المسلمين ، بلا زيادة ولا نقصان ، فكانت تولى اهتمامها فى تقديس الله سبحانه وتعالى عن كل نقائص ، واسناد الصفات العالية المقدسة إليه ، وأنه سبحانه إله العالمين جميعا ، لا إله إلا هو ، ليس إله فئة أو شعب فقط .

وأكد القرآن الكريم أيضا أن الله سبحانه وتعالى أنزل على نبيه موسى عليه السلام كتابا بين فيه حقيقة الدين الربانى ، وأوضح أنه كتاب يحتوى فى طيه هدى ونورا ، يهدى به الله من اتبع رضوانه، وأنه يرشد إلى طريق مستقيم ، قال تعالى : (الم ، الله لا إله إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس ، وأنزل الفرقان) (٣) .

وقال تعالى : (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ، إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) (٤) .

---

(١) طه : ١٤ - ١٦ .

(٢) طه : ٩٨ .

(٣) آل عمران : ١ - ٤ .

(٤) المائدة : ٤٣ - ٤٤

ولا شك أن هذه التوراة التى ذكرها القرآن ليست التوراة التى فى أيدى اليهود الآن ، فهذه ليست منزلة من عند الله ، وإنما هى من أعمال أيدى البشر ومن تأليفاتهم كما سيتبين لنا فيما بعد .

قال الله تعالى وهو يتحدث عما فعلت اليهود بالتوراة التى أنزلها على موسى عليه السلام : (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ، وعُلِّمْتُم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) (١) .

وإذا رجعنا إلى مبدأ الوحى إلى موسى عليه السلام نجد أن أول آيات نزلت عليه كانت مثل الآيات التى نزلت فى مبدأ الوحى إلى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك فى علاج قضية العقيدة ، وتصحيح مفاهيمها عند الناس .

فيسمع موسى نداء ربه ، ويأخذ تعليماته بلاواسطة ، ويتم اختياره للرسالة وتبليغها ، ويعطيه الله معجزات باهرة لإثبات دعواه بأنه نبى مرسل من الله تبارك وتعالى ، قال تعالى حكاية عن ذلك : (وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما أتاها نودى : ياموسى إنى أنا ربك ، فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لمايوحى إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى) (٢) .

وقال : (وماتلك بيمينك ياموسى ، قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى ، قال ألقها ياموسى ، فألقاها فإذا هى حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى ، واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى) (٣) .

---

(١) الأنعام : ٩١ .

(٢) طه : ٩ - ١٤ .

(٣) طه : ١٧ - ٢٣ .

وهكذا أعلن موسى عليه السلام ديانة التوحيد فى عالم قد غرق فى الشرك والوثنية ، فجدد الدين القويم دين إبراهيم الخليل عليه السلام ، ونشر العلم والنور فى عالم قد تاه فى الظلام والجهل ، وقام الإسلام مرة أخرى فى الأرض بعد ما انقطعت الأرض عنه ، وساد الإسلام فيها فى مدة لم تستمر فيمابعد ، إلى أن جاء خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد جاءت نصوص فى توراتهم تدل على التوحيد والأمر به والنهى عن الشرك وملابساته .

ومما جاء فيها :

" إن الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامى ، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مما فى السماء من فوق - وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهن ، ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك غيور " .

وجاء فيه أيضا : " لا تصنعوا آلهة فضة ، ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب " (١) .

وجاء فى سفر التثنية مايلى : (الرب إلهك تتقى وإياه تعبد و باسمه تحلف ، لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التى حولكم ، لأن الرب إلهكم إله غيور فى وسطكم لئلا يحمى غضب الرب إلهكم عليكم فيبيدكم عن وجه الأرض) (٢) .

فهذه هى عقيدة بنى إسرائيل الأولى التى أوحاها الله إلى كليمه موسى عليه السلام .

ولكننا سنعرف فيمابعد أنهم انحرفوا عن هذه العقيدة السليمة إلى العقيدة الوثنية .

---

(١) سفر الخروج الإصحاح ٢٠/٢ - ٥ ، ٢٣ .

(٢) الإصحاح ٦/١٣ - ١٦ .

٤ - إنحراف اليهود عن عقيدتهم بعد موسى عليه السلام .

تكلم كثير من المؤرخين حول انحراف اليهود عن العقيدة الإلهية ، وخاصة في تاريخهم القديم ، فهو ديدنهم منذ القدم ، وإن كان الرسول فيهم ، كما حدث ذلك عدة مرات .

يخبرنا القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى أكرمهم وخصهم وحباهم وأنعم عليهم بالنعم الكثيرة ، وفضلهم على كثير من العالمين ، من أهل زمانهم ، وأرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب : (التوراة ، والزبور ، والإنجيل) فيها هدى للناس وبينات من الهدى ، ومع ذلك كله فإنهم لم يستقيموا على طريق سوى ، ولم يتبعوا النور الذى جاءهم من الله ، بل عكسوا الأمور وبدّلوها ، وحرفوا الكتب وغيروا تعاليمها ، وبالغوا في عداوتهم للأنبياء ، وقتلوا فريقا منهم ، وكذبوا فريقا آخر ، ومالوا عن الحق ، وحادوا عن الجادة ، وصدوا عن دين الله وهم ظالمون .

ولما كان الانحراف ديدنهم ، كتب الله عليهم التيه والتشريد ورسول الله موسى عليه السلام بين ظهرانيهم ، ثم ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة ، وباءوا بغضب من الله ، ومسخهم الله قردة وخنازير ، وأفضى الانحراف بهم إلى أن صاروا عبدة الطاغوت ، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك كله .

قال تعالى : (يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين) (١) .

وقال عز وجل : (وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ، وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) (٢) .

---

(١) البقرة : ٤٧ .

(٢) البقرة : ٤٩ - ٥٠

وقال عز وجل : (وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات مارزقناكم ، وماظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (١) .

وهناك آيات كثيرة تذكر وتعدد نعم الله عليهم، المادية منها والمعنوية ، ثم كان منهم فى النهاية الكفر والعناد :

(ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لمايهبط من خشية الله ، وماالله بغافل عماتعملون) (٢) .

وقال عز من قائل : (وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا مايؤمنون) (٣) .

وهكذا كانت حالتهم مع أنبياء الله ورسله ، عصيان وتمرد على شريعة الله وكفر بنعمه ، حتى سجل الله عليهم فى عاقبتهم رفض الحق وعدم الإيمان به .

فقال الله عز وجل : (أ فتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون) (٤) .

فهؤلاء القوم لم تستقر فى قلوب كثيرة منهم عقيدة التوحيد ، ولم تطمئن إليها نفوسهم ، منذ عهد موسى عليه السلام ، كماسبق ذكره ، ورواسب الوثنية ظلت تلازم سلالة بنى إسرائيل فى جميع مراحلهم ، مع أن الله سبحانه وتعالى قد أظهر لهم أدلة كثيرة على وحدانيته ، أجراها على يد نبيه موسى عليه السلام ، ويتضح لنا ذلك إذا ماتتبعنا تاريخ بنى إسرائيل مع موسى ، فكم مرة مالوا إلى الوثنية مع وجود موسى معهم .

من ذلك : عند ما جاوزوا البحر إلى صحراء سيناء بدون وسيلة من وسائل عبور البحر المعروفة لدى الناس ، بل معجزة لنبى الله موسى عليه السلام ، لإنجائهم

---

(١) البقرة : ٥٧ .
(٢) البقرة : ٧٤ .
(٣) البقرة : ٨٨ .
(٤) البقرة : ٧٥ .

من عدوهم بدون مشقة وجهاد ، مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم يعبدونها من دون الله ، طلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم صنما يعبدونه من دون الله قال تعالى حكاية عن ذلك :

(وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر ، فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون ، إن هؤلاء متبّر ماهم فيه وباطل ماكانوا يعملون ، قال : أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين) (١) .

فلامهم موسى عليه السلام وبين لهم أن مايفعله هؤلاء القوم باطل وأنهم يصيرون إلى هلاك ، وأن أعمالهم خاسرة .

ثم توجه إليهم متعجبا كيف يطلبون إلها غير الله وهو رب العالمين ؟ وهو الذى خصهم ، بإكرامه وفضله على العالمين ، الذين كانوا فى عهدهم ، بأن أعطاهم النبوة والملك ، ولكن هل نفعتهم هذه النصيحة ، وعملوا بها أم ضربوا بها عرض الحائط ؟ إن القرآن لم يترك بيان ذلك بل أوضحه على وجه التفصيل كما تقدم بيانه .

وبنو إسرائيل بعد هذه القصة عبروا صحراء سيناء ، وواصلوا المسيرة ، فشق عليهم السير وطال عليهم السفر ، فعطشوا ، فلم يجدوا ماء لشربهم وسقيا لدوابهم فشكوا إلى موسى أن ينقذهم من هذا المأزق وهم متذللون خاشعون ، وطلبوا منه الماء ، فدعا الله عز وجل أن يسقيهم ، فأمره الله تعالى أن يضرب عصاه بالحجر ، فلما ضرب الحجر بعصاه انفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، فكان لكل قبيلة منهم عين تشرب منها ، ثم أصابهم بعد ذلك الحر الشديد ، وليس لهم مكان يأوون إليه ، أو ظل يستظلون فيه ، فساق الله لهم الغمام حتى استظلوا فى ظله .

---

(١) الأعراف : ١٣٨ - ١٤٠ .

وأصابهم الجوع ، وليس لهم زاد يستعينون به ، فأنزل الله عليهم المن والسلوى ومع كل هذه المعجزات الباهرة وتلك الدلائل القاطعة كانوا يتمردون بين حين وحين ولا يُقَدِّرُون نعم الله عليهم ، بل يقابلون هذه النعم بالكفر والعصيان .

قال تعالى مخبرا بذلك :

(وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما ، وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا ، قد علم كل أناس مشربهم ، وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى ، كلوا من طيبات مارزقناكم ، وماظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (١) .

٥ - عبادتهم للعجل :

أبى القوم أن تستقر عقيدة التوحيد فى قلوبهم ، إذ ليس فى طبيعتهم الانضباط والإلتزام ، شأنهم فى ذلك كشأن كل الوثنيين ، لما أراد الله سبحانه وتعالى أن ينزل التوراة على نبيه موسى عليه السلام أمره أن يصوم ثلاثين يوما من شهر ذى القعدة ليستعد لهذا الأمر المهم وهو تلقى التوراة ، وأمره أن يذهب إلى مناجاة ربه تبارك وتعالى عند جبل الطور ، فلما أتم ثلاثين يوما أمره أن يزيد عليها عشرة أيام أخر ، لأنه لما أتم ثلاثين أنكر خلوف فمه فاستاك أو أكل بعض النبات ، فقالت الملائكة كنا تشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله أن يصوم عشرة أيام أخر .

أخرج الديلمى عن ابن عباس يرفعه لما أتى موسى ربه عز وجل وأراد أن يكلمه بعد الثلاثين ، وقد صام نهارهن ولياليهن كره أن يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصائم فتناول من نبات الأرض ، فمضغه ، فقال له ربه : لم أفطرت ؟ وهو أعلم بالذى كان ،

---

(١) سورة الأعراف : ١٦٠ .

قال : أى رب كرهت أن أكلمك إلا وفمى طيب الريح ، قال أو ماعلمت ياموسى أن ريح فم الصائم عندى أطيب من ريح المسك ، ارجع فصم عشرة أيام ثم ائتنى ، ففعل موسى عليه السلام الذى أمره ربه (١) ، وكان قبل ذهابه أوصى أخاه هارون عليه السلام بتدبير شئون قومه ، وأتباعه خشية أن يضلوا ، ويرجعوا عن الدين فى مدة غيابه لما يعرف من طبيعة القوم ، فقال لأخيه : كن خليفتى فى قومى وانظر أمرهم واحذر أن يتبعوا طريق الفاسقين ، وبعد تمام الأربعين ألقى الله إليه الألواح ، وأمره أن يأخذ ماآتاه الله بقوة وأن يشكر هذه النعمة العظيمة ، نعمة الاختيار للرسالة وأمره أن يامر قومه بالسير على أحسن مارسم لهم وأجودها ، قال تعالى حكاية عن ذلك : (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى ، وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ، ولما جاء موسى لميقاتنا ، وكلمه ربه ، قال رب أرنى أنظر إليك ، قال لن ترانى ، ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخرّ موسى صعقا ، فلما أفاق ، قال سبحانك تبت إليك ، وأنا أول المؤمنين ، قال ياموسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ماآتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة ، وتفصيلا لكل شئ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين) (٢) .

وكان من شأنهم وموسى عليه السلام فى مناجاة ربه أنهم ارتدوا على أعقابهم ، وحصل ماكان يتوقعه موسى منهم ، ذلك لما استبطأوه وطالت عليهم المدة ، لأن موسى عليه السلام أخبرهم قبل ذهابه إلى مناجاة ربه أن غيبته لن تطول أكثر من ثلاثين يوما ، ولكنه بأمر الله تأخر عن الموعد بزيادة عشرة أيام ، وعندها قالوا : إن موسى

---

(١) انظر القرطبى ٧ / ٢٧٥ ، والألوسى ٩ / ٤٣ ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير ١ / ١٨٩ .

(٢) الأعراف : ١٤٢ - ١٤٥ .

أخلفنا وعده ، وتحركت فيهم نزوة الشر ، وقصدوا إلى عبادة العجل الذى عمل لهم رجل يسمى موسى السامرى (١) عمل لهم من حليهم التى كانوا أخذوها من المصريين قال تعالى حكاية عن ذلك ﴿فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى﴾ (٢) .

وتصدى لهم هارون عليه السلام ، وبين لهم أنهم فتنوا فى هذا العجل وضلوا وبذل جهدا كبيرا لإرجاعهم إلى الصواب ، فلم يفلح ، لأنهم أصروا على عبادة العجل حتى يرجع إليهم موسى . والقرآن قد أوضح هذه القصة بالتفصيل فى قوله تعالى :

(قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى ، فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ، قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ، أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى ، قالوا ماأخلفنا موعدك بملكنا ، ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى) (٣) .

وقال تعالى : (ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى ، قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) (٤) .

هذا ماجاء فى القرآن مما يتعلق بعبادة بنى إسرائيل للعجل ، أما توراتهم المزعومة قد تعرضت لقصة عبادتهم للعجل ، ولكنها غيرت حقيقة جوهرية ، أفصح عنها القرآن الكريم ، وهى : أن الذى صنع لهم العجل هو هارون الرسول ، وليس السامرى - سبحانك اللهم ، هذا بهتان عظيم - وهذا من تحريفاتهم التى سنتعرض لها فى الفقرة التالية إن شاء الله تعالى .

تقول توراتهم المحرفة فى سفر الخروج :

---

(١) اسمه موسى بن ظفر ، انظر جامع البيان ، ١/ ٢٨٣ .

(٢) طه : ٨٨ .

(٣) طه : ٨٥ - ٨٧ .

(٤) طه : ٩٠ - ٩١ .

" ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل ، اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم ، وأتونى بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وآتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل ، وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر ، فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ونادى هارون ، وقال غدا عيد للرب ، فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة ، وجلس الشعب للأكل والشرب ، ثم قاموا للعب ، فقال الرب لموسى اذهب أنزل لأنه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر ، زاغوا سريعا عن الطريق الذى أوصيتهم به ، صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له ، وذبحوا له ، وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر " (١) .

حدث هذا وديانة موسى فى مبدأ أمرها وفى فجر سيرها ، وبدون تحديد الزمن بالنسبة للوثنية اليهودية ، فإن الوثنية بارزة فى تاريخهم الطويل رغم المعجزات المادية الكبرى التى أجراها الله لهم ، والتى كانت يجب أن تؤكد لهم أنها من صنع إلههم وإله آبائهم الواحد المنزه عن كل شريك ومعين ، ومازالت الوثنية لاصقة بقلوبهم ، لأنهم عاشوا أمدا طويلا فى مصر ، حيث ألفوا آلهة المصريين ، وقلدوهم فى وثنيتهم ، شأن المغلوب فى تقليد الغالب (٢) .

وقاموا بعد موسى عليه الصلاة والسلام بتحريف الكتاب الذى ترك لهم ، والذى أوصاهم أن يحافظوا عليه ، وأن يقيموا حياتهم على وفق ماجاء به الكتاب بدون تبديل ولا تغيير من نصوصه .

---

(١) الإصحاح ٣٢/١ - ٨ .

(٢) انظر سليمان مظهر قصة الديانات ص ٣٤٠ .

٦ - التـــوراة :

" التوراة " كلمة عبرية يراد بها التعليم أو الشريعة أو الناموس ويراد بهـــــا اصطلاحا عند اليهود : أسفار موسى ، وربما استعمل النصارى التوراة للدلالـــة على مجموع العهد القديم وعلى العهدين أيضا ، من باب تسمية الكل باسم البعض " (١)

ويقـول فريد وجدى : " يطلق اسم التوراة على الخمسة الكتب الأولى من الكتـــاب المقدس عند المسيحيين " (٢).

وهذه الأسفار الخمسة يعتقد اليهود أن موسى عليه السلام كتبها بيده بوحـــى من الله تعالى .

والتوراة عند المسلمين هى : كتاب الله المنزل على سيدنا موسى عليه السلام فيـــه هدى ونور ، أنزلها الله هداية للناس بعد مناجاته لربـــه فى جانب الطور .

والذى عرفناه بذلك هو القرآن الكريم الذى لا يأتيـه الباطل من بين يديـه ولا من خلفـه تنزيل من حكيم حميد ، إذ قال فيها : (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) (٣) .

وبين لنا أيضا أن فى التوراة أحكام وشرائع ربانيـة كان أهل الكتاب مكلفـــين أن يعملوا بها قبـل نزول القرآن ، قال تعالى : (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيهـــا حكم الله ، ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) (٤) .

وقال تعالى : (الم . الله لا إله إلا هو الحى القيـوم . نزل عليك الكتاب بالحـــق مصدقا لما بين يديه ، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس) (٥) . وقال عز وجل مادحا القرآن والتوراة (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتـــاب موسى إماما ورحمـــة) (٦) .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٦/ ٢٦٤ .
(٢) دائرة معارف القرن العشرين ٢/ ٧٠٢ .
(٣) و (٤) المائـــدة ٤٣ - ٤٤ .
(٥) آل عمران ١ - ٤ .
(٦) هود : ١٧ .

فالإسلام يكلف المسلمين أن يؤمنوا بالتوراة التى أنزلها الله عز وجل على نبيه موسى صلى الله عليه وسلم ، لكنه يرفض المحرفات التى ينسبونها إلى الله زورا وبهتانا .

فالمسلمون يؤمنون بأن التوراة التى أنزلها الله على موسى كتاب ربانى يجب الإيمان به كما يجب الإيمان بكل كتاب ربانى أنزل الله على رسول من رسله المؤيدين منه بالمعجزات والآيات الباهرات ، وهى جميعها تدعوا إلى التوحيد وإلى عبادة الله وحده الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، لا زوجه له ولا ولد ، ولا شريك له فى عبادته ولا فى ملكه ، وأن كل مانسب إلى التوراة ممايخالف ذلك ، إنما هو من تحريفهم وصنعهم .

إن الله أنزل التوراة لتتولى قيادة البشرية وتنظيمها وتوجيهها والأخذ بيدها بغية انقاذها من الكفر والشرك والوثنيات ، ومهاوى الضلالات ، وإقامة العدل وقمع الظلم ، وتنظيم علاقات البشرية بالله بالإيمان الكامل ، وبالشعائر التعبدية وطاعة الله فى تطبيق أحكامه وشرائعه ، قال الله تعالى مبينا هذه الحقيقة (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين) (١) .

فالله سبحانه وتعالى شرع للمسلمين دينا يحوى ماجاء به الأنبياء من نوح إلى عيسى عليه الصلاة والسلام . والقرآن هو الصورة الأخيرة لكتاب الله الواحد المتحد الأصل والوجهة والمساير لحاجات البشر ، وقد ورد حديث يدل على عظمة التوراة التى أنزلها الله على كليمه موسى حيث يذكر أن الله كتب التوراة بيده وهذا يدل على شرفها وعظمتها عند الله تبارك وتعالى .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احتج آدم وموسى ، فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، فقال : آدم أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده ، أتلومنى على أمر

---

(١) الشورى : ١٣ .

قد قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة " . (١) متفق عليه .

فالتوراة كتاب رباني أوحى الله به إلى نبيه موسى عليه الصلاة والسلام شريعة لبني إسرائيل ، ومن بلغت دعوته ، كتاب فيه نور وهدى يوجههم ويرشدهم ويصحح لهم معالم طريقهم الدنيوي والأخروي. وهناك نصوص في التوراة تدل على أن فيها بقايا معاني لم تحرف إذ هي مطابقة لما جاء في القرآن . منها :

١ - ماجاء في سفر الخروج :

" ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا : أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي - لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما في السماء من فوق ، وما في الأرض من تحت ، وما في الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور " . (٢)

٢ - وجاء فيه ايضا :

" فقال الرب لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل ، أنتم رأيتم أنني من السماء تكلمت معكم ، لا تصنعوا معي آلهة فضة ، ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب " . (٣)

وهكذا كانت نصوص التوراة الإلهية تقرر التوحيد كما تقرره كتب الله جميعا إلا أن التحريف غيّر هذه الأصول الدينية إذ قام به أحبار اليهود وعلماؤهم تمشيا مع شهواتهم ورغباتهم المادية ، واستجابة لذوي السلطان والجاه فيهم .

ومما يدل على بقاء نصوص صحيحة في التوراة الموجودة . مايلي : " الرب إلهك تتقي وإياه تعبد وباسمه تحلف ، لا تسيروا وراء آلهة أخرى من إلهة الأمم التي حولكم ، لأن الرب إلهكم إله غيور في وسطكم ، لئلا يحمى غضب الرب إلهكم عليكم فيبيدكم عن وجه الأرض " . (٤)

---

(١) البخاري كتاب القدر ٢١١ ومسلم كتاب القدر ١٣

(٢) الإصحاح : ٢٠/١ - ٦ .

(٣) الإصحاح : ٢٠/٢٢ - ٢٤ .

(٤) سفر التثنية الإصحاح ٦/١٤ - ١٦ .

هذه النصوص المطابقة للحق ولما جاء فى القرآن ربما كانت من التوراة الأصلية الصحيحة ، وإن كان كل مافى التوراة ماكان منه صحيحا وماكان منه محرفا ، ليس لأى شئ منه أدلة نقلية قاطعة ، تثبت أنه من كلام الله ، مهما كان المضمون الفكرى فيه حقا وصدقا .

فإثبات النص أنه من كلام الله حقا ، لا يكفى فيه مطابقته للحق ، أولما جاء فى النصوص الصحيحة الأخرى ، بل لابد أن يكون هو صحيح النسبة بالسند المتصل الذى لا شبهة فيه .

٧ - تحريفهم للتوراة :

يعتقد المسلمون أن التوراة قد حرّفت خلال تاريخها الطويل من بعد موسى والنبيين الذين جاءوا من بنى إسرائيل ، وقد حرفها أحبار اليهود وعلماؤهم وإن لم يكن التحريف تحريفا كليا .

فالتوراة المتبادلة بين اليهود إذن قد أصابها التحريف والتبديل والتغيير والإخفاء ، وهذا الأمر ليس رجما بالغيب أو دعوى بلادليل ، بل هى حقيقة قام عليها برهان ساطع ، ودليل قاطع لا يخفى إلا على من أعمى الله بصيرته .

وقد حاول اليهود تحريف كلام الله فى حياة موسى عليه السلام وهو بين ظهرانيهم يرشدهم ويعظهم .

قال تعالى مخبر عن ذلك وكاشفا عن تلك الحقيقة :

(أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون) (١) .

روى ابن جرير الطبرى رحمه الله بسنده عن محمد بن اسحاق أنه قال : « بلغنى عن بعض أهل العلم أنهم قالوا لموسى : ياموسى ، قد حيل بيننا وبين رؤية الله عز وجل فاسمعنا كلامه حين يكلمك فطلب ذلك موسى " عليه السلام " إلى ربه فقال : نعم

---

(١) البقرة : ٧٥ .

فمرهم فليتطهروا وليطهروا ثيابهم ويصوموا ففعلوا - ثم خرج بهم موسى حتى أتـــوا الطـور فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى عليه السلام أن يسجدوا ، فوقعوا سجـــدا وكلمه ربـه فسمعوا كلامه يأمرهم وينهاهم ، حتى عقلوا ماسمعوا ، ثم انصرف بهم إلـى بنى إسرائيل ، فلما جاء وهم حرّف فريق منهم ماأمرهم الله به ، وقالوا حين قـــال موسى لبنى إسرائيل : إن الله قد أمركم بكذا وكذا ، قال ذلك الفريق الذى ذكرهم الله إنما قال كذا وكذا خلافا لما قال الله عز وجل لهم ، فهم الذين عنى الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وقال إنما عنى بذلك من سمع كلامه من بنى إسرائيل سماع موسى إياه منه ، ثم حرف ذلك ويدل من بعد سماعه وعلمه به وفهمه إياه ، وذلك أن اللـــه جل ثناؤه إنما أخبر أن التحريف كان من فريق منهم كانوا يسمعون كلام الله عز وجـــل استعظاما من الله لما كانوا يأتون من البهتان بعد توكيد الحجة عليهم والبرهان .

ويقول أيضا رحمه الله : "فقال لهم : كيف تطمعون فى تصديق هؤلاء اليهـود إياكم ، وإنما تخبرونهم بالذى تخبرونهم من الأنبياء عن الله عز وجل عن غيب لم شاهدوه ولم يعاينوه ، وقد كان بعضهم يسمع من الله كلامه وأمره ونهيه ، ثم يبدله ويحرفـــه ويجحده ، فهؤلاء الذين بين أظهركم من بقايا نسلهم أحرى أن يجحدوا ماأتيتموهم به من الحق ، وهم لا يسمعونه من الله ، وإنما يسمعون منكم ، وأقرب إلى أن يحرفـوا مافى كتبهم من صفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ، ويبدلوه وهم به عالمـــون فيجحدوه ويكذبوه من أوائلهم الذين باشروا كلام الله من الله جل ثناؤه ، ثم حرفـــوه من بعد ماعقلوه وعلموه متعمدين التحريف". (١)

إذا كان القوم على هذا المستوى فى عهد الرسالة والنبوة فماذا يكون الحـــال فيما يلى عصر النبوة ؟ ومما لا شك فيه أنه إذا لم يكن هناك وازع دينى ولا حاجز إيمانـــى يقف امام شهواتهم وأهوائهم لا ريب فى أنهم يغيرون ويحرفون حسبما تملى عليهـــم

---

(١) جامع البيان : ١/٣٦٧ - ٣٦٨ .

تلك الشهوات وتلك الرغبات ، يقول الله تبارك وتعالى : (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا . فويل لهم مماكتبت أيديهم وويل لهم ممايكسبون)(١) نتساءل ماهو هذا الكتاب الذى كتبوه بأيديهم ثم نسبوه إلى الله إن لم تكن التوراة التى يتداولونها بينهم ؟ فالله تعالى أخبر عباده وهو أصدق القائلين بأنهم كتبوا كتابا ، وليس هو كتاب الله الذى تركه موسى عليه السلام ، وإنما هو كتاب من عند أنفسهم ، كتبوه لغرض تضليل العباد وخاصة العامة ، ولغرض حصول عرض من الدنيا الفانية . يقول ابن جرير الطبرى رحمه الله :

« فأعلم ربنا عباده المؤمنين أن أحبار اليهود تولوا كتابة الكذب والفرية على الله بأيديهم على علم منهم ، وعمد للكذب على الله ثم تنحله إلى أنه من عند الله وفى كتاب الله تكذيبا على الله وافتراء عليه »(٢) .

وعلى هذا فيكون هؤلاء المحرفون هم أعلم اليهود وأعرفهم بالحقيقة المنزلة عليهم من عند الله ، وهم الأحبار والربانيون الذين يتلون كلام الله المنزل على نبيهم موسى عليه السلام فى التوراة ثم يحرفونه عن مواضعه ، ويؤولونه تأويلات بعيدة تخرج به عن دائرته ، لا عن جهل بحقيقة مواضعه ولكن تعمدا للتحريف ، وعلما بهذا التحريف ، يدفعهم الهوى وتقودهم المصلحة ويحدوهم الغرض المريض(٣) . ويقول تبارك وتعالى : (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به)(٤) .

وقال جل ثناؤه : (ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه)(٥) .

---

(١) البقرة : ٧٩ .
(٢) جامع البيان ١/٣٦٧-٣٦٨ .
(٣) فى ظلال القرآن ١/١٠٩ .
(٤) المائدة : ١٣ .
(٥) المائدة : ٤١ .

وقال جل وعلا :

(وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب ويقولون هو من عند الله ، وماهو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) (١) .

فهذا خبر من عند الله تبارك وتعالى ، أبان أن هؤلاء مطرودون من رحمة الله وأن قلوبهم قاسية غليظة جامدة ويابسة بسبب نقضهم ميثاقهم ، فهم يحرفون كلام الله عن مواضعه ، وهو الكلام الذى أنزله على نبيهم موسى فى التوراة ، فهم يبدلونه ، ويغيرونه ، ويكتبون بأيديهم غير الذى أنزله الله ، ويؤلونه تأويلات باطلة . ويقولون لجهالهم هذا هو كلام الله الذى أنزله على موسى ، وهو التوراة التى أوحى الله بها إليه .

وحين يكون التحريف بالتأويل الباطل يزعمون أن هذه التأويلات هى المعانى المراد من كلام الله ، وليس ذلك الذى لووا ألسنتهم فيه ، فأحدثوه مماأنزله الله على أحد من أنبيائه ، ولكنه مماأحدثوه من قبل أنفسهم ، افتراء على الله ، والحاقا بكتاب الله ماليس منه ، طلبا للرياسة أو الخسيس من حطام الدنيا .

روى ابن كثير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ورقة من التوراة فى يد عمر بن الخطاب ، فأمره بإلقائها ونصحه أن لا يضيع وقته فى قراءة مابها من كذب وتحريف ثم قال : " ألم آتكم بها بيضاء نقية ، والله لو أن موسى كان حيا ماوسعه إلا اتباعى " (٢) .

إن هذه التوراة المزعومة ملطخة بظلمات التحريف والتغيير ، وقد أنزل الله على الرسول فى القرآن كل خير له صفة الدوام مما اشتملت التوراة وسائر الكتب السابقة من عقيدة وشريعة وقصص فأحياها فى صورتها الصحيحه نقية بيضاء ، وأن موسى لو بعث الآن لتبرأ من توراتهم ، واتبع قرآن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقضية تحريف التوراة الموجودة عند أهل الكتاب قضية مسلمة قد شهد بها القرآن الكريم ، وهى

---

(١) آل عمران : ٧٨ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١/١٩٨ .

ليست التوراة التى أنزلت على موسى صلى الله عليه وسلم ذات التعاليم المقدسة والشريعة الربانية ، بل هى توراة مزيفة ، فيها القليل من الحق والكثير من الزيف ، قال تعالى : (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا)(١) .

جاء جماعة من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطلبون تخفيف الحكم على الزانيين اليهوديين ، لأن الحكم الزانى المحصن عندهم فى التوراة الرجم أتوه لعلهم يجدون التخفيف عنده ، لأنهم كانوا يعلمون أنه على دين الحق ، وأن حكمه من الله تبارك وتعالى (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)(٢) فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحكم فى التوراة ، فأجابوا خلاف ما فى التوراة ، فطلب أن يأتوا بالتوراة فيتلوها ، ففعلوا ذلك ، لكن القارئ لما أتى على آية الرجم قفز إلى ما بعدها ولم يقرأها ، فعرف مكرهم أحد الجالسين عند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فطلب من التالى أن يرفع يده ويقرأ ما تحتها ، فلما رفع يده فإذا هى بآية الرجم كما أنزلها الله متفقة تماما مع حكم الإسلام ، وكان سؤال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تحديا ومبينا لهم أن الحكم فى كلا الكتابين واحد ، وإنما هم الذين يحاولون التبديل والتحريف على طريقتهم .

وهذه هى القصة كما جاءت فى صحيح البخارى :

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيهودى ويهودية قد أحدثا جميعا ، فقال لهم ما تجدون فى كتابكم ؟ قالوا : إن أحبارنا قد أحدثوا تحميم الوجه والتجبيه ، قال عبد الله بن سلام ادعوهم يا رسول الله بالتوراة فأتى بها فوضع أحدهم يده على آية الرجم ، وجعل يقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال عبد الله بن سلام ارفع يدك فإذا آية الرجم تحت يده فأمر بهما رسول الله صلى الله

---

(١) الأنعام : ٩١ .
(٢) قطعة من آية ١٤٦ من البقرة .

عليه وآله وسلم ، فرجما " فنزل قوله تعالى : (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) (١) .

ومن تحريفاتهم أيضا تحليل ماحرم الله تعالى فى التوراة وتحريم ماأحله الله تمشيا مع شهواتهم وأهوائهم .

روى ابن جرير الطبرى عن عدى بن حاتم قال : " أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفى عنقى صليب من ذهب ، فقال : ياعدى ، اطرح عنك هذا الوثن من عنقك فقال : فطرحته وانتهيت إليه وهو يقرأ فى سورة براء ، فقرأ هذه الآية : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) (٢) . قال : قلت يارسول الله إنا لسنا نعبدهم فقال : أليس يحرمون ماأحل الله فتحرمونه ، ويحلون ماحرم الله فتحلونه ؟ قال : قلت بلى . قال : فتلك عبادتهم " (٣) .

فهذه الأدلة من القرآن والسنة تدل على تحريف التوراة وتبديلها ، أما الأدلة من توراتهم نفسها فهى كثيرة ، وصورها تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وباختلاف الأغراض والأشخاص ، وذلك لتعلق تأليفها وأحوالها بهذه الأمور .

ولذلك نأخذ أمثلة قليلة منها نبين فيها تحريفهم ، ولا يستطيع أن ينكرها اليهود ولا غيرهم ، فهى شواهد من واقع الأسفار الخمسة التى تتكون منها مجموعة التوراة عندهم .

الأمثلة :

أولا : مايتعلق بحق الله سبحانه وتعالى .

لقد ثبت عقلا وشرعا أن الله عز وجل ليس كمثله شئ ، لا فى ذاته ولا فى أسمائه وصفاته وأفعاله ، وقد أنزل الله فى القرآن الكريم ، (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) (٤) .

---

(١) كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة باب الرجم فى البلاط .
(٢) التوبة : ٣١ .
(٣) جامع البيان ١٠/١٠٤ . وانظر سنن الترمذى فى كتاب التفسير سورة ٩/١٠ والحديث حسن كما قال الترمذى .
(٤) الشورى : ١١ .

ولكن اليهود يصرون على تشبيه الله بالمخلوقات وخاصة الإنسان منها متأثرين بالمتشابهات الموجودة فى كتبهم ، وقد تكون محرفة كليا ، من ذلك ماجاء فى سفر التكوين : "وقال الله : نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ... فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه" (١) .

ويقول الشهرستانى وهو يبين سبب اعتقادهم هذا التشبيه : "أما التشبيه فلأنهم وجدوا التوراة ملئت من المتشابهات مثل الصورة والمشافهة والتكلم جهرا والنزول على طور سيناء انتقالا والاستواء على العرش استقرارا وجوازا لرؤية فوقا" (٢) .

أ - يعتقدون أن الله يتعب ويعجز عن العمل :

يعتقد اليهود أن الله سبحانه وتعالى يتعب كمايتعب الإنسان ، ويحتاج إلى الراحة بعد تعب ، ويزعمون أن الله لما خلق السموات والأرض أصابه الكسل والتعب وذلك فى خلال ستة أيام ، فاستراح فى اليوم السابع وهو يوم السبت : : فيحرم العمل فى ذلك اليوم لأجل ذلك ، تقول توراتهم : « فأكملت السموات والأرض وكل جندها وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل ، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا" (٣) .

وقد قامت الأدلة القاطعة على أن الله سبحانه وتعالى منزه عن التعب واللغوب وعن العجز والكسل ، وقد رد القرآن هذه الفرية على الله تعالى فى قوله : (٤)
(ولقد خلقنا السموات والأرض ومابينهما فى ستة أيام وماسنا من لغوب) .

---

(١) انظر الإصحاح ٢٨/١ .
(٢) الملل والنحل ٢١٢/١ .
(٣) سفر التكوين الإصحاح ٢/ ١ - ٤ .
(٤) ق : ٣٨ .

وهذا ليس متشابها [بعض] لأن هذه الصفات جاءت فى الكتاب والسنة وأنها ثابتة لله تعالى بلا كيف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف .

وقال الشهرستانى : " وقد أجمعت اليهود عن آخرهم على أن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض استوى على عرشه مستلقيا على قفاه واضعا إحدى رجليه على الأخرى " (١) .

٣ - ينسبون إليه الحزن .

كما يعتقد اليهود أن الله يلحقه الحزن والندم على مافات وانقضى وقته وكأنه لا يدرى عواقب الأمور ، تقول توراتهم المحرفة : " ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه ، فقال الرب امحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته ، الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء ، لأنى حزنت أنى عملتهم " (٢) .

فيبدوا من هذا الاعتقاد الفاسد القبيح الذى لا يقره دين إلهى ، أن الله سبحانه لم يحط علمه بالمخلوقات قبل وجودها ، وأنه لا يدرى ماسيكون وكيف يكون إلا بعد ظهوره ، وهذا يؤدى إلى القول بالبداءة على الله تعالى - تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا - (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) (٣)

فالله سبحانه وتعالى يقول فى رد مثل هذه الفرية :

(لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما) (٤) .

فعلم الله شامل لكل شئ ومحيط به فيعلم ماكان وماهو كائن وماسيكون .

٤ - ينسبون اليه النبيين :

يعتقد اليهود أن لله بنين ، وأنهم قد افتتنوا ببنات الآدميين اللائى قد كثرن فى الأرض عددا ، فاتخذوهن خليلات واتصلوا بهن وأنجبوا منهن نسلا امتاز ببسط الجسم ، وهم جبابرة الذين سكنوا الأرض قبل الطوفان ، تقول توراتهم :

---

(١) الملل والنحل ١/ ٢١٩ .
(٢) سفر التكوين الإصحاح ٦/ ٦ - ٨ . (٣) الكهف الآية ٥
(٤) الطلاق : ١٢ .

" وحدث لما ابتدا الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل مااختاروا) (١) " .

وجاء فيها : (كان فى الأرض طغاة فى تلك الأيام وبعد ذلك أيضا إذ دخل بنو الله على بنات الناس ولدن لهم أولادا ، هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذو اسم) (٢) .

تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فهو (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) .

٤ - ينسبون إليه الضعف وعدم القدرة على من يعاديه :

لقد ذكر سفر التكوين أن يعقوب عليه السلام لقى الله ذات ليلة فأخذ يصارعه حتى بزغ الفجر دون أن يستطيع التغلب عليه ، فعندها ضرب حُقّ فخذه فطلب أن يخلى سبيله ، ولكن يعقوب لم يقبل ذلك حتى يباركه ، فقبل الله ذلك الشرط وباركه . تقول توراتهم : " فبقى يعقوب وحده ، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقّ فخذه فانخلع من فخذ يعقوب فى مصارعته معه ، وقال اطلقنى لأنه قد طلع الفجر ، فقال لا أطلقك إن لم تباركنى ، فقال له : مااسمك فقال يعقوب قال : لا يدعى اسمك فى مابعد يعقوب بل إسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت " (٣) ، يقول ابن حزم الظاهرى : " ذكر ... أن يعقوب صارع الله عز وجل تعالى الله عن ذلك وعن كل شبه لخلقه ، فكيف عن لعب الصرع الذى لا يفعله إلا أهل البطالة ، وأما أهل العقول فلا يفعلونه لغير ضرورة ، ثم لم يكتفوا بهذه الشهرة حتى قالوا " إن الله عز وجل عجز عن أن يصرع يعقوب بنص كلام توراتهم " (٤) .

---

(١) التكوين ٦ / ١ - ٥ .

(٢) التكوين ٦ / ٤ .

(٣) التكوين ٣٢ / ٢٤ - ٣٢ .

(٤) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ١ / ١١٢ .

ثانيا : مايتعلق بعصمة الأنبياء :

من أمثلة تحريفهم للتوراة مايتعلق بعصمة الأنبياء ، وهى أمثلة كثيرة فى العهد القديم عموما ، وفى التوراة خصوصا ، وكلها تدل على عدم عصمة الأنبياء من المعاصى وحتى الكفر بالله تعالى ، سبحانك هذا بهتان عظيم ، يقول ابن حزم رحمه الله : " القوم مخذولون ، نقلوا دينهم عن زنادقة مستخفين لا مؤنة عليهم أن ينسبوا إلى أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام الكفر والضلال والكذب العمد (١) " .

فمن ذلك مايلى :

١ - افتروا على نبى الله لوط وابنتيه :

زعمت توراتهم التى بأيديهم أن بنتى لوط تحايلتا على أبيهما بعد إهلاك الله لقوم لوط لكفرهم وعصيانهم وفحشهم ، ومن إسرافهم فى الفحش إرتكابهم جريمة اللواط بصورة عامة ومجانة ووقاحة منقطعة النظير ، ولم يبق إلا لوط وابنتاه ، وقد أقام ثلاثتهم عقب ذلك فى غار فى جبل مرتفع ، فقالت الكبيرة للصغيرة مانصه فى توراتهم : " أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض ، هل نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه ، فنحيى من أبينا نسلا ، فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة ، ودخلت البكر (الكبيرة) واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى ، نسقيه خمرا الليلة أيضا ، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابنا ودعت اسمه مؤاب وهو أبو المؤابين إلى اليوم ، والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمى وهو أبو بنى عمون إلى اليوم (٢) " .

٢ - افتراؤهم على نبى الله هارون عليه السلام :

تعتقد اليهود أن الذى صنع العجل لبنى إسرائيل ليعبدوه من دون الله هو

---

(١) المصدر السابق ١/١٤٦ .
(٢) التكوين الإصحاح ١٩/٣٠ - ٣٨ .

هارون ، فهو الذى صنع لهم العجل الذهبى استجابة لطلبهم ، وقد تقدم ذكر ذلك عند حديثنا عن عبادتهم للعجل وبينت أن الذى صنع لهم العجل ليس هو هارون النبى إنما هو موسى السامرى كما جاء (١) فى صريح القرآن ، قال الله تعالى : (قالوا ما أُخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك أُلقى السامرى ، فأُخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى) (٢) وقال تعالى : (ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى) (٣) .

وهذا يؤكد لنا أن التوراة التى بأيديهم ليست التوراة التى أنزلها الله من فوق سبع السموات ، والتى أُنزلت مكتوبة ، ولم يبق منها إلا بعض معالمها .

والخلاص أن توراة موسى كتاب ربانى - كما سبق ان بينت - يقدر عظمة الله جل جلاله ، ولا يصفه إلا ما وصف به نفسه أو وصفه رسوله من صفات الكمال والعظمة وينزهه عن صفات النقصان ، وكذلك يكون طبيعة كل كتاب أنزله الله على رسله .

أما هذه التوراة ، فقد وصفت الله - كما رأينا - بصفات كثيرة من صفات النقص والعجز والجهل والضعف ، ولم ترع لله حقه بل جعلته أضعف من البشر فى بعض الأحيان كما هو مبين فى قصة مصارعة يعقوب مع الله - كما زعموا - وكذلك لم ترع للأنبياء حرمة بل وصفتهم بكل صفات الرذيلة والخسة ، وزعمت أنهم عصوا الله وفعلوا المنكرات بعدما اختارهم الله للرسالة واصطفاهم من بين خلائقه ، فإذن هى ليست التوراة الصحيحة التى [illegible] بها الكليم ~~المعروفة عند المسلمين~~ ، بل جل مافيها مجموعة من الروايات والقصص المشتهرة بين اليهود كتبها أحبارهم بدون رعاية لقواعد التوثيق الخبرى .

---

(١) انظر ص ٢٦ من الرسالة .

(٢) طه : ٨٧ - ٨٨ .

(٣) طه : ٩٠ .

يقول الأستاذ الشيخ عبد الرحمن حنبكة الميدانى : " التوراة التى صدق بها القرآن إنما هى الأصول الأولى التى أنزلها الله على موسى عليه السلام ، أما التوراة الحالية الموجودة عند أهل الكتاب فليس لها سند متصل يصحح نسبتها إلى موسى عليه السلام ، كما دخل إليها التحريف والتبديل من غير تمييز بين الأصل والمحرف ، فلا يصح أن يوثق به " (١) .

وهناك شواهد أخرى من أقوال العلماء سواء أكانوا من المسلمين أو من غيرهم وكلهم يتفقون على أن التوراة محرفة .

وقد أسرف صاحب كتاب قصة الحضارة فأنكر أصول التوراة حيث قال : "كان أهم الأثر للأنبياء فى معاصريهم هو كتاب التوراة ، وكان سبب كتابتها أن الشعب شرع يرتد عن عبادة يهوه إلى عبادة الآلهة الأجنبية ، فأخذ الكهنة يتساءلون ألم يأن لهم أن يقفوا وقفة قوية يمنعون بها تدهور العقيدة القومية ، ورأوا الأنبياء يعزون إلى يهوه مايجيش فى صدورهم من عواطف يؤمنون بها ويعتقدونها فاعتزموا أن يبلغوا الناس رسالة من الله نفسه فى صورة سنن الإلهية تبعث النشاط والقوة فى حياة الأمة الخلقية " (٢) .

هذا الكلام يدل على أن التوراة كتبت بعد موسى عليه السلام حيث يدعى المؤلف أنها لم تكتب إلا بعد أن خاف العلماء من ارتداد القوم إلى عبادة غير عبادة يهوه الذى يعتبره الكهنة إلههم .

يقول أحمد عبد الوهاب نقلا عن دائرة المعارف الأمريكية :

"لم يصلنا أى نسخة بخط المؤلف الأصلى لكتب العهد القديم ، أما النصوص التى بين أيدينا فقد نقلها أجيال عديدة من الكتبة والنساخ ولدينا شواهد وفيرة تبين أن الكتبة قد غيروا بقصد أو بدون قصد منهم فى الوثائق والأسفار التى كان عملهم الرئيسى هو كتابتها ونقلها ، وقد حدث التغير دون قصد حين أخطأوا فى قراءة

---

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها ٢٦٢ .
(٢) قصة الحضارة ٣٥٦/١ .

بعض الكلمات . . . وكذلك حين كانوا ينسخون الكلمة أو السطر مرتين ، وأحيانا ينسون كتابة كلمات بل فقرات بأكملها ، وأما تغييرهم فى النص الأصلى عن قصد فقد مارسوه فى فقرات كاملة حين كانوا يتصورون أنها كتبت خطأ فى الصورة التى بين أيديهم ، كما كانوا يحذفون بعض الكلمات أو الفقرات أو يضيفون على النص الأصلى فقرات توضيحية . ولا يوجد سبب يدعو للافتراض بأن أسفار العهد القديم لم تتعرض للأنواع العادية من الفساد فى عملية النسخ على الأقل فى الفترة التى سبقت اعتبارها أسفارا مقدسة "[1] .

ويقول فريد وجدى فى دائرة معارف لاروس تحت كلمة توراة مايلى :

" العلم العصرى ولا سيما النقد الألمانى قد أثبت بعد أبحاث مستفيضة فى الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات أن هذه التوراة لم يكتبها موسى ، وأنها عمل أحبار لم يذكروا اسمهم عليها ألفوها على التعاقب معتمدين فى تأليفها على روايات سماعية سمعوها قبل أسر بابل ، بل ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الأسفار الخمسة ليس فيها كل الروايات الإسرائيلية ، ولكنها تحتوى فقط على إشارات ورموز وحكايات "[2] .

وهذا الكلام وإن كان معظمه صحيحا فيه نظر لأن المسلمين يعتقدون أن التوراة لم تحرف تحريفا كليا ، وإنما وقع التحريف فى بعضها ، وأن بعض الأحكام التى شرعت لبنى إسرائيل فى التوراة لم تبدل كما تقدم لنا ذلك .

---

(١) إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة ص ٧٦ .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ٢ / ٧٠٢ .

الفصل الثاني

عوامل إنحراف اليهود العقدى .

١ - تأثرهم بالوثنية الفرعونية وعقائدها .

٢ - الكبر والحسد الذميم المفرط الممكن فيهم .

٣ - حبهم الشديد للمال .

٤ - حبهم الشديد للحياة الدنيا وتعلقهم بها .

٥ - الرغبة الشديدة بالفسق والفجور والعصيان .

٦ - نشأة الغلو وعقدة الاستعلاء على الشعوب لدى اليهود .

الفصل الثاني

عوامل انحراف اليهود العقدي .

باستطاعتي في هذا الفصل أن أشير إلى عدة عوامل ، كان لها تأثير في انحراف اليهود الاعتقادي ، وهي :

١ - تأثرهم بالوثنية الفرعونية وعقائدها .

هاجر يعقوب عليه السلام هو وأولاده من كنعان إلى مصر ، بطلب من يوسف عليه السلام ، إذ كان يوسف هو المسئول يومئذ عن خزائن أرض مصر ، بعد أن استخلصه ملكها لنفسه ، وقد كان من شأنه ماقصه الله في سورة يوسف في القرآن الكريم .

فسكنوا فيها أرضا مليئة بعبادة الأوثان والأصنام ، وبين قوم وثنيين ، ومات يعقوب عليه السلام فيها ، وبقى أولاده موحدين في عقيدتهم وعبادتهم لله تعالى وفي مقدمتهم نبي الله يوسف عليه السلام ، وكان بنو إسرائيل في هذه الحقبة من الزمن محترمين لدى المصريين لما كان ليوسف عليه السلام من فضائل ومنن عليهم . فهو الرجل الذي كان السبب في انقاذهم من المجاعة التي كان من المفروض أن تحل بهم لولا أن من الله عليهم به ، فعبر لهم رؤيا الملك ، وأجرى التدبيرات الكفيلة لحفظ الميرة وتوزيعها على سني القحط ، لذلك كان محل تقديرهم وثقتهم ، وكذلك كان إخوته .

وعاش بنو إسرائيل في مصر عيشة هنيئة ، أحرار طلقاء ، مثل أهل البلد أو أكثر من ذلك ، وطال عليهم العهد وهم مختلطون بالوثنيين الذين يحيطون بهم ويعاملون معهم .

وبمرور الزمن وطول العهد عن آبائهم وأجدادهم الذين كانوا على دين صحيح ، تأثروا بالوثنية المصرية ، بعد ماظلوا زمنا طويلا موحدين ومنعزلين عن أهل البلاد عقديا وأخلاقيا ودينيا عموما ، وبسبب هذا الانعزال حقد عليهم المصريون ، وقاموا بمضايقتهم ، وبالغوا في إيذائهم حتى أجبروهم على الدخول

فى الوثنية ، فصاروا وثنيين مثلهم ، فانقلبوا من التوحيد إلى الشرك بالله سبحانه وتعالى يقول سليمان مظهر : "كانت معابد المصريين وقصورهم وبيوتهم مليئة بالأصنام من كل نوع وحجم ، وكان من الطبيعى أن يكره المصريون أولئك العبريين الذين لم يشاركوهم عبادة آلهتهم إلا أن الكراهية تحولت مع مضى الوقت ، وتكاثر عدد العبريين إلى خوف من أن يسيطر هؤلاء العبريون بعقيدتهم فيقضوا بذلك على المعبودات التى عاشت وقتا طويلا قوية مقدسة ، وذات يوم استدعى فرعون كهنته وسحرته وحكماءه ، وسألهم عما يفعله بالعبريين قبل أن يزداد عددهم ويستفحل خطرهم على البلاد .

قال الحكماء لفرعون : إن العبيد لا يفكرون لأنفسهم ، بل هم يفكرون فى العادة تفكير سادتهم ، فإذا نحن أسرنا اليهود واستعبدناهم فإنهم سيجدون أنفسهم بالرغم منهم يفكرون كما نفكر ، ويعتقدون كما نعتقد ، وأخذ الملك بالنصيحة ، وتحقق بالفعل ما أشار إليه الحكماء إذ حالما تم استعبادهم أخذوا بالتدريج يتحولون عن عقيدتهم ويفكرون بالطريقة التى يفكر بها المصريون ويعبدون الآلهة والأصنام التى عبدها المصريون " (١) .

ومن هذا الكلام يتبين لنا أنهم أخذوا كثيرا من عقائد المصريين ، وشعائرهم ومنها عبادة العجل الذى تعلقت به قلوبهم ، ولم يستطيعوا أن يتخلصوا منه إلا فترات محدودة من الزمن ، ذلك أن المصريين كانوا يحبون عبادة العجل أكثر من بقية الأصنام أو المعبودات "وكان العجول المؤلهة إذا ماتت فى مصر حنطوها ودفنوها فى مقبرة خاصة فى جهة سقارة تسمى -سرابيوم- (٢) . وقال الدكتور / احمد شلبى نقلا عن مصادر غريبة :

---

(١) قصة الديانات ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٢) عفيف عبد الفتاح طبارة اليهود فى القرآن ص ٢٢٤ .

"إن اليهود اتخذوا فى بيوتهم أصناما صغيرة كانوا يعبدونها وينقلون بها من مكان إلى مكان، وقد ظل بنو إسرائيل على هذا الاعتقاد حتى جاء موسى عليه السلام وخرج بهم من مصر، ولما جاءهم موسى رسولا من عند الله ليهديهم إلى الطريق المستقيم، وليخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الأوثان إلى عبادة الله الواحد الأحد لم يقبل أكثرهم ماجاء به موسى عليه السلام عقيدة دينية خالصة، بل اتبعوه ليخلصهم من العبودية التى كانوا يعانون منها المشاق والمتاعب فى مصر الفرعونية.

لذلك نجدهم وهم مع موسى عليه السلام يؤكد لهم باستمرار دعوة التوحيد الخالص ينحرفون عن العقيدة الصحيحة، وينفلتون من قيودها الأساسية، ويتمردون على نبيهم موسى عليه السلام مع معرفتهم له أنه نبى من أنبياء الله بعثه الله إليهم فليس بساحر ولا كاهن، ذلك أنه ظهرت على يديه معجزات وآيات بينات تزيل الريب والشكوك ولا يستطيع أحد أن يأتى بمثلها إلا إذا كان نبيا مثله، مؤيدا بتأييد الله سبحانه وتعالى، رأوا تلك المعجزات كلها عيانا، ومع ذلك طلبوا منه أن يجعل لهم أصناما يعبدونها من دون الله لما مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم يعبدونها من دون الله - كما سبق بيان ذلك - وهذا دليل قاطع على أن العقيدة لم تستقر فى نفوسهم.

ومرة أخرى نراهم يرتدون عن الدين لما استبطأوا موسى عند ذهابه ليتلقى التوراة فعبدوا العجل الذى صنع لهم سامرى. لقد حصل لهم هذا بمجرد غيابه عنهم فى أيام قليلة فهم، "لم يتخلوا قط عن عبادة العجل الذهبى، لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية فى ذاكرتهم منذ كانوا فى مصر، وظلوا زمنا طويلا يتخذون هذا الحيوان القوى آكل العشب رمزا لإلههم"(٢).

---

(١) اليهودية ص ١٧٣.
(٢) قصة الحضارة ولديورانت ٢/ ٣٣٨.

لقد لقى موسى عليه السلام المتاعب الشديدة من بني إسرائيل في سبيل دعوتهم إلى عبادة الله وحده ، وكانت المعجزات التي أيده الله بها كافية لانتزاع جميع رواسب الوثنية من قلوبهم ونفوسهم ، وهي الرواسب التي خلفها فيهم طول عهدهم مع المصريين الوثنيين ، لكنهم لم يكونوا كذلك .

فالتصورات الوثنية المادية مهيمنة على نفوسهم ، متمكنة من قلوبهم ، وتعلقهم بالماديات يصرفهم دائما عن كل تصور صحيح سليم ، ويضعف في قلوبهم الإيمان بالغيب ، والاطمئنان إلى أنه لا إله إلا الله الواحد الأحد الذي لا تدركه الأبصار .

فلما رأوا العجل الذهبي قد جمع مادة الذهب الذي يعشقونه ، ومادة صوت الخوار الذي لم يظهر إلا بتأثير غيبي اتخذوه إلها ، فعبدوه وكانت آية حيلة تزيينية يتخذها المضلل السامري كافية للتأثير عليهم ، حتى يصدقوه في أن هذا العجل المصنوع الذي يخور قد حل فيه إلههم ، وبذلك أشربوا في قلوبهم حب هذا العجل قال الله تعالى : (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) (١) .

والذي يواجه الباحث المنصف المتعلق بالحقيقة دون تأويل أو شطحات هوى ودون تعصب أو تزييف هو أن المجتمع الإسرائيلي لم يزدهر بقيم التوحيد الخالص وبأسلوب العبادة الصافية من الشوائب ، إلا في أزمان متفرقة قليلة أو في أفراد قليلين منهم ، مع كثرة الأنبياء فيهم ، وتتابع المذكرات لهم ، والنكبات عليهم ، وكانت تصوراتهم الدينية تتكيف مع ظروفهم واحتياجاتهم اليومية .

ومراحل التطور توشك أن تكون معدومة ، وإن وجدت فعلى حسب المصلحة السهوى (٢) .

---

(١) البقرة : ٩٣ .

(٢) انظر اليهود بين الدين والتاريخ صابر طعيمة ص ٥٣٩ - ٥٤٠ .

واليهود على الرغم من كل المعجزات التى صنعها الله أمامهم ليؤمنوا بـه ، وعلى الرغم من كل التحذيرات التى وجهها الله إليهم لكى يمتنعوا عن عبادة غير الله من أصنام الأمم الأخرى وأوثانها ظلوا طوال تاريخهم يكفرون بالله تعالى ويعبدون الأصنام والأوثان من دونه ، ومع ذلك يتشدقون بأنهم شعب الله المختار .

لقد كانت تتجدد عبادة العجل مرة بعد مرة فى حياة بنى إسرائيل منذ ألقوها عن المصريين . وجاء فى سفر الملوك الأول أن يربعام عمل عجلى ذهب ليعبدهما أتباعه حتى يريحهم من الذهاب إلى الهيكل ، يقول العهد القديم :

" وعمل عجلى ذهب ، فقال لهم : كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم هوذا إلهتك ياإسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر ، ووضع واحد فى بيت إئيل وجعل الآخر فى دان " . (١)

وعلى هذا نستطيع أن نقرر أن بنى إسرائيل لم يستطيعوا أن يستمروا على الإيمان بالله الواحد الأحد الذى دعا إليه جميع الأنبياء والمرسلين وكان اتجاههم نحو التجسيم والتعدد ، وظللوا يميلون إلى الوثنية أكثر مايميلون إلى الوحدانية لذلك كانوا يحاربون كل نبى جاءهم بالتوحيد والإيمان بالله وحده سبحانه وتعالى .

٢ - الكبر والحسد الذميم المفرط .

لقد خلق الله فى الإنسان طبيعة جعلها فى محل الاختبار والابتلاء يفوز من تغلب عليها وكسر شوكتها ، ويخسر من وقع فى حبائلها ، تلك الطبيعة هى : " الحسد " وهى تختلف باختلاف الأفراد والأمم ، فليست سيطرة على فرد ما مثل سيطرتها على فرد آخر ، وليست سيطرة على أمة مثل سيطرتها على أمة أخرى .

لكننا نجد أمة فاقت جميع الأمم باتصافها بخلق الحسد تلك هى " الأمة اليهودية " فقد سيطر عليهم هذا الخلق الموروث والمكتسب بصفة غير عادية ، هذه

---

(١) الإصحاح ١٢/٢٧ - ٢٩ .

هذه حقيقة تاريخية عرفتها البشرية فيهم منذ قديم الزمان ، فلم تفلت من حسد اليهود معظم أمم الارض .

وقد كانت الجريمة الكبرى فى الفكر اليهودى حين ألبسوا حسدهم ثوب الدين وأدخلوا مااقتضاه حسدهم فى عقائدهم وشرائعهم وشعائرهم وستروا هذا الخلق الذميم فيهم بلباس القدسية الدينية ، وأوصوا أجيالهم القادمة بالحفاظ عليها والإلتزام بها واحترامها ، وأدى بهم هذا الداء إلى اعتبار أنفسهم شعب الله المختار وجعل ذلك عقيدة من عقائدهم - وكان ذلك عقدة نفسية متأصلة فيهم ، فهم لا يطيقون أن يروا نعمة إلا حسدوا عليها وحاولوا إزالتها ، مهما تكن الوسائل ، لأنها فى اعتقادهم حق من حقوقهم التى ضاعت منهم أو سلبت منهم .

وهل كان كفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا حسدا من عند أنفسهم واستعلاءً وتكبرا على الحق الذى جاء به من عند الله ؟

قال الله عز وجل كاشف حسدهم للمسلمين إذ جاء رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم من العرب وليس منهم ، وهو الرسول الخاتم الموعودون به (أم يحسدون الناس على ماآتاهم الله من فضله ، فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) (١) .

وقال الله عز وجل بشأنهم :

﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين ، بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين ﴾ (٢) .

---

(١) سورة النساء : ٥٤ .

(٢) سورة البقرة : ٨٩ - ٩٠ .

امثلة لتلك الجرائم :

١ - إن بنى إسرائيل الأولين حسدوا أخاهم من أبيهم يوسف عليه السلام ، وهو قد تربى معهم تحت رعاية أبيهم يعقوب عليه السلام حسدوه بعدما أيقنوا أنه سيكون له شأن فى المستقبل ، وكان ذلك لما علموا نبأ الرؤيا التى رآها فى المنام ، ولقد كان يعقوب عليه السلام يعرف أنهم سيكيدون له كيدا إذا علموا هذه الرؤيا ، لذلك حذر ابنه منهم ، فقال تعالى على لسان يعقوب :

" قال يابنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين " (١) .

ففهم يعقوب من رؤيا يوسف إن الله تعالى سيبلغه منزلة رفيعة يخضع له فيها إخوته وأبواه ، فخاف عليه من حسدهم ، فنهاه عن أن يقص رؤياه عليهم (٢) .

أنه لو لم يعم أبصارهم الحسد لأدركوا أن شرف أخيهم شرف لهم ورفعته رفعة لهم ، ولكن القلوب الكارهة أبت أن ترى يوسف معززا مكرما فى حضرة أبيهم فكانت النهاية أن حاولوا قتله ثم عدلوا عن القتل بالقائه فى الجب ليلتقطه بعض أصحاب القوافل السيارة حتى يخلو لهم وجه أبيهم .

وظلت هذه الطبيعة ملازمة لهم عبر التاريخ الطويل ، وكان لها ظواهر كثيرة فى سلوكهم ؛ وقد سجل عليهم القرآن تلك المؤامرة ضد يوسف عليه السلام بقوله تعالى :

" لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين ، إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين ، أن اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم ، وتكونوا من بعده قوما صالحين ، قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين " (٣) .

---

(١) يوسف : ٤ .
(٢) انظر صفوة التفاسير . ٢/٤٢
(٣) يوسف : ٧ - ١٠ .

٢ - تحدث القرآن الكريم عن قصة حسدهم لرجل اختاره الله من بينهم وآتاه الله بسطة في العلم والجسم ، وهو طالوت الذي جعله ملكا عليهم والذي عينه الله تبارك وتعالى على لسان نبيهم الذي كان موجودا في تلك الفترة ، لقد كان طالوت رجلا مؤمنا صالحا يتقي الله ولديه كفاية للملك ، فاصطفاه الله من بين بني إسرائيل ليقودهم إلى الجهاد في سبيل الله (إن الله اصطفاه عليكم) ومع ذلك نرى اليهود يجادلون في اختيار الله طالوت ملكا عليهم كما أخبرهم نبيهم حسدا واستعلاء على المختار ، ويستنكرون أن يكون طالوت قد بعثه الله ملكا عليهم ، لماذا ؟ لأنهم أحق بذلك منه بالوراثة إذ لم يكن هو من نسل الملوك فيهم ، ولم يؤت سعة من المال .

إن كل هذه الادعاءات خطأ في التصور الصحيح كما أنها مظاهر لسمة نفسية من سمات بني إسرائيل المعروفة فيهم ، قال الله تعالى (وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ، قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطه في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم "(١) .

قيل: إن سبب قولهم : (أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه) إن طالوت كان من سبط بنيامين ولم تكن فيهم النبوة ولا الملك ، لذلك حسدوه لما اختاره الله عليهم ، فرد الله عليهم بأبلغ وجه وأكمله ، كأنه قيل : لا تستبعدوا تملكه عليكم لفقره وانحطاط نسبه عنكم .

« أما الأول : فملاك الأمر : هو اصطفاء الله تعالى ، وقد اصطفاه واختاره وهو سبحانه أعلم بالمصالح منكم .

وأما الثانية : فلأن العمدة وفور العلم ليتمكن به من معرفة أمور السياسة وجسامة البدن ليكون أعظم خطرا على القلوب وأقوى على كفاح الأعداء ومكايد

---

(١) البقرة : ٢٤٧ .

الحروب لا ما ذكرتم ، وقد خصه الله تعالى بحظ وافر منهما.(١)

وقيل: إن عمل طالوت كان السقاية والدباغ ، وكان عالما فلذلك رفعه اللـه.(٢)

ذكر العهد القديم قصة طالوت ، وجاء فيها إن الملك قد أفسده ، وأنه حسد نبي الله داود عليهم السلام لما هزم جالوت أمامه وقتله.(٣)

٣ - استكبارهم على عيسى عليه السلام رسول الله ، لأنه جاء بما لا تهوى أنفسهم إذا اشتمل على تعاليم تدعو إلى أخلاق سامية وإرشادات قويمة تتعارض مع أخلاق اليهود وعاداتهم الذميمة التي استعصت على جميع الأنبياء والمرسلين قال تعالى حكاية عن ذلك : (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) .(٤)

لقد كانوا ينتظرون المسيح المخلص وكانوا يعتقدون أنه يأتيهم على صورة الملك ليس على صورة نبي ، ولما جاءهم ولم يجدوا فيه ما كانوا يظنون حسدوه وكفروا به وقرروا التخلص منه حتى قال رجل منهم : لأن يموت رجل واحد خير من أن يذهب الشعب بأسره ، فأجمعوا في قتله ، ولكن الله نجاه منهم ، لأنه العزيز الحكيم .

٤ - حسدهم لرسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولأصحابه : قال اللـه تعالى في ذلك :

(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ، أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) .(٥)

---

(١) تفسير روح المعاني : ١٦٦/١ .
(٢) تفسير القرطبي ٣٤٥/٣ .
(٣) وقد سماه العهد القديم بشاول: انظر صموئيل الأول ١٨/٨-٩ و ٢٠/٣١-٣٢ و ٢٨/١٨-١٩ .
(٤) البقرة ٨٧ .
(٥) النساء ٥١ - ٥٤

وقال الله عز وجـــل :

(ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون علـــى الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا بـه فلعنة الله على الكافرين)(١) .

لقد بين القرآن حسد اليهود للرسول وهو عربى إذ جاءته النبوة الخاتمـــة وكانوا ينتظرونها لرجل من بنى إسرائيل ، وحسدوا العرب على أنهم سيحتلون فـى هذه الرسالة الخاتمة مركزا القيادة والصف الأول من الأمة الإسلامية .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد لليهود خيرا ، ولكنهم كرهوا أن يروا الخير فى غيرهم ، وأن ينزل الله الهداية على من يشاء من عباده .

(بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله علـى من يشاء من عباده)(٢) .

قال عبد الله بن عباس فى تفسير قوله تعالى : (أم يحسدون الناس علـــى ماآتاهـم الله من فضله) حسدوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم على النبوة وحسدوا أصحابه على الإيمان ، والمعنى : بل أيحسدون النبى صلى الله عليه وآله وسلـم والمؤمنين على النبوة التى فضل الله بها محمدا وشرف بها العرب ، ويحســدون المؤمنين على ازدياد العز والتمكين . فهم هكذا لا يرضون أن تكون النبوة فى غيرهـم وأن تكون النعمة فى غير يهـودى(٣) .

٣ - حبهـم الشديد للمال :

حب المال قضية مشتركة بين بنى آدم ، وهى غريزة طبعها الله فى نفـــوس البشرية ، كل فرد من أفرادها يحب التملك ، ويرغب الملكية يستوى فى ذلك الصغير والكبير ، فكل يحب أن يرى شيئا يمتلكـه قل أو كثر ، يريد أن يرى شيئا يخصـــه دون أن يشترك معه غيره. إذا صفـة حب المال صفة يشترك فيها الناس جميعا .

---

(١) البقرة ٨٩ .
(٢) البقرة ٩٠ .
(٣) انظر صفوة التفاسير ١/ ٢٨٢ .

وقد أبان الله ذلك بقوله عز وجل : (إن الإنسان لربه لكنود ، وإنه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد) (١) .

وبقوله جل جلاله : (وتحبون المال حبا جما) (٢) .

وقد نزلت الشرائع الربانية لضبط هذه الغريزة ، كما نزلت لضبط سائر غرائز الإنسان من أن تنطلق انطلاقات تفسد الفرد وتضره ، أو تفسد المجتمع وتضره أو يكون منها ضرر ماطى الدين أو الأخلاق أو غير ذلك ، فمن ضبط بإرادته الواعية سلوكه أحاط غريزته بحدود وقيود ~~ومن لم يضبط سلوكه بإرادته الواعية~~ ~~سلوكه أحاط غريزته بحدود وقيود~~ ومن لم يضبط سلوكه بإرادته الواعية أهمل غريزته ، فانطلقت انطلاقا عشوائيا جاهلا مضرا ومفسدا ، وبذلك يسقط المنطلقون بلا ضوابط ولا قيود فى الرذائل الخلقية والسلوكية ، ويندفعون إلى شقائهم ومهالكهم ونجد فى معظم الأمم على اختلاف مذاهبهم ونحلهم أفرادا من كل أمة يحاولون ضبط غرائزهم ، ومنها غريزة حب المال بنسب متفاوتة ، ونجد أفرادا آخرين يتركون غريزتهم تنطلق على سجيتها دون ضابط يقيدها ويحدد حدود انطلاقها .

وظواهر الضبط وأساليبه ، تختلف من أمة إلى أمة ، ومن فرد إلى فرد ، وذلك بحسب اختلاف عقائدها ومفاهيمها ومايؤمنون بها فى الحياة .

ولكن نجد أمة يهود قد انفردت بصفة جماعية وشاملة من سائر أمم الأرض بعشق المال والسعى إلى جمعه ومنعه بأية وسيلة دون وادع من دين أو خلق ، مااستطاعوا إلى ذلك سبيلا مأمونا من العقوبة المعجلة فى الدنيا التى تفوق مايغنمونه من مال بغير طريق مشروع ، وقد نستثنى منهم قلة قليلة نادرة .

---

(١) العاديات : ٦ - ٨ .

(٢) الفجر : ٢٠ .

فأمة يهود لم يوجد مثلها فى تاريخ البشرية فى حب المال والسعى إلى جمعه ومنعه بأية وسيلة ، لقد سلكوا فى ذلك كل الطرق المشروعة وغير المشروعة مع أنهم من البشر فى أصل غريزتهم ، لكنهم أفسدوا نفوسهم بمواريث فكرية وخلقية وسلوكية ، جعلتهم ينفردون من بين أمم الأرض بظاهرة الجشع الشنيع ، والحرص الشديد ، واتخاذ كل وسيلة لسلب أموال الناس ، دون جهد يبذلونه فى استنباط المال واستثماره وتنميته .

ومن وسائلهم: الربا والفسق والاحتكارات واتخاذ كل حيلة لسلب أموال الناس بالباطل ، ومن تعاليمهم: أن شرائع المنع والخطر الدينى المتعلقة بالمال هم معفيون من التقيد بها ، إذا كانوا يتعاملون مع غيرهم من الأمم ، ولعل ذلك يرجع إلى عقيدتهم التى تصفهم بأنهم شعب الله المختار ، ولهذا هم يريدون السيطرة على العالم ، والمال من وسائلهم الكبرى ، مع أنه قد كان من أسباب تخصيصهم بأحكام مشددة عليهم كسبهم للأموال بغير حق ، كأكل الربا وقد نهوا عنه ، وأكل أموال الناس بالباطل ، مع ماكانوا يمارسون من ظلم وصد عن سبيل الله كثيرا . قال تعالى فيهم :

(فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) (١) .

فتحريم بعض الطيبات عليهم مع أنها كانت فى شريعة الله حلالا ، قد كان بسبب ظلمهم وصدهم عن سبيل الله وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل . ولم ينج أحبارهم وعلماؤهم من داء حب المال الشديد لذلك كانوا يغيرون ويبدلون كتاب الله ، ويكتبون الكتب بأيديهم ومن عند أنفسهم ويزعمون أنها

---

(١) النساء : ١٦٠ .

من عند الله ، لكى ينالوا عرضا من الدنيا الفانية . وقد أنزل الله فيهم (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) (١) .

ومن أجل هذا الحب المفرط للمال استحلوا أموال غيرهم وأكلوا السحت وأخذوا الربا ، واستندوا فى استحلالها إلى أدلة اخترعوها وابتدعوها ثم نسبوها إلى دين الله افتراء على الله وكذبا على دينه ، وزعموا أنهم يقتدون بأنبيائهم إذ نسبوا إليهم أعمالا ، ووصفوهم بأوصاف هم بريئون منها ، وكان افتراؤهم ذلك على أنبيائهم بهدف تبرير جرائم أنفسهم وأعمالهم العدائية ضد البشرية ، كل ذلك يفعلون لأنهم يرون أن الحياة خاصة بهذه الدنيا ، فلا يؤمنون بحساب الآخرة ، أو أنهم لا يرون أن ذلك إثم وظلم ، لأنهم شعب الله المختار ، وأن الله أباح لهم جميع ما فى الأرض ، وأباح لهم الاستيلاء على أموال الناس بغير حق .

إن توراة اليهود تقرر أن من واجب الإسرائيلى غزو شعوب الأرض الأخرى ، وضرب رقاب جميع الرجال البالغين بحد السيف ، واسترقاق جميع نسائها وأطفالها ، ونهب جميع مالهم من مال وعقار ومتاع .

ومن النصوص الموجودة فى كتبهم والتى يستحلون بالاستناد إليها أموال غيرهم مايلى :

أولا : <u>من العهد القديم</u> .

١ - جاء فى سفر التثنية مايلى :

" لا تقرض أخاك بربا ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شئ ما مما تقرض بربا للأجنبى تقرض بربا ، ولكن لأخيك لا تقرض بربا ، لكى يباركك الرب إلهك ، فى كل ما تمتد إليه يدك فى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها (٢) " .

---

(١) البقرة : ٧٩ .
(٢) الإصحاح ٢٣/١٩ .

٢ - وجاء فيه أيضا : "إذا دفعها الرب إلهك "مدينة أعدائهم "إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك ، وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما " (١) .

٣ - ذكر فى التوراة "العهد القديم" أن كليم الله موسى عليه السلام أمر بنى إسرائيل أن يستعيروا أموال المصريين ويأخذوها معهم لما أمره الله بالهجرة من مصر .

جاء فى سفر الخروج مايلى :

" تكلم فى مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب . وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين " .

وقال : " وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى ، طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا ، وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين " (٢) .

والظاهر - والله أعلم - أن هذا من تحريفاتهم للتوراة ، وأنهم قد أخذوا هذه الأموال دون أن يأمرهم موسى عليه السلام بأخذها ، وأدخلوا هذا التحريف فى الكتاب المقدس ليبرروا أعمالهم الإجرامية ، وليستدلوا به على استباحة أموال غيرهم من الأميين . ويدلنا على هذا الاتجاه قوله تعالى فى القرآن الكريم حكاية عنهم :

(قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى) (٣) .

---

(١) الإصحاح ٢٠/١٤ - ١٥ .
(٢) الإصحاح ١٢/٣٥ - ٣٦ .
(٣) طه : ٨٧ .

فاستعمال كلمة " أوزار " وإن كانت فى الأصل بمعنى الأحمال إلا أن اختيارهم هذه الكلمة هنا ، فيه إشعار بأنها "آثام " أو أنهم أخذوها بغير حق شرعى ، فالعارية لا يجوز تملكها ، بل يجب ردها ولو كان صاحبها كافرا أو مشركا .

ثانيا : ماجاء فى التلمود :

١ - " يمكنك أن تغش الغريب وتدينه بالربا الفاحش ، ولكن إذا بعت أو اشتريت شيئا لقريبك " اليهودى " فلايجوز لك أن تراوغه وتساومه " . (١)

٢ - كما أن ربة البيت تعيش من خيرات زوجها هكذا أبناء إسرائيل يجب أن يعيشوا من خيرات أمم الأرض دون أن يتحملوا عناء العمل " . (٢)

٣ - ممنوع عليك رد مافقده الغريب ولو وجدته . (٣)

٤ - مصرح لليهودى أن يغش الأجنبى من خلال التعامل معه فى البيع والشراء والربا " (٤)

وهكذا فالأمى ليس له حرمة إنسانية عندهم ، إنه كالبهائم بل هو أقل قدرا من البهائم ، وأقل حرمة منها ، فلهم أن يسرقوه ويغشوه ، ويكذبوا عليه ويغتصبوا أمواله ، ويهتكوا عرضه ، ويعتبرون ذلك كله قربات وحسنات يثيبهم الله عليها ، وأنه لا يرضى عنهم إلا إذا فعلوا ذلك ، لأن تلمودهم يقول لهم : " كل من يقتل أجنبيا يقرب قربانا إلى الله " ، (٥) فإذا كان قتله قربة إلى الله فمن باب أولى أن يكون قربة مادون ذلك من إيذائه .

ثالثا : ماجاء فى البروتوكولات اليهود :

جاء فى البروتوكول السادس مايلى :

لن يمرّ زمن غير يسير حتى نكون قد أنشأنا مؤسسات احتكارية ضخمة تجتذب الثروات الكبيرة إلى أخزاننا ، رجاء حصرها فى أيدينا ، وسيكون لها نفوذ

---

(١) و (٢) و (٣) همجية التعاليم الصهيونية بولس يوحنا ص ١٥٢ - ١٥٣ ، ١٥٦ .

(٤) جذور البلاء عبد الله التل ص ٨١ .

(٥) المصدر السابق " "

قوى يسيطر على ثروات المسيحيين (١) التى تجرى معها أرصدة الجوييم إلى قرارات تلك الخزائن التى يسهل علينا ابتلاع كل ثرواتهم عند وقوع أول كارثة سياسة ، وأنتم أيها السادة الاقتصاديون الحاضرون معنا الآن قدروا هذه الخطة بما تستحق من التمعن والتفكير لتروا عظمها ، ولما كانت الاستقراطية المسيحية قد فقدت قوتها السياسية ، فلم يعد هناك مايدفع إلى الاكتراث بها إلا أن الاستقراطيين مايزالون ملاك الأرض ، تسمح لهم مواردهم الحرة بأن يكونوا خطرا علينا فمن المحتم أن نغتصب تلك الأملاك ونحرمهم من ريعها بكل وسيلة ، ممكنة ، والطريقة المثلى الضامنة لنجاح مقصدنا هو فرض المزيد من الضرائب على أملاكهم العقارية ورفع الأجور ، وتيسير القروض ومضاعفة فوائدها ، وكل هذا ينقل أملاكهم من أيديهم إلى أيد غريبة ، وحرى بنا فى هذا الوقت أن تكون لنا السيطرة التامة على التجارة والصناعة ... ومهمتنا فى هذا المجال أن تجعل الصناعة تمتص خيرات الأرض ثمر العمل ، وثمر رأس المال وبذلك تنتهى كل ثروات العالم إلى أيدينا ، ويتحول " الجوييم " إلى صعاليك ويخرون ساجدين بين أيدينا قانعين بأن يكون من نصيبهم حق الحياة .

وفى بروتوكول الخامس عشر جاء مايلى :

"إن كل أموال الدنيا ستجتمع فى أيدينا " .

وهكذا إنهم لا هم لهم إلا المال وليس لهم هدف آخر فى هذا الوجود.إنهم يعتقدون أن من جمع المال سهل عليه كل شئ وكل سبب من أسباب الدنيا ، فهو كل حياتهم وكل آمالهم الأولى والاخيرة .

رابعا : ماجاء فى القرآن

لقد سجل القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن معاملات اليهود المالية والاقتصادية ، وتتحدث عن جشعهم وأنانيتهم ومعاملاتهم غير الإنسانية فى أخذ

---

(١) كلامهم هذا كان وهم فى بلدان المسيحيين ، وهو ينطبق على المسلمين وسائر أمم الارض .

الرشوة والربا والغصب وأكل أموال الناس بالباطل - كماسبق - وكشف فضائحهم المالية حيث أفرطوا فى هذا الجانب إفراطا لا مثيل له .

وتحدث القرآن عن هذه الصفة - صفة حب المال - من جوانب كثيرة وعن الطرق التى سلكوها لجلب هذه الأموال ، من ذلك مايلى :

١ - جاء فى القرآن انه جاء بعد قوم موسى خلف ، وصفة هذا الخلف أنهم ورثوا الكتاب ودرسوه ، ولكنهم لم ينفذوا أوامره ، ولم يجتنبوا نواهيه ، ولم تتأثر قلوبهم به ، وكانوا يأخذون عرض الدنيا الحقيرة ثم يدعون بعد ذلك أن الله سيغفر لهم ولا يعاقبهم على ذلك ، وكلما رأوا عرضا من أعراض الدنيا تهافتوا عليه قال تعالى :

(فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتيهم عرض مثله يأخذوه ، ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا مافيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلاتعقلون) (١) .

قال ابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى : " فتبدل من بعدهم بدل سوء ورثوا كتاب الله فعلموه وضيعوا العمل به ، فخالفوا حكمه يرشون فى حكم فيأخذون الرشوة فيه من عرض هذا العاجل " الأدنى " يعنى ب " الأدنى " الأقرب من الآجل الأبعد ، ويقولون : إذا فعلوا ذلك سيغفر لنا ذنوبنا ، تمنيا على الله الأباطيل " (٢) .

ماهذه إلا دعاوى باطلة يصنعها الغرور وأوهام الأمانى ، والدافع إليها حب المال والحرص على جمعه ، ثم هم يصرون على باطلهم وجرائمهم ، لا يتوبون إلى الله ولا يرجعون إليه، وقد بين الله لهم أن الآخرة خير لمن آمن واتقى ، ولكنهم

---

(١) الأعراف : ١٦٩ .

(٢) جامع البيان ١٣/٢١٠ .

لا يعلمون ولا يعقلون إن اتخذوا إلههم هواهم ، ومن أضل ممن اتخذ إلهه هـواه .

٢ - جاء في القرآن مايثبت أنهم كتموا وحرفوا كلام الله الذي أنزل على موسى وعلى من بعده من أنبياء العهد القديم،ومن دوافعهم إلى ذلك جمع الأموال وكنزها قال الله تعالى : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون)(١) .

وقال تعالى : (إن الذين يكتمون ماأنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك مايأكلون في بطونهم إلا النار ، ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم)(٢) .

لقد نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وكتموه وعصوا بذلك ربهم وخانوا آمانتهم ابتغاء ثمن قليل وهو عرض من أعراض هذه الأرض ، ومصلحة شخصية للأحبار أو قومية لليهود : : وكله ثمن قليل ، ولو كان ملك الأرض كلها طوال الدهور فماأقل هذا الثمن لعهد الله ، وماأقل هذا المتاع متاعا حين يقاس بماعند الله (فبئس مايشترون) .

إنهم ابتاعوا بكتمانهم ماأخذ عليهم الميثاق الا يكتموه من أمر نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن العلم والحكمة ليأخذوا عوضا خسيسا حقيرا من عرض الدنيا الفانية(٣) ، ولذلك حرم الله عليهم كل خير ينتفع به المؤمنون يوم القيامة فكان الجزاء من جنس العمل .

٣ - في القرآن مايثبت أن الأحبار والربانيين كتبوا كتابا بأيديهم ومن عند أنفسهم افتروا فيه على الله ، ثم أوهموا الناس وخاصة العامة منهم أن ماكتبوه فيه مأخوذ من كتاب الله أو أنه هو نفسه كتاب الله ، وحملوا الناس على التعبد به قائلين :

---

(١) آل عمران : ١٨٧ .
(٢) البقـرة : ١٧٤ .
(٣) انظر في ظلال القرآن ١/ ٥٤١ .

إن مافيه من عند الله ويمكن الاستغناء به عن كتاب الله الذى نفهم منه مالا يفهم غيرنا ، والغرض من ذلك هو : (ليشتروا به ثمنا قليلا) لابتغاء حطام الدنيا عند الناس وأكل أموالهم بغير حق باسم الدين قال الله عز وجل : (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مماكتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) (١) .

ولا شك أن هذا وعيد لهم بالهلاك العظيم ، ومن الأثمان التى كانوا يأخذونها جزاء افترائهم على الله رشى مالية أو مصالح ومنافع مادية ، وقد وصف الله الثمن بالقلة مع أنه قد يكون كثيرا فى نظر الناس ، لأن كل مايباع به الحق ويترك لأجله فهو قليل، لأن الحق أثمن الأشياء وأغلاها ، وقال الله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) (٢) .

فهم يستغلون مركزهم الدينى بين أقوامهم ليأكلوا أموال الناس بغير حق فينفرون بذلك عن دينهم ويصدونهم عن سبيل الله .

وقد اشتهر اليهود فى الناس جميعا بتكالبهم على الدنيا وتفننهم فى ابتزاز أموال الناس عن طريق الربا الفاحش والميسر والمضاربات المالية المريبة وبيوت الفسق والفجور وسائر ألوان السلب والنهب .

هذا هو شأنهم فى ماضيهم ، وهذا هو شأنهم فى حاضرهم ، ومادامت هذه طبيعتهم فسيظل هذا شأنهم فى مستقبلهم .

(أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) (٣) .

---

(١) البقرة : ٧٩ .

(٢) التوبة : ٣٤ .

(٣) البقرة : ٨٦ .

تلك نتيجة إهمالهم للأمر والنهى ونقضهم ميثاق الله تبارك وتعالى ، إنهم جعلوا حظوظهم من الحياة الدنيا بدلا من الآخرة بمافرطوا فى جنب الله وأهملوا شريعته ، فهم لا يتبعون منها إلا مايوافق أهواءهم ولا يعارض شهواتهم .

٤ - حبهم الشديد للحياة الدنيا وتعلقهم بها :

فقد بين الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز حقيقة حال بنى إسرائيل فى إخلادهم إلى الأرض وحبهم البقاء فيها ، وبين حالهم فى الماضى والحاضر وكذلك يكونون فى المستقبل إلى ماشاء الله ماداموا متمسكين بمواريثهم المنحرفة وعاداتهم وتقاليدهم الفاسدة. والظاهر من سيرتهم ونظام معيشتهم يدل على أنهم سيظلون كذلك ماداموا يهودا . فهم شديدوا الحرص على الحياة وإن كانت فى بؤس وشقاء ، إنهم أحرص الناس على حياة حتى من الذين أشركوا، يريدون مطلق الحياة أيا كانت صورتها، ويتمنى كل واحد منهم أن يعيش ويطول عمره فى الدنيا ألف سنة أو أزيد من ذلك . مع أنه لو تحقق تمنيه هذا لن ينجيه من عذاب الله. قال الله تعالى فى حقهم :

(ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وماهو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بمايعملون) (١) .

أى لتجدن اليهود أشد الناس حرصا على الحياة وأحرص من المشركين أنفسهم وذلك لعلمهم أنهم صائرون إلى النار لإجرامهم (٢).

قال ابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى :

« لتجدن أشد الناس حرصا على الحياة فى الدنيا وأشدهم كراهية للموت اليهود ، وإنما كراهتهم للموت ، لعلمهم بمالهم فى الآخرة من الخزى والهوان الطويل وإنما وصف الله جل ثناؤه اليهود بأنهم أحرص الناس على الحياة ، لعلمهم بما قد أعد لهم فى الآخرة على كفرهم بمالا يقربه أهل الشرك ، فهم للموت أكره من أهل

---

(١) البقرة : ٩٦ .

(٢) وهذا بالنسبة إلى بعض الفرق اليهودية ، وأما غالبية فرقهم فإنها تنكر البعث والجزاء

الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث ، لأنهم يؤمنون بالبعث ويعلمون مالهم هنالك من العذاب ، والمشركون لا يصدقون بالبعث والعقاب ، فاليهود أحرص منهم على الحياة وأكره للموت"(١)

هذه الصفة ، صفة حب الحياة كانت من أبرز القواعد الأساسية فى تركيبهم النفسانى ، والتى سبقوا فيها المشركين أنفسهم ، فأمنية اليهودى الكبرى أن يعمر فى الأرض أطول مدة ممكنة ، لا أن يموت فى شيخوخة الإنسان المعتادة فضلا عن أن يقتل فى شرخ الشباب وزهرة الصبا .

يقول أحد علمائهم : " .... إن الثواب الوحيد الذى كان البررة الصلاح من آل إسرائيل يرجونه هو أن يجود الله عليهم بحياة طويلة باسمه الأفراح واسعة العيش .... وكان اليهودى يرى نهاية الوجود بنهاية الحياة ويرى أنه لا سعادة للإنسان إلا بطيبات الأرض "(٢) .

ويقول سيد قطب : "أية حياة لا يهم أن تكون حياة كريمة ولا حياة مميزة على الاطلاق ، حياة فقط : بهذا التنكير والتحقير حياة ديدان أو حشرات : حياة سلام أنها يهود فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها سواء ، يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ذلك أنهم لا يرجون لقاء الله ، ولا يحسّون أن لهم حياة غير هذه الحياة"(٣).

٥ - الرغبة الشديدة بالفسق والفجور والعصيان :

إن اليهود كسائر البشر ، قد خلقوا مخيرين قادرين على فعل الخير وعلى فعل الشر ، ولكن أكثرهم قد اختار المعصية على الطاعة، والفسق والفجور على البرّ والتقوى فاستعملوا ما وهبهم الله من قدرات فى فعل الشر والإثم ، واستحوذ عليهم الشيطان واستعذبوا الشر وتفننوا فى وسائله ، حتى تفوقوا على جميع الشعوب فى هذا الجانب لقد مارسوا الفسق والفجور فى عصورهم الأولى ، واستمروا كذلك حتى تفاقم إثمهم فى هذا العصر .... تفاقما منقطع

---

(١) جامع البيان ٢/ ٣٦٩ - ٣٧٠ ، كلام الطبرى يفيد أنهم يؤمنون بالآخرة ولكن فى الحقيقة أنهم لا يؤمنون بالآخرة كما يتضح لنا فيما بعد .

(٢) اسمه برنار لازار ، انظر اليهود فى القرآن عفيف طبارة ص ٤٦ .

(٣) فى ظلال القرآن ١/ ٩٢ .

النظير ، وصاروا دعاة كل رذيلة ، وأدخلوا على الوسائل والأساليب المتخذة لممارسات الكبائر الكبرى مستحدثات ومستجدات كثيرة ، الأمر الذى جعل النوازع الشر والفجور جذورا عميقة ضخمة فى نفوسهم ، وفروعا باسقة ، متقدمة فى كل عمل ، وصار الفجور لديهم بمثابة الأمور التى طبعوا عليها ، وغدت الرذائل فى مفاهيمهم فضائل يفتخرون بها .

قد يوجد فى الأمم من يزاول مهنة الشر ويمارس الفسق والفجور ولكن ذلك لا يكون على سبيل الظاهرة الشاملة لمعظم الأفراد فى آية أمة من الأمم مع الاصرار المتوارث والعلم بالحق وتبرير الإثم بالباطل .

بيد أن اليهود قد غلبت على أكثريتهم الساحقة هذه الظاهرة فهم يمارسون الفسق والفجور دون أن يكون لديهم واعظ من داخل أنفسهم أو رادع يردعهم عن الشر من قادة مجتمعاتهم، وكثير منهم يعلم الخير والشر والحق والباطل، وهو مع ذلك يصر على آثامه وجرائمه ، ويجعلها خيرا وحقا ، زورا وبهتانا وتزييفا للحقائق .

إن بين اليهود والفجور علاقة وثيقة قديمة ، قد نبه إليها القرآن الكريم كما دلت عليها كتبهم القديمة والأخبار التاريخية الموثوقة ، فالله سبحانه وتعالى قد أفاض نعماءه على اليهود فما شكروا فضله ، إنه أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب وجعلهم ملوكا وأئمة قبل نزول القرآن الكريم فقابلوا ذلك بالعصيان والتمرد ، لقد بعث إليهم موسى عليه السلام نبيا ليهديهم إلى صراط مستقيم ، وليخرجهم من الظلمات إلى النور فعصوا رسولهم ، وخالفوا أمره وكلما آتاهم بمعجزة طالبوا بالمزيد عنادا وتعنتا حتى ضاق صدره عليه السلام وتبرأ منهم واستعاذ بربه من سوء ما فعلوه .

ثم تتابعت الرسل بعده ، فكلما جاءهم رسول من عند الله كذبوه ، أو قتلوه وكان آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ، فعادوه ، وعاهدوه ثم نقضوا عهدهم له فى أحرج الأوقات ، أوقات الحرب ، فانحازوا إلى أعدائه ليوقعوا الهزيمة به ، ودسوا له السم فى الطعام. وسيتبين لنا ذلك إن شاء الله، ومع ذلك باءوا بالفشل والخسران

المبين . قال الله تعالى وهو يخبر عباده المؤمنين عن موقفهم من الرسل :

(لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) (١) .

إن من نظر في تاريخ شعوب الأرض وعاداتها وتقاليدها لا يجد شعبا عاش في الفسق والفجور مثل الشعب اليهودي .

يقول مارتن لورث (٢) : « أيقنت أن اليهود أناس غلاظ الأكباد ، انحرفوا عن شريعة موسى (عليه السلام) وزوروا كتبه وأقواله .

أما معابدهم فما هي إلا مواخر الفسق والفجور ، فيجب علينا إحراق كتبهم المزورة وتدمير معابدهم القذرة ، لننقذ شعبنا من خطرها ، فلو عاد موسى بنفسه للحياة لأمر بحرقها وإزالتها من الوجود » (٣) .

وقال عالم من علماء اليهود :

لقد زعمنا أننا خلقنا لإنقاذ العالم من الهلاك ، وفاخرنا على الإنسانية بأننا من الشعب المختار ، وادعينا بأن المسيح وجميع الأنبياء هم منا ، مع أننا منذ فجر التاريخ نسعى دون هوادة لنشر الخراب والدمار في العالم ، وشل تقدم الإنسانية بكل السبل والوسائل ، لقد قضينا بفلسفتنا ومبادئنا الهدامة على كل منجزات البشرية الأدبية والمادية ، ودمرنا حضارتها ، وحلنا دون انتشار الأفكار البناءة في مجتمعاتها حتى أوصلناها إلى هذا الوضع المؤسف ، الذي يبكي ضميري ويدمي جوارحي ، وعندما يخطر لي أنني أعرف هوية الذين سببوا هذه الكوارث التي حلت بالعالم يأخذني الغضب على نفسي ، وينتابني الخجل والتقزز من نفسي لأنني أنتسب إلى هؤلاء المجرمين (٤) .

---

(١) المائدة : ٧٠ .

(٢) هو المؤسس مذهب البروتستانت المسيحي .

(٣) المفسدون في الأرض س ناجي ص ٢٧٢ .

(٤) هو د/أوسكار ليفي . المصدر السابق ص ٤٥٨

نماذج من فسقهم وعصيانهم :

أولا : ماذكر فى القـرآن :

١ - من صفاتهم المشهورة المشؤومة أنهم قتلة الأنبياء ، ومن عاداتهم أنهم كلما أرسل الله إليهم رسولا وأمرهم بالتوحيد وعبادة الله عاندوه وعصوه، ومالوا إلى الشرك به سبحانه ، وأن لديهم جرأة عجيبة على انتهاك محارم الله والاعتداء على دعاة الحق للخلاص من معارضتهم للمعاصى التى يرتكبونها ، والمواقف التى يقفونها فى وجه أهوائهم ، وإن كانوا هم أنبياء الله ورسله والصالحين من عباده. تلك سمة من السمات التى اشتهر بها اليهود .

لقد سجل القرآن عليهم هذه الكبيرة الشنيعة تسجيلا لا ينساه التاريخ ، فقال تعالى :

(إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم) (١) .

روى ابن جرير الطبرى بسنده عن أبى عبيدة بن الجراح أنه قال : قلت يارسول الله ، أى الناس أشد عذابا يوم القيامة : قال : " رجل قتل نبيا أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف " ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين) (٢) .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " ياأبا عبيدة ، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار فى ساعة واحدة : فقام مائة رجل واثنا عشر رجل

---

(١) و (٢) آل عمران ٢١ - ٢٢ .

من عباد بنى إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار فى ذلك اليوم وهم الذين ذكرهم الله عز وجل "[١] وقال تعالى :

" ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بمالا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون "[٢] .

« والمعنى يامعشر يهود بنى إسرائيل لقد آتينا موسى التوراة وتابعنا من بعده بالرسل إليكم ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات والحجج إذ بعثناه إليكم وأيدناه بروح القدس ، وأنتم كلما جاءكم رسول من رسلى بغير الذى تهواه نفوسكم استكبرتم عليهم تجبرا وبغيا استكبار إمامكم إبليس ، فكذبتم بعضا منهم وقتلتم بعضا ، فهذا فعلكم أبدا برسلى »[٣] .

وهكذا فهم يقتلون أنبياء الله بغير حق وبغير سبب ولا جريمة إلا كونهم دعوهم إلى عبادة الله وحده وامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

وذكر ابن كثير فى تفسيره حديثا عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال :« قتلت بنو إسرائيل ثلاثمائة نبى من أول النهار ، وأقاموا سوق بقلهم من آخره "[٤] .

وقال تعالى :

(لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بمالا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون)[٥] قال الشيخ عبد الرحمن حبنكة : « وثبت عليهم فى التاريخ أنهم قتلوا من الأنبياء : حزقيال ، وأشعيا وأرميا ويحيى وزكريا »[٦] .

---

(١) جامع البيان ٢/٢١٦ .
(٢) البقرة : ٨٧ .
(٣) جامع البيان : ٢/٣٢٣ - ٣٢٤ .
(٤) تفسير ابن كثير : ١/٣٥٥ .
(٥) المائدة : ٧٠ .
(٦) مكائد يهود عبر التاريخ ص ٢٩ .

٢ - خروجهم على موسى عليه السلام :

لقد عرفنا موقف اليهود من أنبياء الله ورسله عموما ، وذكرت من ذلك مايكفى ولكن مع ذلك فإننى أجد فى نفسى أن لا أترك الموضوع بهذا القدر ، فآثرت أن أذكر مواقفهم العنيدة وبعض الأمور التى وقعت بينهم وبين نبيهم موسى عليه السلام لأنه قد عانى معاناة شديدة من قومه وتحمل منهم متاعب جمة وأذى كثيرا وإضافة الى ماسبق ذكره من مطالبتهم موسى عليه السلام أن يجعل لهم صنما يعبدونه بعد اجتيازهم البحر بالمعجزة الكبرى ، وعبادتهم العجل الذى صنعه لهم السامرى حين ذهب موسى لمناجاة ربه أعرض الحوادث التالية :

أ - من صور تعنتهم على رسولهم ماحكاه الله عنهم إذ قال :

(وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) (١). أخذتهم الصاعقة فأماتهم الله ثم أحياهم من بعد موتهم، لأنهم تجرأوا فى قولهم لموسى لن نصدقك ولن نقر بماجئت به حتى نرى الله جهرة عيانا ، برفع الستار بيننا وبينه ، وكشف الغطاء حتى ننظر إليه بأبصارنا .

ب - لماوصلوا إلى سهول شبه جزيرة سيناء وجاءوا يشكوا إلى موسى عليه السلام قد عا ربه فأنزل الله عليهم المن والسلوى ، وبعد أن تفضل الله عليهم بهذه النعم أمرهم أن ياكلوا من هذه الطيبات ولكنهم جحدوا تلك النعم وطلبوا غيرها وقالوا : لن نطيق أن نحبس أنفسنا على طعام واحد ، قال تعالى حكاية عنهم :

(وإذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا ماتنبت الأرض .....) (٢) .

---

(١) البقرة : ٥٥ - ٥٦ .

(٢) البقرة : ٦١ .

ج - أمر الله موسى عليه السلام أن يذهب ببنى إسرائيل إلى الأرض المقدسة لفتحها جهادا فى سبيل الله ، فخاطب موسى قومه فى شأن ذلك ، وحثهم على الجهاد فى سبيل الله وأفهمهم أن قيمة الجهاد عظيمة، وأجر المجاهد كبير قال تعالى فى ذلك :

(ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ، قالوا ياموسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون) (١) .

وبما أن كل جماعة لا يخلو من أن يوجد فى أفرادها ذوو تقوى وبر فقد ظهر من بينهم مستقيمون متقون ، إذ قام رجلان منهم ينصحان قومهما ويحثان على الجهاد فى سبيل الله والتوكل عليه إن كانوا مؤمنين ، وهنا ظهرت فيهم نزعة العصيان والتمرد قال تعالى حكاية ، عنهم :

(قالوا : ياموسى إنا لن ندخلها ابدا ماداموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) (٢) .

فكانت النهاية أن قال نبى الله موسى عليه الصلاة والسلام :

(قال : رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) (٣) .

فوصفهم موسى عليه السلام بأنهم فاسقون .

د - بعد ماانتهى عهد موسى عليه السلام ، ومرت عليهم أربعون سنة فى التيه دخلوا الأرض المقدسة بقيادة يوشع عليه السلام، ولما فتح الله عليهم ، ونصرهم على عدوهم ، أمرهم الله على لسان نبيهم بأن يدخلوا باب المدينة سجدا ، شكرا لله تعالى على ماأنعم عليهم ، وبأن يقولوا " حطة " أى احطط عنا خطايانا

---

(١) المائدة : ٢٠ - ٢١ .
(٢) المائدة : ٢٤ .
(٣) المائدة : ٢٥ .

وأمرهم بأن يستغفروا ، فعصوا أمر الله وبدلوا قولا غير الذى قيل لهم ظلما وعدوانا : قال الله تعالى حكاية عن ذلك :

(وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) (١) .

وروى ابن جرير الطبرى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله سلم : " قال الله تعالى لبنى إسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم ، وقالوا : حبة فى شعيرة " وفى رواية حنطة فى شعيرة " (٢) .

إن الكلام فى هذا الموضوع كثير جدا لا يمكن حصره فى وريقات مثل هذه ، فإن هذا قليل من كثير ، وأختتم هذه الفقرة بما قاله الإمام ابن جرير الطبرى فى تلخيص هذه الفقرة بقوله : عند تفسير قوله تعالى : (وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) :

" ذكرهم بذلك جل ذكره : اختلاف آبائهم وسوء استقامة أسلافهم لأنبيائهم ، مع كثرة معاينتهم من آيات الله جل وعز وعبره ، ماتثلج بأقلها الصدور ، وتطمئن بالتصديق معها النفوس ، وذلك مع تتابع الحجج عليهم ، وسبوغ النعم من الله لديهم ، ومع ذلك مرة يسألون نبيهم أن يجعل لهم إلها غير الله ، ومرة يعبدون العجل من دون الله ، ومرة يقولون لا نصدقك حتى نرى الله جهرة ، وأخرى يقولون له إذا دعوا إلى القتال : (اذهب انت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ومرة يقال لهم : (قولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم) فيقولون : حنطة فى شعيرة

---

(١) البقرة : ٥٨ - ٥٩ .

(٢) جامع البيان : ١/ ٣٠٠ - ٣٠٣ .

الحديث متفق عليه ، البخارى كتاب التفسير ، سورة : ٢/ ٦ . ومسلم كتاب التفسير سورة ١٠١ : ١

ويدخلون الباب من قبل أستاههم ، مع غير ذلك من أفعالهم التى آذوا بها نبيهم عليه السلام التى يكثر احصاؤها " (١) .

ومما قال عنهم ابن قيم الجوزية بقوله : "فالأمة الغضبية هم " اليهود " أهل الكذب والبهت والغدر والمكر والحيل ، قتلة الأنبياء وأكلة السحت - وهو الربا والرشا - أخبث الأمم طوية ، وأردأهم سجية ، وأبعدهم من الرحمة ، وأقربهم من النقمة عادتهم البغضاء ، وديدنهم العداوة والشحناء - بيت السحر والكذب والخيل لا يرون لمن خالفهم فى كفرهم وتكذيبهم الأنبياء حرمة ، ولا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة ، ولا لمن وافقهم عندهم حق ولا شفقة ، ولا لمن شاركهم عندهم عدل ولا نصفة ، ولا لمن خالطهم طمأنينة ولا أمنة ، ولا لمن استعملهم عندهم نصيحة بل أخبثهم أعقلهم ، وأحذقهم أغشهم ، وسليم الناصية وحاشاه أن يوجد بينهم ليس بيهودى على الحقيقة ، أضيق الخلق صدورا ، وأظلمهم بيوتا ، وأنتنهم أفنية وأوحشهم سجية ، تحيتهم لعنة ، ولقاؤهم طيرة ، شعارهم الغضب ودثارهم المقت " (٢) .

ثانيا : ماذكر من فسقهم فى العهد القديم :

ذكر فى العهد القديم بأنهم عصاة وفاعلوا الشر ، وقاتلوا النفس وأنهم زناة مشركون ، وظلمة .

جاء فى سفر أشعيا مايلى :

أ - " ها إن يد الرب لم تقصر عن أن تخلّص ، ولم تثقل أذنه عن أن تسمع ، بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم ، وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع لأن أيديكم قد تنجست بالدم وأصابعكم بالإثم ، شفاهكم تكلمت بالكذب ، ولسانكم يلهج بالشر ، ليس من يدعو بالعدل ، وليس من يحاكم بالحق ، يتكلمون على الباطل ، ويتكلمون بالكذب ، قد حبلوا بتعب وولدوا إثما " (٣) .

---

(١) المصدر السابق : ٢٨٩/١ .
(٢) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى : ص ٨
(٣) الإصحاح ٥٩ / ١ - ٤ .

ب - " أعمالهم أعمال إثم ، وفعل الظلم فى أيديهم ، أرجلهم إلى الشر تجرى وتسرع إلى سفك الدم الزكى ، أفكارهم أفكار إثم ، فى طريهم اغتصاب وسحق طريق السلام لم يعرفوه ، وليس فى مسالكهم عدل ، جعلوا لأنفسهم سبلا معوجة كل من يسير فيها لا يعرف سلاما " (١) .

ج - ويل للأمة الخاطئة ، الشعب الثقيل الإثم ، نسل فاعلى الشر ، أولاد مفسدين تركوا الرب استهانوا بقدّوس إسرائيل ارتدوا إلى وراء ، على مَ تُضرَبون بعد تزدادون زيغانا كل الرأس مريض وكل القلب سقيم " (٢) .

وجاء فى سفر أرميا مايلى :

" هاإنكم متكلون على كلام الكذب لا ينفع ، أتسرقون وتقتلون وتزنون ، وتحلفون كذبا ، وتبخرون للبعل ، وتسيرون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها ، ثم تأتون وتقفون أمامى فى هذا البيت الذى دعى باسمى عليه ، وتقولون ، قد أنقذنا حتى تعملوا كل هذه الرّجسات هل صار هذا البيت الذى دعى باسمى عليه مغارة لصوص فى أعينكم " (٣) .

الله يرفض شفاعة الأنبياء فيهم :

جاء فى العهد القديم مايدل على أن الله يرفض شفاعة الأنبياء فيهم . من ذلك ماجاء فى سفر أرميا فى قوله :

أ - " وأنت فلاتصل لأجل هذا الشعب ، ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة ، لأنى لا أسمع فى وقت صراخهم إلي من قبل بليتهم " (٤) .

---

(١) الإصحاح ٥٩/٧ - ٨ .

(٢) الإصحاح ١/٤ - ٥ .

(٣) الإصحاح ٧/٨ - ١١ .

(٤) الإصحاح ١١/١٤ .

ب - " هكذا أحبوا أن يجولوا ، لم يمنعوا أرجلهم ، فالرب لم يقبلهم الآن يذكر إثمهم ويعاقب خطاياهم ، وقال الرب لى : لا تصل لأجل هذا الشعب للخير حين يصومون لا أسمع صراخهم ، وحين يصعدون محرقة وتقدمة لا أقبلهم بل بالسيف والجوع والوباء أنا أفنيهم " (١) .

ج - " ثم قال الرب لى : وإن وقف موسى وصموئيل أمامى لا تكون نفسى نحو هذا الشعب أطرحهم من أمامى فيخرجوا ، ويكون إذا قالوا لك إلى أين نخرج ، إنك تقول لهم : هكذا قال الرب الذين للموت فإلى الموت ، والذين للسيف فإلى السيف والذين للجوع فإلى الجوع والذين للسبى فإلى السبى " (٢) .

د - " هاأنا ذا جالب عليهم شرا لا يستطيعون أن يخرجوا منه ، ويصرخون إلى فلا أسمع لهم " (٣) .

فهذا يدل على أن الله قد غضب عليهم غضبا شديدا لم يغضب مثله على أحد من الكفار على كثرتهم فى الأرض . وهى شهادة كتابهم المقدس " العهد القديم " على عصيانهم وفجورهم ، وتلك شهادة القرآن ، فالتقيا على وصمهم بالفسق والفجور والعصيان .

لقد أوضح القرآن على أن الله قد لعنهم فى الزبور والإنجيل فى قوله تعالى : " لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) (٤) .

---

(١) الإصحاح ١٤/١٠ - ١٢ .

(٢) الإصحاح ١٥/١ - ٣ .

(٣) الإصحاح ١١/١١ .

(٤) المائدة : ٧٨ - ٧٩ .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : "لعنوا بكل لسان ، لعنوا على عهد موسى فى التوراة ولعنوا على عهد داود فى الزبور ، ولعنوا على عهد عيسى فى الإنجيل ولعنوا على عهد محمد فى القرآن "(١) . وقال الله تعالى فى حقهم :

(وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون "(٢) .

٦ - نشأة الغلو وعقدة الاستعلاء على الشعوب لدى اليهود :

زعم اليهود أنهم شعب الله المختار ، وأنهم أمة مفضلة ، وأنهم أبناء الله وأحباؤه ، ووضعوا فى كتبهم جذور العنصرية والتعصب الأعمى ، ورسخ فى نفوسهم أنهم أفضل شعوب الأرض قاطبة ، وأن الله اختارهم لأنه أحبهم واصطفاهم ، وقد أدى بهم هذا التعصب إلى أن جعلوا الله إلها خاصا بهم ، واحتكروه وحرموا الشعوب الأخرى من الاتصال به(٣) .

إن بنى إسرائيل تفردوا من بين الأمم بآفة خطيرة وخطيئة مدمرة إذ جعلوا ذلك عقيدة ودنيا ، ونسبوه إلى الوحى الأعلى ، وكتبوه فى صلب كتبهم الدينية على أنه منزل من عند الله على أنبيائه .

ونتيجة لهذا فقد كان الاستعلاء الجاهلى الطاغى من أقبح الجرائم التى نسبها اليهود إلى الوحى ، فخانوا بذلك أمانة الله ، ومن الغريب جدا أن يربطوا بالأساطير التى ابتدعوها كل حياتهم وعباداتهم وشعائرهم الدينية ، ومعاملاتهم .

وهاهى بعض الشواهد من مصادرهم ومكتوباتهم تشهد على ماقلناه .

---

(١) مختصر تفسير الطبرى ١/٢١٠ .

(٢) البقرة : ٦١ .

(٣) انظر جذور البلاء ص ٢١ .

أولاً : من العهد القديم :

أ ـ جاء في سفر التثنية مايلي :

" متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها ، وطرد شعوبا كثيرة من أمامك : الحِثيِّين والجرجاشيِّين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك . ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم ، فإنك تحرمهم لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم ، ولا تصاهرهم ، بنتك لا تعط لابنه ، وبنته لا تأخذ لابنك . لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض . ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب ، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذى أقسم لآبائكم (١) .

ب ـ وجاء في سفر التثنية أيضا مايأتي :

" ولكن الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلا قليلا لا تستطيع أن تفنيهم سريعا لئلا تكثر عليك وحوش البرية . ويدفعهم الرب إلهك أمامك ويوقع بهم اضطرابا عظيما حتى يفنوا . ويدفع ملوكهم إلى يدك فتمحو اسمهم من تحت السماء (٢) . لا يقف إنسان في وجهك حتى تفنيهم " .

ج ـ وجاء في سفر اللاويين مايلي :

" أنا الرب إلهكم الذى ميزكم من الشعوب (٣) " .

د ـ وجاء في سفر التثنية مايلي :

" لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اختارك الرب لكى تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض (٤) " .

---

(١) الإصحاح ٧ / ١ - ٨ .
(٢) الإصحاح ٧ / ٢٢ - ٢٥ .
(٣) الإصحاح ٢٠ / ٢٥ .
(٤) الإصحاح ١٤ / ٢ .

هـ - وجاء فى سفر يشوع مايلى :

" ولكن إذا رجعتم ولصقتم ببقية هؤلاء الشعوب أولئك الباقين معكم وصاهرتموهم ودخلتم إليهم وهم إليكم ، فاعلموا يقينا أن الرب إلهكم لا يعود يطرد أولئك الشعوب من أمامكم فيكونوا لكم فخا وشركا وسوطا على جوانبكم وشوكا فى اعينكم " (١) .

استنبط أحبار اليهود من النصوص المتقدمة أنهم هم الشعب المختار عند الله تبارك وتعالى ، وذلك يرجع إلى أصل التكوين ، فهم شعب مقدس جنسا لا لأى اعتبار آخر أنهم باعتبار عنصرهم ، خصهم الله بكل الفضائل واختارهم على جميع الأمم التى على وجه الأرض .

ونظرا إلى هذه النصوص وإلى هذه التعاليم أخذوا يستحلون دماء غيرهم وأموالهم بغير حق .

ثانيا : أدلة من التلمود :

جاء فى التلمود مايلى :

أ - "إن المفاضلة لموجودة بين جميع الأشياء ، كما أن الإنسان يعلو البهيمة كذلك اليهود هم أرفع من شعوب الأرض " (٢) .

ب - "إن الشعب المختار وحده يستحق الحياة الأبدية ، أما الشعوب الباقية فمماثلة للحمير " (٣) .

ج - "إن الله خلق غير اليهود بالصورة البشرية إكراما لليهود ، لأن غير اليهود وجدوا لخدمة اليهود ليلا ونهارا بدون ملل ، ولا يوافق أن يكون خادم الأمير حيوانا له صورة الحيوانية بل يجب أن يكون حيوانا له الصورة الإنسانية " (٤) .

---

(١) الإصحاح ٢٣/١٣ .

(٢) همجية التعاليم الصهيونية نقلا عن التلمود ص ١٣٨ .

(٣) المصدر السابق ص ١٣٨ .

(٤) المصدر السابق ص ١٣٨ .

د ـ " كما أن ربت البيت تعيش من خيرات زوجها ، هكذا أبناء إسرائيل يجب أن يعيشوا من خيرات أمم الأرض ، دون أن يتحملوا عناء العمل " "إذا أغلط غير اليهودى بعملية حسابية أمام إسرائيلى فعليه أن يجاوب - ولو اكتشف الغلط أنا لا أعرف شيئا " إذا رد أحد إلى غريب ما أضاعه فالرب لا يغفر له أبدا " .
(١)
" ممنوع عليك رد مافقده الغريب ولو وجدته " حطم الصالم من الأجانب " .

هـ ـ " ان نفوس اليهود منعم عليها بأن تكون جزءا من الله ، فهى تنبثق من جوهر الله كما ينبثق الولد من جواهر أبيه " .
(٢)

ونظرا إلى هذه التعاليم التلمودية أخذ الأحبار ينشئون أجيالهم عليها ، ويربونهم على وفق الأخلاق التى تدعو إليه ، لأن التلمود عندهم أقدس من التوراة وأوجب اتباعا . لقد شب الكبير والصغير منهم على هذه التعاليم ، وتأصلت العقائد والعادات ، وتعاقب عليها الأجيال وتربى عليها الأخلاق وتنتقل الصفات الدنيئة بعد مر الزمان ، وتتشابه بها قلوب القوم ، وتتعفن العقائد من حين إلى حين ، وتتحد الأفكار فى كل زمان ومكان ، لأنها تستقى من معين واحد ، ومن مصور واحد ، فصارا الكبر وعقدة الاستعلاء عند اليهود من الصفات المتوارثة فى أجيالهم .

ثالثا : أدلة من بروتوكولات الصهيونية :

إن بروتوكولات الصهيونية تعتبر مصدرا من مصادرهم التى يعتمدون عليها فى ارتكاب الجرائم ضد البشرية ، وهى لا تقل خبثا عن التلمود ، بل إنها أحكام استنبطت منه ، وشرائع أخذت عنه .

فمما جاء فيها ما يلى :

أ ـ جاء فى البروتوكول الحادى عشر :

" غير اليهود كقطع الأغنام ، أما نحن فإننا الذئاب وهل تعلمون ماذا تفعل الأغنام إذا اقتحمت الذئاب حظيرتها ... إنها لتغمض عيونها عن كل شئ .

---

(١) و (٢) المصدر السابق ص ١٢٧ ، ١٥١ .

ب ـ وجاء في البروتوكول الرابع عشر مايلي :

" حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض لن نبيح قيام أي دين غير ديننا ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان ، وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمار الملحدين ، فلن يدخل هذا في موضوعنا ، ولكنه سيضرب مثلا للأجيال القادمة التي ستصغي إلى تعاليمنا على دين موسى الذي وكل إلينا بعقيدته الصارمة واجب اخضاع كل الأمم تحت أقدامنا " .

ج ـ وجاء في البروتوكول الخامس عشر مايلي :

" وعقل الأممي لكونه ذا طبيعة بهيمية محضة ـ غير قادر على تحليل أي شيء وملاحظته ، فضلا عن التكهن بما قد يؤدي إليه امتداد حال من الأحوال إذا ـ وضع في ضوء معين ، وهذا الاختلاف التام في العقلية بيننا وبين الأمميين هو الذي يمكن أن يرينا بسهولة أية اختيارنا من عند الله ، وأننا ذوو طبيعة ممتازة فوق الطبيعة البشرية حين تقارن بالعقل الفطري البهيمي عند الأمميين " .

وهكذا فالنفسية اليهودية قد انطوت على الكبر وعقدة الاستعلاء المفرطة وهو إرث ورثوه من أجدادهم ، فقلوبهم مليئة بشعور الاستعلاء والارتفاع على الأمم ، ومحشونة بمشاعر الكراهية الوحشية للمجتمعات البشرية والكيد الدائم لها ويرون أن الواجب على اليهودي أن يبذل كل الجهد في استئصال شأفة الأمم عن وجه الأرض ، لأنهم يدعون أنهم على دين الله ، وأن الله تعالى لم ينزل إلا دينا واحد هو الدين اليهودي .

رابعا : أدلة من القرآن الكريم .

أ ـ جاء في القرآن مايدل على أنهم ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه . قال الله تعالى : (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض ومابينهما وإليه المصير) (١) .

---

(١) المائدة : ١٧ .

ذكر ابن جرير الطبرى سبب نزول هذه الآية بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : " أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن أضاء وبحرى بن عمرو وشأس بن عدى ، فكلموه فكلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته ، فقالوا : ماتخوفنا يامحمد : : نحن والله أبناء الله وأحباؤه ، فأنزل الله فيهم " الآية " (١) .

ب - وجاء فيه أيضا مايدل على أنهم ادعوا أنه ليس عليهم فى الأميين أى إثم إذا اعتدوا عليهم : قال الله عز وجل : ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ (٢) .

والذين لا أمانة لهم هم اليهود .

ج - وجاء فيه مايدل على أنهم قالوا : نحن لا ندخل النار ، فإذا دخلناها فلانبقى فيها الا أياما معدودات .

قال الله تعالى عن ذلك :

(وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ، قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون) (٣) .

د - وجاء فيه مايدل على أنهم زعموا أن الجنة خاصة بهم لا يشاركهم فى دخولها ولا فى نعيمها أحد من خلق الله ، قال الله عز وجل : (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) (٤) .

فهذه أدلة القرآن الكريم التى تبين ماتنطوى عليه هذه النفوس السيئة ، وهى

---

(١) جامع البيان : ١٠/ ١٥٠ .

(٢) آل عمران : ٧٥ .

(٣) البقرة : ٨٠ .

(٤) البقرة : ٩٤ .

حقائق جاءت من عند الله العزيز الحكيم ، الذى يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور فالله سبحانه وتعالى أعلم بهم وبماهم عليه فى الماضى والحاضر : (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (١) .

لذلك جاء الرد القرآنى على هذه الفرية على النحو التالى :

أ ـ دعوى الأفضلية الذاتية العنصرية لم تثبت بدليل عقلى ولا شرعى ، وإنما فضلهم الله على أهل زمانهم بتحملهم رسالة الله للناس ، فقد كانوا هم أهل الرسالة فى عالم وثنى لذلك مدحهم الله فى القرآن الكريم فى قوله عز وجل :

(يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين) (٢) .

أى اذكروا نعمى الكثيرة عليكم وعلى آبائكم ، واذكروا تفضيلى لكم على سائر الأمم فى زمانكم .

ب ـ ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه ، فدعوى البنوة لله تعالى دعوى باطلة ، حيث إن الله تبارك وتعالى نفى ذلك عن نفسه بقوله عز وجل (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا ، وماينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ، إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا) (٣) وقال عز وجل :

(وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له مافى السموات والأرض كل له قانتون) (٤) .

وقال عز وجل : (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) .

وبهذا يتبين أن الله لم يجعل أحدا من خلقه ابنا له .

وإنما أحباب الله هم المطيعون العابدون لا العصاة .

---

(١) الملك : ١٤ .

(٢) البقرة : ١٢٢ .

(٣) مريم : ٨٨ ــ ٩٣ .

(٤) البقرة : ١١٦ .

لقد ثبت في النصوص الدينية أن الله يحب المتقين والمحسنين ، لا الفجار والكافرين والعاصين ، قال الله عز وجل :

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) (١) .

ج - ادعوا أن الله لا يعذبهم ، وإن عذبهم فتلك أيام قليلة معدودة وهذا مناف لنصوص الجزاء والحساب وطبيعة المسئولية والتكليف ، ويتنافى مع قاعدة العدل الرباني التي أعلن فيها التساوي بين خلقه في الحساب والجزاء ، فليس من العدل الرباني أن يعاقب عصاة الناس ويعفى عصاة بني إسرائيل بحسب جنسهم

د - ادعوا أن الله خصهم بنعيم الجنة وخيراتها ، فدعوى الخصوصية بدخول الجنة لا دليل عليها لا من الناحية النقلية ولا من الناحية العقلية ، قال تعالى ردا على تلك : (قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون) (٢) .

أي لم تتخذوا عند الله عهدا ، استفهام إنكاري .

وقال عز من قائل :

(قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) (٣) .

يقول ابن جرير الطبري عند تفسير قوله تعالى : (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) الى آخر الآية .

" إنما هذا من الله عز وجل وعيد لهؤلاء اليهود والنصارى المتكلين على منازل سلفهم الخيار عند الله الذين فضلهم جل وعز بطاعتهم إياه ، واجتباهم لمسارعتهم الى رضاه ، واصطبارهم على ما نابهم فيه ، يقول لهم لا تغتروا بمكان أولئك مني

---

(١) آل عمران : ٣١ . (٢) البقرة : ٨٠ .

(٣) الجمعة : ٦ - ٧ .

ومنازلهم عندى ، فإنهم إنما نالوا منى بالطاعة لى ، وإيثار رضاى على محابهم لا بالأمانى فجدوا فى طاعتى ، وانتهوا إلى أمرى وانزجروا عما نهيتهم عنه ، فإنى إنما أغفر ذنوب من أشاء أن أغفر ذنوبه من أهل طاعتى ، وأعذب من أشاء تعذيبه من أهل معصيتى ، لا لمن قربت زلفة آبائه منى وهو لى عدو ولأمرى ونهيى مخالف "(١) .

ويقول سيد قطب :

" واليهود .... بادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه كانوا يقولون تبعا لهذا إن الله لن يعذبهم بذنوبهم : وأنهم لن يدخلوا النار - إذا دخلوا - إلا أياما معدودات ، ومعنى هذا أن عدل الله لا يجرى مجراه : وأنه سبحانه يحابى فريقا من عباده ، فيدعهم يفسدون فى الأرض ثم لا يعذبهم الله عذاب المفسدين الآخرين فأى فساد فى الحياة يمكن أن ينشأ عن مثل هذا التصور ؟ وأى اضطراب فى الحياة يمكن أن ينشئه مثل هذا الانحراف "(٢) .

وبهذا تبين لنا أن كل ماتدعيه اليهود من الأمانى باطل لا تقوم له حجة ، فهم كاذبون فى تلك الدعاوى وهى صادرة عنهم لا عن برهان ، لذلك أمرهم الله بتمنى الموت ، لأن من يعتقد أنه من أهل الجنة كان الموت أحب إليه من الحياة ، ويقول لهم أنتم تقولون كلاما لا تعتقدون مضمونه ولو كنتم تعتقدون مضمونه اعتقادا جازما لكان الموت أحب إليكم من الحياة ، لأنكم بالموت تصلون إلى جنات النعيم ، لكنكم أحرص الناس على الحياة الدنيا .

وأخيرا أقول إن الميزان الحقيقى الذى يميز بين الصالح والطالح وبين الصادق والكاذب هو قوله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)(٣) .

---

(١) جامع البيان ١٠/١٥٣ .
(٢) فى ظلال القرآن ٢/٨٦٦ - ٨٦٧ .
(٣) الحجرات : ١٣ .

* الفصـــل الثالـث *

اختلاف فرقهـم حول قضايـا إعتقـاديـــة

١ ـ الفريسيـــة .

٢ ـ الصدوقية

٣ ـ السامـــرة

٤ ـ العنانيـــة أو القرائـيين .

الفصل الثالث :

اختلاف فرقهم حول قضايا اعتقادية

افترقت اليهود فيما بينهم إلى فرق كثيرة ، كثرة بالغة ، واشتد الخلاف فيمابينهم حتى حكم بعضهم على بعض بالكفر والخروج من الدين .

وتختلف هذه الفرق فى مبادئها وأسسها الاعتقادية ، فالخلاف لم يكن مقصورا على الفروع والأحكام فحسب ، إنما هو فى أصول الدين وأمهات المسائل الاعتقادية إلا أنهم اتفقوا على أن أساس دينهم التوراة ، واتفقوا على التشبيه والتجسيم .

يقول الشهرستانى : " وأجمع اليهود على أن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات استوى على عرشه مستلقيا على قفاه وأضعا احدى رجليه على الأخرى "(١).

ولكنهم اختلفوا اختلافا كثيرا فيما وراء ذلك . ولعل اختلافهم هذا يرجع الى تأثرهم بالفكر اليونانى ، لأن علماءهم تأثروا بقراءة الفكر اليونانى ، وبخاصة فلسفة أفلاطون وفيثاغورس وأرسطو ، كماذكر محمود المنوفى (٢).

وأما عدد الفرق اليهودية ، فإن علماء الفرق لم يتفقوا عليها . يقول ابن حزم الظاهرى : "وأما اليهود فإنهم قد افترقوا على خمس فرق وهى السامرة والصدوقية والعنانية ، والربانية والعيسوية"(٣) . أما الشهرستانى فإنه يقول : "واختلفوا نيفا وسبعين فرقة ، ثم ذكر أهم تلك الفرق .

ويظهر من كلام الشهرستانى أن عدد فرق اليهود أكثر بكثير مما ذكره ابن حزم وهو القول الذى أميل إليه لورود الحديث فى شأن ذلك .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " افترقت اليهود على احدى أوثنتين وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على احدى اوثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة " رواه أبو داود والترمذى (٤).

---

(١) الملل والنحل ٢ / ٢٤ .
(٢) انظر الدين والفلسفة والعلم لمحمود المنوفى ص ١٢٥ .
(٣) الفصل ١ / ٩٨ .
(٤) أبو داود : السنة حديث ٤٥٩٦ ، الترمذى : الإيمان حديث ٢٧٧٨ .
وواه ابن ماجة أيضا : الفتن حديث ٣٩٩١ ، وقال الترمذى حديث حسن صحيح .

وهذا الحديث دليل على أن اليهود افترقوا على فرق كثيرة وإن لم يتمكن العلماء المعثور على تلك الفرق كلها ، ولذلك ذكروا عددا قليلا جدا بالنسبة لما ذكر في الحديث النبوي إما لكون بعض الفرق قد انقرضت ، وإما لكونها لم يكن لها دور فعال في إبراز حقائقها الإعتقادية .

أما الأمور التي اختلفت الفرق الرئيسية حول قضاياها الاعتقادية فكثيرة ولكن أهمها :

١ - مايتعلق بالعهد القديم ، وأسفار التلمود ، والأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، فقد اختلفوا حول الإيمان بها كلها أو بعضها كما سيأتي تفصيل ذلك ، إن شاء الله .

٢ - مايتعلق بمسائل القضاء والقدر .

٣ - مايتعلق بمسائل البعث والنشور والحياة الأخرى .

٤ - مايتعلق بقضية عصمة الحاخامات ، واعتبار أقوالهم وحيا من الله أولا .

٥ - اختلافهم حول الإيمان بالأنبياء .

٦ - اختلافهم في المسيح المنتظر ومجيئه .

٧ - اختلافهم أيضا في غير ذلك من أمور اعتقادية . والفرق التي اخترتها لأتحدث عنها في هذا الفصل هي أربع فرق : الفريسية والصدوقية والسامرية والعنانية وسبب اختياري لها كونها أهم الفرق في اليهودية ، ومعظم سائر الفرق تندمج في هذه الفرق الأربع .

١ - الفريسية :

معنى الفريسية : الفرقة المنعزلة أو المنشقة ، وهذه التسمية أطلقها عليهم أعداؤهم ، لذلك فهم يكرهونها ويسمون أنفسهم " الأحبار " أو " الإخوة في الله " أو " الربانيين " أو الرفقاء " (١) .

---

(١) انظر أحمد شلبي ، اليهود ، نقلا عن مصادر أجنبية ص ٢٢٦ .

رأيهم فى العهد القديم والتلمود والأحاديث الشفوية .

الفريسية من اليهود يقدسون التوراة والتلمود معا باعتبار أن التلمود

... فى اعتقادهم موحى به ، ويعتقدون أن التوراة بأسفارها

الخمسة خلقت منذ الأزل ، وكانت مدونة على الألواح مقدسة ، ثم أوحى الله

بها إلى موسى ، وعلى هذا فتدوينها بعد ذلك ، هو فى الحقيقة إعادة تدوين.

ويرون أن التوراة ليست هى كل الكتب المقدسة التى يعتمد عليها ، وإنما هناك

بجانب التوراة روايات شفوية نسبت إلى موسى ، ومجموعات من القواعد والوصايا

والشروح والتفاسير التى تعتبر التوراة الشفوية ، وقد تناقلها الحاخامات من

جيل إلى جيل ، وهى التى صارت فيمابعد أسفار التلمود[(١)] .

ويرون أن التوراة هى للدين والدنيا ولا انفصال بينهما .

وعلى هذا فإن الفريسية تعترف بكل ماهو موجود فى كتبهم كمصدر مقدس ، ورغم

أن فقهاءهم الذين يطلق عليهم اسم الربانيين هم الذين ألفوا أسفار التلمود وأقوال

الأحبار ومذاهبهم . والفريسيون هم أكثر فرق اليهود .

رأيهم فى البعث :

يعتقدون أن البعث والنشور أمر ممكن الوقوع ، وكذلك قيام الأموات ، ويؤمنون

بوجود العالم الآخر ، ويرون أن الصالحين من الأموات سينشرون فى هذه الأرض

ليشتركوا فى ملك المسيح المنتظر ، ولكن إيمانهم باليوم الآخر لم يكن واضحا جليا

كماهو معلوم فى الدين الإسلامى

يقول الدكتور أحمد شلبى :

"إن فكرة البعث لم تجد لها أرضا خصبة فى عالم اليهود ، فقد حاول بعض

طائفة الفريسيين القول بها ، ولكن هذه المحاولة لقيت معارضة شديدة ، أما

---

(١) انظر اليهودية د/ أحمد شلبى ص ٢٢٦ ، والأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام د/ على عبد الواحد وافى ص ٥٥ .

باقى الفرق اليهودية فلم تعرف عنها شيئا " (١) .

وسيأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى :

لذلك نرى تلمود هم الذى يعتبرونه أقدس من العهد القديم يجعل اليوم المطير أفضل من يوم البعث ، حيث يقول :

" اليوم المطير أهم من يوم يبعث الأموات ، مادام البعث للأخيار لا للأشرار بينما المطر لكل من الأخيار والأشرار " (٢) .

رأيهم فى عصمة الحاخامات :

يعتقدون أن للحاخامات سلطة عليا ، وأنهم معصومون من الخطأ ، وأن أقوالهم صادرة عن الله ، وأن مخافتهم هى مخافة الله . ومن أقوالهم فى قولهم :

"إذا احتدم خلاف بين الله والحاخامات فالحق مع الحاخامات " (٣) .

" ويلزم المؤمن أن يعتبر أقوال الحاخامات كالشريعة لأن أقوالهم هى قول الله الحى فإذا قال حاخام إن يدك اليمنى هى اليسرى وبالعكس فصدق قوله ولا تجادله " (٤) .

وقالوا أيضا :

"إن كلمات الربانيين لأشد عذوبة من كلام الأنبياء . . . وإن كل الربانيين حتى أيامنا هذه هم منتطقون بالسلطة الإلهية ، وكل مايقولونه يخرج من فم الله " (٥) .

وقالوا أيضا :

"إذا أتى صوت من السماء يبقى من غير قيمة حتى يحققه الربانى " (٦) .

وقد تصل هذه العصمة إلى أبعد من ذلك إذ قد تمتد إلى حمار ربانى .

"إن حمار الربانى لا يستطيع أن يأكل المحرمات " (٧) .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٠ .

(٢) حكمة الأديان الحية جوزيف كار ترجمة حسين الكيلانى ص ٨٤ .

(٣) و (٤) و (٥) و (٦) و (٧) هجمية التعاليم الصهيونية ص ١٠٣ - ١٠٥ .

سبحانك هذا بهتان عظيم ، فأية غباوة هذه ؟ أمة تعتبر أهل كتاب ثم يكون تصورهم هذا ؟! :

رأيهم فى المسيح المنتظر :

يتوقع هؤلاء الفريسيون مجيء المسيح ينقذ الناس وينشر العدل ويدخلهم فى ديانة موسى ، ويعيد الملك إلى بنى إسرائيل وتخدمه جميع الممالك ، ويخضعون لحكمه ، قالوا :

" وعندئذ يمتلك كل يهودى ألفين وثمانمائة عبد وثلاثمائة وعشرة أبطال يكونون تحت تصرفه وامرته "(١)

ويرون أنه لا يظهر فى الوجود إلا بعد انقراض ملك شعوب الأرض غير اليهودية وتتلاشى الشقاوة .

على هذا فهم ينتظرون عودة المسيح الذى يقيم لهم دولة عالمية .

رأيهم فى القضاء والقدر .

يقولون: إن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها ، ولكن يمكن أن تتأثر الأفعال بالقضاء والقدر الربانيين ، ولكنها غير واقعة بهما ، فهم على هذا مثل القدرية عند المسلمين .

٢ ـ الصدوقية :

قال ابن حزم الظاهرى :

« نسبوا إلى رجل يقال له صدوق »(٢)، ولكن الدكتور أحمد شلبى ينقل مايعارض هذا الرأى ويقول : يرى بعض الباحثين أن هذه التسمية نسبة إلى صادق الكاهن الأعظم الذى عاش فى عهد سليمان أو إلى كاهن آخر بهذا الاسم وجد فى القرن الثالث قبل الميلاد ، وينكر بعضهم هذه النسبة ، لأن حرف الدال مضعّف فى تسمية الفرقة

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٢ .

(٢) الفصل ١/ ٩٨ .

وليس مضعفا فى كلمة صادق ، ثم إن أتباع هذه الفرقة لم يدعوا قط الارتباط بهذا الكاهن أو ذالك ، ويرى أن هذه التسمية من صنع أعدائهم ، وأنها من نوع التسمية بالمضاد ، لأن الصدوقيين عرفوا بالإنكار فسماهم أعداؤهم " الصدوقيين " (١) .

ويقول سهيل ديب : " وقد أطلق عليهم اسم الصادوقيين ، إذ كانوا من سلالة صادق أحد كبار الكهنة فى زمن داود " (٢) .

رأيهم فى العهد القديم والكتب اليهودية الأخرى :

لا تعترف هذه الفرقة إلا بالعهد القديم ، وترفض الأخذ بالأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، وأسفار التلمود ، وينكرونها إنكارا شديدا حتى التوراة نفسها لا يرونها مقدسة قدسية مطلقة ، ولا يلتفتون إلى أقوال الأحبار لأنهم من فرقة الفريسيين وهم ألد أعدائهم (٣) .

رأيهم فى البعث واليوم الآخر :

لا يؤمنون باليوم الآخر ولا بالبعث ، ويعتقدون أن عقاب العصاة وإثابة المحسنين إنما يحصلان فى حياتهم ، إن عمل المرء خيرا أو شرا لقى جزاءه فى حياته ، فالعمل الصالح ينتج الخير والبركة لصاحبه ، والعمل السيء يسبب لصاحبه الأزمات والمتاعب (٤) .

رأيهم فى المسيح المنتظر :

ينكرون المسيح المنتظر ولا يرقبونه ، كما أنهم لا يرون عصمة الحاخامات ولا يعترفون بأقوالهم ، فهم على عكس ماتقوله الفرقة الفريسية (٥) .

رأيهم فى القضاء والقدر :

لا يقولون بالقضاء والقدر ، ويعتقدون بحرية الاختيار ويرون أن الأفعال مخلوقة للإنسان لا لله ، ويعتقدون أن الله خلق الإنسان كفؤا لأن يتولى إرادة شؤونه

---

(١) اليهودية نقلا عن مصادر أجنبية ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .
(٢) التوراة تاريخها وغايتها ص ٣٥ .
(٣) انظر أحمد الشلبى اليهودى ص ٢١٧ .
(٤) انظر الأسفار المقدسة ص ٥٦ .
(٥) انظر اليهودية ص ٢٠١ .

بنفسه وأن من العبث الاخلاد إلى السكينة ، وانتظار إرادة الله ، فى حين أن الإنسان يستطيع أن يحل المشاكل التى أمامه بنفسه لأنه خلق مختارا ذا إرادة . (١)

٣ - فرقة السامرية :

هى جماعة من غير بنى إسرائيل اعتنقوا اليهودية ، ويقيمون فى نابلس ، ويخالفون اليهود جميعا ، ولا يسمون أنفسهم يهودا ولا يرضون أن يطلق عليهم هذا الاسم ولا يقبلون أن يعرفوا بغير السامرة .

رأيهم فى العهد القديم :

يقول الإمام ابن حزم الظاهرى :

"إن بأيدى السامرة توراة غير التوراة التى بأيدى سائر اليهود يزعمون أنها المنزلة ويقطعون أن التى بأيدى اليهود محرفة مبدلة" . (٢)

ولا يعترفون بالتوراة التى بأيدى اليهود إلا الأسفار الخمسة الأولى وينكرون بقية الأسفار من العهد القديم ، وينكرون أيضا أسفار التلمود ، وكل مايتعلق به من الشروح والتعليقات من أقوال الحاخامات ، وقيل : يعترفون أيضا بسفر يوشع أو سفر القضاة . (٣)

رأيهم فى الأنبياء :

لا يؤمنون بالأنبياء الذين جاءوا بعد موسى ويوشع عليهما السلام ، ولا يعترفون لهم بالنبوة ، يقول الإمام ابن حزم :

" ويبطلون كل نبوة كانت فى بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام ، وبعد يوشع عليه السلام ، فيكذبون بنبوة شمعون وداود وسليمان وأشعيا واليسع وإلياس وعاموص وحبقوق وزكريا وأرميا وغيرهم . (٤)

---

(١) انظر الدين والفلسفة والعلم ، محمود المنوفى ص ١٢٥ . وانظر اليهودية ص ٢٠٢.
(٢) الفصل ١/١١٧ . (٣) انظر الأسفار المقدسة ص ٥٨ .
(٤) الفصل ١/٩٩

رأيهم فى البعث :

لا يؤمنون بالبعث ولا باليوم الآخر ولا الحساب والجزاء فهم لا يرون وقوع ذلك البتة .

٤ ـ فرقة العنانية (أو القرائين) .(١)

تنسب هذه الفرقة إلى رجل يقال له عنان بن داود أحد علماء اليهود كان فى بغداد فى أواخر القرن الثامن من بعد الميلاد ، فى عهد الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور ، وبهذا تكون الفرقة قد أُنشئت بعد نشأة الديانة الموسوية بنحو عشرين قرنا ، فعلى هذا تعتبر هذه الفرقة من أحدث الفرق اليهودية وجودا .(٢)

رأيهم فى العهد القديم :

لا يتعدون شرائع التوراة وماجاء فى كتب الأنبياء عليهم السلام ، ولا يقدسون غير التوراة ، ويفسرونها معتمدين على الأدلة العقلية.وباب الاجتهاد عندهم مفتوح بعكس الربانيين والحاخامات .(٣)

ويقال : إن معنى القرائين عندهم المتمسكون بالكتاب وحده أى أسفار العهد القديم وحدها ، وليس لديهم روايات شفوية يتناقلونها خلفا عن سلف .

رأيهم فى الأنبياء :

هذه الفرقة تصدق عيسى عليه السلام فى مواعظه وإرشاداته ، ويقولون : إنه لم يخالف التوراة البتة ، بل قررها ودعا الناس إليها ، وهو من بنى إسرائيل المتعبدين بالتوراة ومن المستجيبين لموسى عليه السلام ، إلا أنهم لا يقولون بنبوته ورسالته ، ويقولون : إنه لم يدع الرسالة والنبوة ولا صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى بل هو أحد أولياء الله المخلصين العارفين أحكام التوراة .

~~(١) انظر الأسفار المقدسة ص ٥٨ .~~

(٢) انظر الأسفار المقدسة على عبد الواحد وافى ص ٦١ .

(٣) انظر الدين والفلسفة والعلم محمود المنوفى ص ١٣٠ .

رأيهم فى البعث :

يعترف العنانيون ويقرون بالبعث والحساب والجزاء ، وقيام الأموات ويؤمنون بوجود العالم الأخرى ، حالتهم مثل حالة الفريسيين فى الإيمان بالبعث ومايتعلق بـه .

رأيهم فى عصمة الحاخامات :

هذه الفرقة لاترى أن للحاخامات عصمة ، ويتبرأون من أقوالهم ، ويكذبونهم وبالتالى لا يعتبرون التلمود مصدرا مقدسا كماسبق ذكر ذلك ، وكذلك الروايات الشفوية التى تنسب إلى الحاخامات(١)

* * * *

(١) انظر اليهود ، ص ١٣٠ .

" الباب الثانـــــي "

إفساد اليهود العقيدة المسيحية .

" الفصـــل الأول "

العقيدة ألتى أنزلت على عيســى عليه السلام .

١ ـ إنحراف بنى إسرائيل عن العقيدة الصحيحــة .

٢ ـ عيسى عليه السلام والعقيدة التى دعا إليهــا .

٣ ـ موقف بنى إسرائيل من دعوة عيسى عليـــه السلام .

الفصل الأول

العقيدة التي أنزلت على عيسى عليه السلام

١ - إنحراف بني إسرائيل عن العقيدة الصحيحة .

اتضح لنا في الفصول الماضية أن اليهود قد انحرفوا عن العقيدة الربانية التي أنزلها الله على نبيه موسى عليه السلام ، كما انحرفوا عن المنهج النبيين الذين جاءوا بعده من بني إسرائيل .

قد عرفنا ذلك كله عن طريق القرآن الكريم الذى هو كلام الله المنزل ، وعرفناه أيضا عن طريق مصادرهم التي يعترفون هم بأنها الكتب المقدسة، قبل مبعث عيسى عليه السلام بلغ مجتمع اليهود مبلغا مسرفا جدا في الانحراف عن العقيدة الربانية التي أنزلها الله وأوضحها موسى عليه السلام ، وشرح لهم مفهومها ، والتي أكدها الأنبياء الذين تتباعوا بعده .

إنهم عبثوا في دين الله كما شاء لهم الهوى ، وتلاعبوا فيه حتى مسّت تحريفاتهم أصول الدين ونصوص العقيدة ، ومن جراء ذلك عم الفساد بين اليهود ، وتفشت الرذيلة وعبادة المادة وانحرفوا عن جادة الحق والصواب وصار همهم الكبير هو جمع المال حتى فسدت عقولهم ، وفسد نظام تفكيرهم ، وفسد ذوقهم ، واختل إحساسهم ، فأصبحوا يسجدون لمادة ، وشاركهم أحبارهم وهم علماء الدين والربانيون منهم في معظم أو كل هذه المساوئ إلى أبعد الحدود ، وبدلا من أن يعملوا على إصلاح الأوضاع الفاسدة ، تعاونوا مع الظالمين على شعوبهم ، ففرضوا أنفسهم أربابًا من دون الله يحلون بأهوائهم ويحرمون ، ليأكلوا أموال الناس بالباطل ويصدوا عن سبيل الله ويخضع قومهم لأنظمتهم الجائرة حتى استوى عندهم المفسد والمصلح والتقي والفاجر ، وغدا كل شئ في مجتمعهم يسوقهم إلى الشقاء والدمار إذ صاروا لا هم لهم سوى الانغماس في الشهوات ، وتوفير ألوان الترف والاستمتاع بملذات الحياة الدنيا .

لقد طال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، ففسق أكثرهم ، وبسبب تماديهم في الغي قتلوا أنبياء الله ، وكذبوا الكتب التى أنزلت عليهم ، ونشروا الالحاد والفجور فى بقاع الأرض وانتشر الظلام ، وانطمس النور الذى جاء من عند رب العالمين ، فعبدوا الأصنام والأوثان ، فضلوا وعموا عن دين الله وأنكروا البعث والنشور ، وكذبوا بالحشر والحساب على ماقدموا ، وكفروا بالجنة والنار وصاروا يتأجرون بدينهم ، واستغلوا الناس ، وأخذوا ثرواتهم باسم الدين حتى صدوا الناس عن دين الله ، وشتموا الله عز وجل بكلام فاقوا فيه إبليس اللعين فقالوا :

يد الله مغلولة - غلت أيديهم - (١) وقالوا : (إن الله فقير ونحن أغنياء) (٢)

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

عبدوا المادة - كماسبق بيانه - وابتعدوا عن الروحية ومؤثراتها والغيبيات الدينية ، وانغمس أكثرهم فى متاع الحياة الدنيا غير خائف من عاقبة ولا متوقع لحساب .

وافترقوا على مجموعات متناصرة تكفر بعضها بعضا وتناصب العداء فيما بينها فوقعوا فى المهالك والمهاوى ، فأصبحوا غير متميزين عن الوثنيين عقيدة وأخلاقا كماسبق .

وكان من سنة الله فى الخلق ، أنه كلما فسدت عقيدتهم وأخلاقهم أن يرسل الله إليهم رسولا ينقذهم من الهلاك والدمار الذى سيلحقهم بسبب ذنوبهم .

---

(١) المائدة : ٦٤ .

(٢) آل عمران : ١٨١ .

٢ - عيسى عليه السلام والعقيدة التى دعا إليها .

أولا : من هو عيسى المسيح صلاة الله وسلامه عليه ؟

هو عيسى ابن مريم ابنة عمران ، وهو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وهو آخر أنبياء الله ورسله من بنى إسرائيل وقد تعرض القرآن الكريم لتاريخ عيسى عليه السلام منذ حمله حتى رفعه الله إليه ، فلم ينقصه شيئا من صفاته ، ولم يعطه من الصفات إلا ما هو له .

فقال الله تعالى بشأنه :

(واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذت من دونهم حجابا ، فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ، قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ، قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ، قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا . قال : كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا ، فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ، فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلى واشربى وقرى عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا ، فأتت به قومها تحمله ، قالوا : يامريم لقد جئت شيئا فريا ، ياأخت هارون ماكان أبوك امرأ سوء وماكانت أمك بغيا فأشارت إليه ، قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ، قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أين ماكنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا ، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ، ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون) (١) .

---

(١) مريم : ١٦ - ٣٤ .

(إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخره ومن المقربين ، ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين ، قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر . قال : كذلك الله يخلق مايشاء ، إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) (١) .

هذا هو تاريخ عيسى قبل النبوة ، قد أوجزه القرآن إيجازا شافيا يغنى جميع المصادر التاريخية ، لأن ذلك صدق لا يحتمل الكذب ، أما المصادر الأخرى فهى عرضة للكذب والتحريف ، ولا تخلو عن التزييف والتغيير .

وقد بين القرآن الكريم أن عيسى عبد من عباد الله ، لا يتميز عن غيره إلا من حيث ولادته بلا أب ، وهذا لا يجعله إلها ولا يخرجه من الإنسانية، فالله سبحانه وتعالى خلقه وصوره فى الرحم كما صور غيره من المخلوقات وأنه خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم ، ثم قال له كن فكان .

عن عبادة بن صامت رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ماكان من العمل " (٢) .

يقول ابن جرير الطبرى رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون) .

« يقول الله تعالى ذكره : هذا الذى بينت لكم صفته وأخبرتكم خبره ، وهو قول الحق ، يعنى أن هذا الخبر الذى قصصته عليكم قول الحق والكلام الذى تلوته عليكم قول الله وخبره ، لا خبر غيره الذى يقع فيه الوهم والشك والزيادة والنقصان

---

(١) آل عمران ٤٥ - ٤٧ .

(٢) متفق عليه : البخارى كتاب الأنبياء ٤٧ ومسلم كتاب الإيمان ٤٦ .

على ماكان يقول الله تعالى ذكره ، فقولوا فى عيسى أيها الناس هذا القول الذى أخبركم الله به عنه ، لا ماقالته اليهود الذين زعموا أنه لغير رشدة وأنه كان ساحرا كذابا ، ولا ماقالته النصارى من أنه : كان لله ولدا ، وأن الله لم يتخذوا ولدا ولا ينبغى ذلك له " (١) .

وقد شاء حكمة الله أن تبرز تلك المعجزة الخارقة ، بميلاد عيسى عليه السلام من أم بلا أب ، لتظل آثار القدرة الربانية ماثلة أمام الأبصار بعظمة الواحد القهار " (٢) .

ثانيا : ماهى دعوة عيسى عليه السلام ؟

إذا تتبعنا آيات القرآن الكريم وتدبرناها نجد أن عيسى عليه السلام دعا بمادعا به الأنبياء والمرسلون قبله ، وهو الإيمان بالله وحده ، وما أنزل عليه من الآيات البينات ، ونرى القرآن يوضح حقيقته ، وأنه بشر ، وأنه رسول من الله لهداية خلقه ، وأن رسالته كانت الدعوة إلى توحيد الله ، التوحيد فى العقيدة ، والتوحيد فى العبادة ، فالعبادة خالصة لله تعالى وحده ، والتوحيد فى ذاته وصفاته ، ليست لصفاته مشابهة بالخلق بل هو منزه عن الولد ، ودعوة التوحيد المطلق تقرر أن الله وحده هو الخالق المقتدر وهو الإله المعبود وهى دعوة لا تشوبها شائبة وهى السمة العامة للأديان الربانية جميعا ، الأنبياء كلهم دعوا إلى هذه العقيدة - كماتقدم - وكذلك أتباع الأنبياء الذين آمنوا بالحق. إنها عقيدة الأولين والآخرين من المؤمنين .

وقد أخبر عيسى عليه السلام عن نفسه بأنه عبد الله أتاه الله الكتاب وجعله نبيا فقال :

---

(١) جامع البيان ١٦/٦٢ .

(٢) انظر صفوة التفاسير : ٢/٢١٠ .

(إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا)(١) .

ودعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وقد بين الله دعوته هذه بقوله :

(وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وماللظالمين من أنصار ، لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ومامن إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم)(٢) وقال تعالى ذكره :

(ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خير لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ، له مافي السموات ومافي الأرض وكفى بالله وكيلا)(٣) .

وأخبر عيسى عن حقيقة نفسه فقال: إني وإياكم عبيد الله فأعبدوه ، ولا تعبدوا ربا سواه ، وإني أوصيكم بأتباع الطريق المستقيم الذي أمر به ربي ، فإنه من سلك هذا الطريق نجا ، ومن اتبعه اهتدى ، لأنه دين رب العالمين ، والحق الذي أمر به أنبياءه .

قال الله عز وجل :

(ماكان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)(٤) .

وهكذا بعث الله عيسى عليه السلام ليعيد للإنسانية كرامتها التي أهدرها اليهود ، وليرد بني إسرائيل إلى جادة الحق والصواب وليهذب أخلاقهم وليربيهم على حب الخير ويحببهم به ، وليربيهم على البعد عن الشر ، وعبادة المال

---

(١) مريم : ٣٠ .

(٢) المائدة ٧٢ - ٧٣ .

(٣) النساء : ١٧١ .

(٤) مريم : ٣٥ - ٣٦ .

والمادة ، جاءهم يبشرهم برسالته ، ويدعوهم إلى أتباعه ، ويسعى فى أن يردهم عن زيفهم ، ويصدهم عن ضلالهم ، ويبين لهم مااختلفوا فيه من الحلال والحرام ويحل لهم بعض الذى حرم عليهم (١) .

قال الله عز وجل :

(ولما جاءهم عيسى بالبينات قال : قد جئتكم بالحكمة ، ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه ، فاتقوا الله وأطيعون إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) (٢) .

وقد أتاه الله الكتاب فيه آيات بينات ، وتلقى من ربه الوحى وعلمه التوراة والإنجيل . قال الله عز وجل :

(ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) (٣) .

وقال عز من قائل :

(وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لمابين يديه من التوراة وأتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) (٤) .

وقد شرع الله له ماشرع للأنبياء من الدين .

فقال تعالى :

(شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك ، وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) (٥) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الأولى والآخرة " قالوا : كيف يارسول الله ؟

---

(١) انظر أحسن القصص على فكرى ص ١٣٨ .

(٢) الزخرف : ٦٣ - ٦٤ .

(٣) آل عمران : ٤٨ .

(٤) المائدة : ٤٦ .

(٥) الشورى : ١٣ .

قال : " الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ، ودينهم واحد فليس بنبيا نبى "
(١)
رواه مسلم .

ومعنى الحديث : أصل إيمانهم واحد أى إنهم متفقون فى أصول التوحيد

وهكذا فإن عيسى عليه السلام لم يكن إلا رسولا من رسل الله عز وجل فهو واحد من

هؤلاء الرسل الذين بعثوا بالدعوة إلى توحيد الله ، وابطال عبادة الطاغوت :

وقد أيده الله بمعجزات باهرة ، تخرس الألسنة ، وتقطع الطريق على منكرى

رسالته ، أعطاه الله معجزات تحرك القلوب الساكنة إلى الإيمان بالله الواحد

الأحد ، لو كان الدليل وحده يهدى النفوس الضالة والقلوب الشاردة إلى الإيمان

لكان ذلك كافيا ، ولكن قلوب القوم قد تحجرت وتجمدت ، فلم تصل الآيات

إليها ، حتى قالوا : قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا .

وقال تعالى مخبرا عن ذلك ، وعن تلك الدلائل التى أيد بها عبده ورسوله

عيسى عليه السلام :

(ورسولا إلى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من

الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ، وأبرئ الأكمه والأبرص ، وأحى

الموتى بإذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، إن فى ذلك لآية
(٢)
لكم إن كنتم مؤمنين) . وقال تعالى :

(قال عيسى ابن مريم : اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا

لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله : إنى منزلها عليكم
(٣)
فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) .

---

(١) كتاب الفضائل / ١٤٥ ومعنى " أولاد علات " الإخوة لأب من مهات شتى .

(٢) آل عمران : ٤٩ .

(٣) المائدة : ١١٤-١١٥ .

هذه النصوص وغيرها تثبت أن عيسى عليه السلام رسول أرسله الله إلى بني اسرائيل ليرشدهم ويدلهم على الطريق المستقيم ، والإيمان بالله وحده ، الإيمان بالوحدانية الكاملة ، الوحدانية بكل أنواعها وأشكالها وشعبها ، التوحيد في كل شيء ، التوحيد في الربوبية ، والتوحيد في الألوهية ، والتوحيد في الأسماء والصفات فخالق السماوات والأرض ومابينهما هو الله وحده لا شريك له ، ويدل على ذلك بكل وضوح ماقص الله علينا من أنباء صورة السؤال والجواب التي ستكون في محكمة العدل الربانية يوم الدين لعيسى عليه السلام أمام الخلائق ، قال الله عز وجل :

(وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال : سبحانك مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك إنك أنت علام الغيوب ، ماقلت لهم الا ماأمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) (١) .

ولكن مع دعوة عيسى قومه إلى التوحيد الخالص ، مقرونة بالمعجزات الباهرة نرى أكثر القوم يكفرون به وبالآيات التي أيده الله بها ولم يؤمن به إلا قليل من بني إسرائيل قال الله عز وجل :

(فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون) (٢) .

والمقصود أن عيسى عليه السلام لما أقام عليهم الحجج والبراهين استمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطغيانهم فانتبذ من بينهم طائفة ، صالحة فكانوا له أنصارا وأعوانا قاموا بمتابعته ونصرته ومناصحته (٣) .

---

(١) المائدة : ١١٦-١١٧ .

(٢) آل عمران : ٥٢ .

(٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ٨٤ .

٣ - موقف بنى إسرائيل من دعوة عيسى عليه السلام .

أهاب عيسى عليه السلام ببنى إسرائيل أن يرجعوا إلى دين الله ويخلصوا له في العبادة وأن يصححوا ماأدخلوا في شريعتهم من تحريف وتبديل ، وقام يبلغهم أوامر الله ونواهيه كماكلفه الله ، ولم يكن ذلك إلا لإرادة الخير والاصلاح الديني والاعتقادى .

ولقد لقى عيسى عليه السلام من اليهود تعنتا واستكبارا ، ولاقى أثناء دعوته متاعب وشدائد ، وخاصة من العلماء والكهان ورؤساء الدين ، فدخل معهم في جدال طويل ومرير حول المفاهيم العقدية ، لأنهم - كماسبق لنا - حرفوا العقائد والشرائع من أصول الديانة الموسوية ، وخاض معهم في هذه القضايا ، ودحض حججهم بالحجج الدامغة ، والبراهين الساطعة ، وأحرج الكهنة والفريسيين بتعليمه وتجريحه إياهم في طريقتهم وفضح ريائهم وخبثهم ، فأخرجهم ذلك إلى الكيد ضده والتدبير لقتله ، فلما اختمر هذا الأمر في أنفسهم ، شكوا أمره إلى الوالى ، وزينوا شكواهم بمايستدعى اهتمام الوالى ، بأن ادعوا عليه أنه يقول : إنه ملك اليهود وأنهم لا يعرفون بملك سوى قيصر رومية فأرسل الوالى جندا للقبض على المسيح عيسى بن مريم ، فلما أتوا ولم يبق إلا القبض عليه ، والمسيح قد اهتم لهذا الأمر وخشى أن ينالوه بالأذى ، أنقذه الله من أيديهم ، وطهره منهم ، وألقى شبهه على شخص آخر علم فيمابعد أنه تلميذه الخائن ، وعرفته الأناجيل بأنه يهوذا الأسخريوطى - كماهو مشهور - وصار بحيث لا يشك من يراه في أنه يسوع ، فأخذ وصلب وقتل ونجا المسيح من شرهم (١) .

---

(١) انظر مكايد يهودية عبر التاريخ للأستاذ عبد الرحمن الميدانى ص ٣٢ .

والحقيقة التي لا مرية فيها أن عيسى لم يتدخل في شؤون الرومان ولا في سياستهم ، لأنه ماكان يدعو إلا إلى اصلاح يتعلق بالمسائل الدينية ولم يتجه إلى اصلاح الدولة ، ولم يدع إلى إقامة دولة دينية بعد .

فهم قد افتروا عليه كذبا وبهتانا ، رغبة في الانتقام ، ومخافة زوال مراكزهم القيادية في الشؤون الدينية كل ذلك جعلهم يكيدونه ويمكرون به عليه السلام فأغضبوا الحاكم الروماني ، وحرضوه عليه حتى حكم عليه بالإعدام صلبا ، وأصدر أمره بالقبض عليه لتنفيذ قتله ، وكان قادة اليهود الدينيون قد رأوا أن قتله ضروري للمحافظة على الشعب اليهودي ، فأصدر رئيس كهنتهم واسمه " قيافا " الفتوى باستباحة العمل على قتله ، إذ قال بشأنه : لأن يموت رجل واحد خير من أن يذهب الشعب بأسره ، فأجمع عظماء يهود وأحبارهم على العمل على قتله وتحريض الحاكم الروماني لتنفيذ صلبه لذلك لعنهم الله وغضب عليهم وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون . قال الله عز وجل :

(فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف ، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ، وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا أتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما) (١) .

---

(١) النساء : ١٥٥-١٥٨ .

" الفصل الثاني "

المسيحية بعد عيسى عليه السلام .

١ - العقيدة في عهد الحواريين .

٢ - بولس وتعريفه للعقيدة المسيحية .

٣ - الإمبراطور الروماني (قسطنطين) وأخذه بفكرة بولس بعد إعلانه الدخول في النصرانية .

الفصل الثاني

المسيحية بعد عيسى عليه السلام

١ ـ العقيدة فى عهد الحواريين .

أ ـ من هم الحواريون ؟

الحواريون هم الذين أختارهم عيسى عليه السلام من بين السابقين الأولين من أتباعه ، وخاصة الذين اختارهم ليكونوا تلامذة له ، وهم الذين بادروا إلى الإيمان وتتلمذوا له وتعلموا منه ، وهم القلة التى أعلنت إيمانها بجرأة وسط جموع الكافرين. وقد أجابوا دعوة عيسى عليه السلام فى حين كفرت به بنو إسرائيل ونصروه إذ ناصبه جمهور بنى إسرائيل العداء .

لقد ناداهم عيسى عليه السلام لما وجد من بنى إسرائيل الذين أرسله الله إليهم جحودا لنبوته ، وتكذيبا لقوله وصدا عما دعاهم إليه من أمر الله ، فقال من أنصارى إلى الله وأعوانى بحجة الله على المكذبين والمولين عنه دينه .

قال الله تعالى :

(فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله ، واشهد بأنا مسلمون ، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) (١) .

فأجابوه بقلوبهم الصادقة ونياتهم الخالصة فقالوا : نحن مسلمون لأمر الله ومصدقون بنبوتك ، وقائمون بنصرتك لأجل إظهار دين الله .

ولفظ " الحوارى " يساوى لفظ " الأنصار " فى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يشبهون صحابة رسول الله الذين ناصروه فى وقت كان يتطلع رسول الله فيه إلى من ينصره فى دين الله .

جاء فى الحديث مايدل على هذا ، عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " مامن نبى بعثه الله عز وجل فى أمة

---

(١) آل عمران : ٥٢ - ٥٣

قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذونه بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل " (١) . رواه أحمد ومسلم

إذن فالحواريون هم الذين كانوا يتقطعون للتلقى عنه ، وهم الذين قاموا بعد رفعه بنشر تعاليمه وحفظ وصاياه مع رسل الدعوة من الذين آمنوا به .

لقد اختارهم عيسى لهذه المهمة الجليلة ، لصفاء قلوبهم ، وطهارة سريرتهم وقد نفذوا المهمة التى اختارهم عيسى عليه السلام للقيام بها على أتم وجه ، حين بثهم فى القرى اليهودية إلا واحدا منهم ، فإنه اتهم بخيانة نبيه عيسى عليه السلام وهو يهوذا الاسخريوطى ، وقد وقع عليه الصلب كماسبق بيان ذلك .

ب - عقيدة الحواريين .

منذ بعثة عيسى عليه السلام الى ظهور بدعة بولس كانت المسيحية فى تلك الفترة ديانة توحيد ، تدعوا الى عبادة الله الواحد الأحد ، وتقرر أن عيسى إنسان وابن إنسانة ، أرسله الله تعالى بدين جديد وشريعة جديدة ، كماأرسل رسلا من قبله وكان عصر الحواريين إمتدادا لعصر عيسى عليه السلام ، وكانت توجيهاته النبوية مازالت حية فى ذاكرتهم .

لقد سبق لنا أنه قد بثهم فى حياته إلى القرى اليهودية ليدعوا الكفار بدعوة التوحيد ، وأنهم قاموا بذلك حق القيام ، لذلك نرى القرآن الكريم يؤكد أن الحواريين كانوا من أنصار الله ومن الداعين إلى عقيدة التوحيد ، ويأمر أتباع رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم أن يسلكوا مسلك الحواريين ، وأن ينصروا دين الله كمانصره أتباع

---

(١) أحمد فى ١ / ٤٥٨ . ومسلم فى كتاب الإيمان حديث ٨٠ .

عيسى عليه السلام ، إذ يقول الله عز وجل :

(يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله ، فآمنت طائفة من بني إسرائيل ، وكفرت طائفة ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) (١) .

فالله تعالى يحث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يكونوا أنصار الله كما كان حواريو عيسى عليه السلام أنصار الله .

وهذا يدل دلالة واضحة على أن أصحاب عيسى عليه السلام كانوا موحدين حقيقة ولم يكونوا مشركين - كما صار النصارى فيما بعد - إنهم قد حافظوا على دين الله من كيد المنافقين والوثنيين من الرومان ومن غيرهم ، وذبوا عنه حتى أبلوا في سبيل ذلك بلاء حسنا ، لقد حملوا راية الإيمان ، واستشهد أكثرهم في سبيلها .

ومما يذكر في التاريخ أنهم تفرقوا في البلاد بعد رفع عيسى عليه السلام يدعون الأمم إلى توحيد الله ودينه والإيمان بعبده ورسوله ومسيحه ، فدخل كثير من الناس في دينه ما بين ظاهر مشهور ومختف مستور ، وأعداء اليهود في غاية الشدة والأذى لأصحابه وأتباعه ، ولحق تلاميذ عيسى وأتباعهم من اليهود ومن الروم شدة شديدة من قتل وعذاب وتشريد وحبس وغير ذلك (٢) .

فالدعوة النصرانية في عهد الحواريين كانت دعوة نقية من مفاهيم الشرك والغلو والله أعلم .

---

(١) الصف: ١٤ .

(٢) انظر هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن قيم الجوزية ص ١٦٨ .

٢ - بولس وتحريفه العقيدة المسيحية

الحديث فى هذا الموضوع يشتمل على ثلاث نقاط :

الأولى التعريف ببولس ، والثانية دخوله فى المسيحية ، والثالثة تحريفه للعقيدة النصرانية .

النقطة الأولى : التعريف ببولس :

بولس هو ابن كيساوى البنيامينى "اليهودى" (١) . وقد ولد بولس فى مدينة طرطوس من أعمال كليكيا فى السنة العاشرة من الميلاد تقريبا وقد رباه والده تربية دينية ، وخاصة على تعاليم الفريسيين ، ولما شب أرسله أبوه إلى أورشليم ليدرس على يد حاخام وابن حاخام اليهودى "غمالائيل" فتعلم على يد هذا الكاهن تعليما محكما حتى فاق جميع أقرانه فى العلم والمعرفة .

وقد ظن بعض علماء مقارنة الأديان أنه من أصل رومان ، واعتمدوا على ماورد فى سفر أعمال الرسل ، ولكن الاستدلال بمافى سفر أعمال الرسل فيه نظر لأن بولس لم يدع قبل ذلك أنه رومانى ، وإنما ادعى أنه رومانى لماخاف من سياط جنود الرومان ، لأنه كان يعلم أنه يخلصه من وقع الضربات عليه .

جاء فى سفر أعمال الرسل مايلى :

"فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المئة الواقف أيجوز لكم أن تجلدوا إنسانا رومانيا غير مقضى عليه ؟ فإذ سمع قائد المئة ذهب إلى الأمير وأخبره قائلا انظر ماذا أنت مزمع أن تفعل ، لأن هذا الرجل رومانى ، فجاء الأمير وقال له : قل لى

---

(١) انظر قصة الديانات سليما مظهر ص ٤٣٥ .

أنت رومانى ، فقال : نعم ، فأجاب الأمير أما أنا فبمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعوية فقال بولس: أما أنا فقد ولدت فيها ، وللوقت تنحى عنه الذين كانوا مزمعين أن يفحصوه ، واختشى الأمير لما علم أنه رومانى ولأنه قد قيده (١) " .

هذا النص يدل دلالة واضحة على أنه ادعى أنه رومانى لما رأى أن جسمه سيضرب بالسياط فعمد إلى حيلة لعله يجد مخرجا .

ولا شك أن أسرة شاول كانت من الجاليات اليهودية ، التى كانت تقطن فى الرومان ، وكانت لعائلته حقوق التبعية الرومانية ، وذلك إما لخدمات قامت بها للمملكة أو لاعتاق من العبودية الشرعية (٢) إذا فلا مانع من أن يكتسب بولس جنسية الرومان ، ولكن جنسيته الأصلية والحقيقية هى أنه "يهودى" وهذا باتفاق المسيحين (٣) .

ويقول عن نفسه ; "فقد ولدت فيها ولم يقل أصل رومانى ، وإنما أخبر أنه ولد فيها ، لأن الرجل كان معروفا بالحيل والمكر والخداع ، وعرف أنه لا نجاة من هذا المأزق إلا بهذه الطريقة ، فأسرع قائلا : أنا رومانى ، فبذلك تم له ما كان يرمى إليه ، كما يفيد النص ، بدون أن يصيبه الأذى من الرومان .

وجاء فى دائرة المعارف للبستانى أن بولس "كان يهوديا يونانيا أو هيلانيا أى مولودا خارج حدود فلسطين وكان إلى أن تنصر يهوديا متعصبا من طائفة الفريسيين ولادة وتربية واعتقادا ، والظاهر أن اسمه الأصلى اليهودى أى شاول صار نسيا منسيا بعد تنصره بقليل ، وعرف باسم بولس اليونانى ، ولا نعلم سببا لذلك ولا كون اسم بولس أطلق عليه قبل ارتداده (٤) . "

---

(١) الإصحاح ٢٢/٢٥-٢٩ .

(٢) انظر دائرة المعارف البستانى ٥/١٩٩ .

(٣) انظر محاضرات فى النصرانية محمد أبو زهرص ٨٤ .

(٤) ٥/٦٩٩ .

وجاء فى كتاب معالم تاريخ الإنسانية مايلى : "وظهر للوقت معلم آخر عظيم يعده كثير من الثقات العصريين المؤسس الحقيقى للنصرانية - وهو شاول الطرطوسى أو بولس - ويظهر أن شاول هو اسمه اليهودى ، وأن بولس اسمه الرومانى والراجح أنه يهودى المولد ، وإن كان بعض الكتاب اليهود ينكرون ذلك" (١).

والذى أراه حقا هو أنه يهودى الجنس ، لماتقدم من الأدلة الواضحة .

وجاء فى سفر أعمال الرسل أيضا مايدل على أنه يهودى ، وكان ذلك لما اشتكى إلى أمير مدينة أورشليم بسبب قيامه ببعض النشاطات المعادية فيها .

" وإذ قارب بولس أن يدخل المعسكر قال للأمير أيجوز لى أن أقول لك شيئا فقال أتعرف اليونانية ؟ أفلست أنت المصرى الذى صنع قبل هذه الأيام فتنة وأخرج إلى البرية أربعة الآلاف الرجل من القتلة . فقال بولس : أنا رجل يهودى طرطوسى من أهل مدينة غير دنيّة من كيليكية ، وألتمس منك أن تأذن أن أكلم الشعب ، فلما أذن له وقف بولس على الدرج وأشار بيده إلى الشعب ، فصار سكوت عظيم ، فنادى باللغة العبرانية قائلا : أيها الرجال الإخوة والآباء اسمعوا احتجاجى الآن لديكم فلما سمعوا أنه ينادى لهم باللغة العبرانية أعطوا سكوتا أحرى ، فقال أنا رجل يهودى ، ولدت فى طرسوس كيليكية ، ولكن ربيت فى هذه المدينة مؤدبا عند رجلى غمالائيل عن تحقيق الناموس الأبوى ، وكنت غيورا لله كما أنتم جميعكم اليوم .....) (٢) .

النقطة الثانية : دخول بولس فى المسيحية .

إن عقل بولس كان من طراز شائع كثيرا بين اليهود ، وكان فيه من الذكاء وشدة الانفعال أكثر مافيه من الرمانة والظرف ، وكان فيه من الإحساس القوى

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية هـ . ولز ٧٠٥/٣ .

(٢) الإصحاح ٣٧/٢١ - ٤٠ ، والإصحاح : ١/٢٢ - ٤ .

والخيال أكثر مما فيه من نزاهة الحكم ، والنظرة الموضوعية إلى الأشياء وكان قويا في العمل ، لأنه كان ضيق التفكير (١) ، وكان نشيطا دائم الحركة لا يمل ولا يكل وقد أوتي علما واسعا ، وعقلا ضيقا ، وكان قبل إعلانه الدخول في المسيحية من ألدّ أعدائها ومن أشد اليهود حربا لأتباع المسيح عليه السلام في كل مكان فيقتل من يقتل منهم ، ويعذب من يعذب ، ويسلم الرجال والنساء إلى السجون وساحات التعذيب .

وكان بولس كما سبق بيانه من فرقة الفريسيين الذين كانوا يعادون المسيح أشد العداء ، وكان تلميذا لأحد علماء اليهود وهو غمالائيل الفريسي ، وكان يجتهد في سحق المسيح وأتباعه من الأرض ، وكان يدخل في بيوت المسيحيين ويغير عليهم في الطرقات .

ولكن نرى بولس فجأة يتحول من عدو لدود ، وخصم جبار عنيد للمسيحيين إلى رسول داعية كريم لها، لا يبالي في سبيلها كل ما يصيبه من الأذى .

وقد أحاط دخوله فيها بادعاءات غريبة جرت له ، ومشاهدات خاصة فتحول بغتة ، وصار داعيا من دعاتها ، ومعلمها الأول وأخذ ينشر بأنه يتلقى التعاليم المسيحية إلهاما ، مع العلم بأنه ليس من تلاميذ المسيح عليه السلام ولا اجتمع به ولا سمع منه ، وها هي قصة دخوله في المسيحية كما جاءت في سفر أعمال الرسل إذ قال :

" أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية ، ولكن ربيت في هذه المدينة مؤدبا عند رجلي غمالائيل عن تحقيق الناموس الأبوي .

وكنت غيورا لله ، كما أنتم جميعكم اليوم ، واضطهد هذا الطريق حتى الموت مقيدا ومسلما إلى السجون رجالا ونساء ، كما يشهد لي أيضا رئيس الكهنة ، وجميع

---

(١) انظر قصة الحضارة لديورانت (١١/٢٥٠ - ٢٥١) .

المشيخة الذين إذ أخذت أيضا منهم رسائل للإخوة إلى دمشق ذهبت لآتي بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكي يعاقبوا فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرب إلى دمشق أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولي من السماء نور عظيم ، فسقطت على الأرض ، وسمعت صوتا قائلا لي : شاول شاول ، لماذا تضطهدني ؟ فأجبت من أنت ياسيد ؟ فقال لي أنا يسوع الناصري الذي تضطهده ..... فقلت ماذا أفعل يارب ، فقال لي الرب قم واذهب إلى دمشق وهناك يقال لك عن جميع ماترتب لك أن تفعل ، وإذ كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور اقتادني بيدي الذين كانوا معي فجئت دمشق (١) .

وجاء فيه أيضا مايلي :

" أما شاول فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكهنة ، وطلب رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسا من الطريق رجالا ونساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم ، وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء ، فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له : شاول شاول لماذا تضطهدني ، فقال من أنت ياسيد ؟ فقال الرب أنا يسوع الذي تضطهده صعب عليك أن ترفس مناخس فقال : وهو مرتعد ومتحير ، يارب ماذا تريد أن أفعل فقال له الرب ، قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل " (٢) .

وهكذا كان دخول بولس في المسيحية ، إنه لم يدخل في الديانة النصرانية عن طريق دعوة الحواريين ، ولا عن طريق دعوة تلاميذ الحواريين ، ولا عن طريق البحث والاستدلال ، وإنما دخل بادعاء أن عيسى عليه السلام هبط عليه بنوره في القصة المفتراة التي رواها ليدخل في المسيحية المفاهيم الباطلة التي أراد دسها فيها .

---

(١) الإصحاح ٢٢/٣ - ١١ .

(٢) الإصحاح ٩/١ - ٦ .

إن هذا الانقلاب المفاجئ الغريب فى عقيدة بولس مثار لدهشة من وقف على سيرته وحياته ، ولم يكن شاول بمعزل عن المسيحية يجهل المسيح ، بل كان على علم بها وبالمسيح نفسه ، وكان كافرا بهما ، حتى قال له الصوت كما يزعم : "لماذا تضطهدنى " ويسأل شاول الصوت بعد سقوطه على الأرض من النور العظيم من أنت ياسيد ؟ كيف عرف شاول وهو فى تلك الحالة بعد إبصاره النور العظيم أن من يكلمه "سيد" الذى عرفه الرب ، وفى عرف المسيحيين من تلامذته الذين تذكرهم الأناجيل ، كيف عرف أنه الرب؟ وإذا عرف أنه المسيح ، لأنه كان يضطهده ، فكيف يعترف له بالربوبية وإذا كان عارفا أنه الرب فلماذا يقول سائلا من أنت؟!! (١)

على كل فالذى يظهر من كلام بولس نفسه فكرة ربوبية المسيح عليه السلام الذى كان يقول فيه وفى أمة قولا عظيما فى المسيحية .

ومع ذلك؛ فإن تلاميذ المسيح والمسيحيين لم يصدقوا بولس على أنه دخل فى دينهم وأنه آمن إيمانا صادقا ، وخاف منه التلاميذ ، لأنهم كانوا يعرفون ماضيه فى الكفر بالديانة المسيحية ، ومحاربته لها ومحاربة معتنقيها .

وقد حاول بولس أن يتصل بتلاميذ المسيح بجد واجتهاد ، ولكنهم رفضوا أن يقبلوه ، إلا برنابا فإنه شهد له بالإيمان وزكاه أمامهم ، وذكر لهم ماحدث له فى الطريق ، الحادثة التى نقلته من الكفر الخصام إلى المسيحية .

جاء فى سفر أعمال الرسل مايلى :

" ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ ، فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب فى الطريق ، وأنه كلمه ، وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع " . (٢)

---

(١) الديانات والعقائد فى مختلف العصور أحمد عبد الغفور عطار : ٣/٢٦٠ .

(٢) الإصحاح ٩/٢٦ - ٢٨ .

ومن ذلك اليوم صار بولس داعية كبير فى نشر النصرانية ، وأصبح ذا حركة دائبة فى الدعاية للمسيحية ، وأخذ يطوف فى البلاد ينشئ الكنائس ، ويلقى الخطب ويكتب الرسائل حتى صارت رسائله معتمدة أكثر من بقية الرسائل النصرانية ، فهى تشتمل على مبادئ فى الاعتقاد ، وبعض الشرائع العملية ، وغدت المسيحية الحاضرة مطبوعة بطابعه ، كما سيتبين لنا فى الفقرة الثالثة .

النقطة الثالثة : بولس وتحريفه المسيحية .

إن من طبيعة اليهود وسجيتهم عبر تاريخهم معادات الأديان السماوية التى أنزلها الله على رسله لهداية البشرية واخراجها من الظلمات إلى النور فما من رسالة تنزل من الله إلا وهم يكيدون لها كيدا ويتربصون لها الدوائر. لقد حرفوا التوراة كما سبق بيانه ، وحرفوا الإنجيل كما سنعرف بإذن الله تعالى .

إن معادات الدين طبيعة ورثتها اليهود خلفا عن سلف فهى موجودة فى هؤلاء الأحفاد كما كانت موجودة فى أولئك الآباء والأجداد ، ومن الطبيعى إذا أن يحدث من هؤلاء ما حدث من أولئك .

إن ممارسة العداء للدين والتعدى على تعاليمه وعلى أصحابه عمل يهودى طوال تاريخهم .

لقد حرص هؤلاء اليهود على قتل أنبياء الله ورسله ، وكانوا ممن هموا بقتل نبى الله عيسى عليه السلام ، ولما نجى الله عيسى من كيدهم ، وانتهت قصته بدأت قصة أخرى ، وبتعبير آخر بدأت مرحلة أخرى ، وهى مرحلة إزالة العقيدة التى جاء بها ، لأن القوم لا يريدون الكف عن الشر والفساد فى الأرض ، فواصلوا المسيرة ودفعوا عجلة الفساد إلى الأمام ، وراحوا يتآمرون ضد دين الله بوساطة رجل منهم ومن كبار علمائهم ، ذلك هو " بولس " إن بولس كان يهوديا معاصرا للمسيح عليه السلام وكان أشد اليهود عليه خلافا ، وعدوانا - كما سبق بيان ذلك - فلما انتهى

دور المسيح ورأى أن أتباعه مازالوا يكثرون سرا ، ورأى أن فى هذا خطرا يهدد اليهود اعتنق النصرانية نفاقا وألبسها أثوابا زائفة مسخ بها هذه الدعوة الكريمة مسخا شنيعا ، حتى جعلها تلبس لباس الوثنية التى كانت سائدة فى روما وغيرها من بلاد أوربا .

لقد قام بولس بتحريف المسيحية نيابة عن قومه باتفاق أو بدون اتفاق منهم وقد قام به تعصبا ليهوديته ، وسلك فى ذلك مسلك الذى رآه موصلا إلى هدفه .

وعلى فرض صحة الدعوى التى ادعاها بولس ، فإنها لا تصلح مستندا علميا أو دينيا لإثبات التعاليم التى أخذ ينشرها من عنده على أنه يتلقاها بالإلهام من غير اقترانه بمعجزة ربانية تصدق مدعيه مرفوض شرعا وعقلا ، ولا يؤمن التباسه بالأوهام ووساوس الشيطان وتلبيساته ، وإلا أمكن كل ضال مضل أن يدعى أنه يتلقى عن ربه بالإلهام تعاليم للناس ، والأفكار التى لا تعتمد على الإدراك الحسى أو التجربة أو الخبر الصادق أو الاستنتاج العقلى المؤيد بالبرهان أو الوحى الربانى المؤيد بالمعجزات المقرونة بالتحدى ، أفكار مرفوضة بل هى أوهام ، ولابد أن تقع فيها أخطاء كثيرة فاحشة فى التصور العقدى أو التشريع الدينى ، وانحرافات جذرية فى كل المفاهيم ، إذ ليس لها أساس منطقى علمى يمكن الوثوق به .

ويلاحظ أن تعليماته التى أدخلها فى المسيحية مقتبسة من الفلسفات التى كان قد درسها قبل إعلانه تنصره ، ومن مفاهيم يهودية ومن وثنيات كانت شائعة معروفة ، وأنه أدخل مزيجا من ذلك فى النصرانية وألبسه لباس الدين الربانى الموحى به ، وهذا المزيج هو الذى عرف فيما بعد بالنصرانية البولسية .

يقول الدكتور أحمد شلبى : "يرى كثير من الباحثين أن عداوة بولس للمسيحية هى التى دفعته ليتظاهر بالدخول فيها ، وليستمر فى حربها بسلاح جديد سلاح التهديم من الداخل بإفساد معالمها وطمس مظاهرها ومسخها فهو قد

دخلها فى الظاهر ليأخذ من اعتناقه الظاهرى لها سلاحا يطعنها به ، ومثل ذلك كثير فى تاريخ الأديان " (١) .

وقد ذكر بعض علماء النصارى المنابيع التى استقى بولس منها مذهبه ونصرانيته الجديدة .

يقول ول ديورانت : " من حقنا أن نعتقد أن بعض المبادئ الدينية والأخلاقية الرواقية اليونانية (٢) انتقلت من البيئة المدرسية فى طرطوس إلى مسيحية بولس ، وكانت طرطوس كما كان فى معظم المدن اليونانية أتباع للأرقية وغيرها من العقائد الخفية ، يعتقدون أن الله الذى يعبدونه قد مات من أجلهم ، ثم قام من قبره ، وأنه إذا دعى بإيمان حق ، وصحب الدعاء الطقوس الصحيحة استجاب لهم وأنجاهم من الجحيم ، وأشركهم معه فى موهبة الحياة الخالدة المباركة ، وهذه الأديان الغامضة الخفية هى التى أعدت اليونان لاستقبال بولس ، وأعدت بولس لدعوة اليونان " (٣) .

فمن غير المستبعد إذن أن يكون بولس قد أخذ فكرة الفداء والتضحية ، وتكفير خطايا البشر من تلك الوثنية .

يقول ول ديورانت فى مكان آخر :

" لقد أنشأ بولس لاهوتا لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض فى أقوال المسيح وكانت العوامل التى أوحت إليه بالأسس التى أقام عليها ذلك اللاهوت هى انقباض نفسه وندمه ، والصورة التى استمال إليها المسيح فى خياله ، ولعله قد تأثر

---

(١) مقارنة الأديان : المسيحية ص ٨٦ .

(٢) الرواقية مدرسة فلسفية أسسها زيتون (٢٠٠ ق م) انظر الموسوعة العربية الميسرة ، وقصة الفلسفة اليونانية أحمد أمين وزكى نجيب محمود ص ٢٠٠ .

(٣) قصة الحضارة : ١١/٢٥٠ .

ينبذ الأفلاطونيـة والرواقية للمادة والجسم واعتبارها شرا وخبثا ولعله تذكر السنة اليهودية والوثنية سنة التضحية الفدائية للتكفير عن خطايا الناس " (١) .

" ومن الراجح جدا أنه تأثر بالمثرائية إذ هو يستعمل عبارات عجيبة الشبه بالعبارات المثرائية ، ويتضح لكل من يقرأ " رسائله " المتنوعة جنبا إلى جنب مع الأناجيل أن ذهنه كان مشبعا بفكرة لا تبدو قط بارزة قوية ، فيما نقل عن يسوع من أقوال وتعليم .

ولا مراء فى أن بولس تعلم على أساتذة من اليهود بيد أنه كان متبحرا فى لاهوتيات الإسكندرية الهلينية ، وكانت لغته الإغريقية " (٢) .

لقد كانت مصر وآسيا الصغرى ، وبلاد يونان تؤمن بالآلهة من زمن بعيد تؤمن ب " أوزريس ، وأتيس ، وديونيش " التى ماتت لتفتدى بموتها بنى الإنسان وكانت ألقاب مثل سوتر " المنقذ " واليوتريوس " المنجى " تطلق على هذه الآلهة ، وكان لفظ كريوس " الرّب " الذى سمى به بولس المسيح هو اللفظ الذى تطلقه الطقوس اليونانية - السورية على ديونيش الميت المفتدى ، ولم يكن فى وسع غير اليهود من أهل أنطاكيا وسواها من المدن اليونانية الذين لم يعرفوا عيسى بجسمه ، أن يؤمنوا به إلا كما آمنوا بآلهتهم المنقذين ، ولهذا ناداهم بولس بقوله : " هو ذا بسر أقوله لكم " وأضاف بولس إلى هذا اللاهوت الشعبى المؤسس بعض الآراء الصوفية الغامضة ، كانت قد ذاعت بين الناس بعد انتشار سفر الحكمة ، وفلسفة فليسون .

من ذلك قول بولس : إن المسيح هو " الحكمة الله " و " ابن الله الأول " بكر كل خليقة فإنه فيه خلق الكل ، الكل به وله قد خلق ، الذى هو قبل كل شئ وفيه يقوم الكل ، وليس هو المسيح المنتظر " الميسا " اليهودى الذى سينجى

---

(١) المصدر السابق ١/٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٢) معالم تاريخ الإنسانية ه . ج ولز . ٣/٧٠٥ - ٧٠٦ .

إسرائيل من الأسر ، بل كلمة الله الذى سينجى الناس كلهم بموته " (١) .

ويقول ولز : " أوتى بولس قوة عقلية عظيمة ، كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية ، فكان على علم واسع باليهودية وديانة مثرا وديانة الاسكندرية فنقل إلى المسيحية كثيرا من معتقداتهم ومصطلحاتهم ، ولم يهتم بتوسيع فكرة عيسى الأصلية وتنميتها وهى فكرة " ملكوت السموات " ولكنه علم الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود وحسب ، بل إنه ابن الله ، نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قربانا ، ويصلب تكفيرا عن خطيئة البشر ، فموته كان تضحية مثل ممات الضحايا القديمة من الآلهة فى أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشر (٢) ويقول بولس إلياس اليسوعى : " لا نكير أن شهادة القديس بولس أو كرازته تتسم بسمته الخاصة ، لأنها تحمل جزءا من حياته من حياة إنسان تثقف ثقافة عبرية وهلينية عالمية ، فتغذى طويلا من سحر النبوات والمزامير وتشبع من منطق أرسطو ونظريات أفلاطون ، ثم اهتدى إلى معرفة يسوع المسيح بظهور روحى خاص مباشر من قبله فوقف على خدمة نفسه" (٣) .

ويقول ولز : " كان بولس صاحب نظرية دينية ومعلما يعلم الناس قبل أن يسمع يسوع الناصرى بزمن طويل ، وهو فى رواية العهد الجديد يبدو بادئ ذى بدء فى إهاب الناقد المرير ، والخصم العنيد والمضطهد الناشط للناصريين " النصارى " جميعا ولم يوفق كاتب هذه السطور إلى العثور على بحث فى آراء بولس الدينية قبل أن يصبح من أتباع يسوع ، ولا بد أنها كانت أساسا لآرائه الجديدة ، وإن لم تزد عن قاعدة انطلاق لها ، كما أن أسلوب تعبيرها وطريقتها أسبغت بالتحقيق

---

(١) قصة الحضارة : ١١/ ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٢) انظر المسيحية أحمد شلبى ص ٧٥ نقلا عن مصدر أجنبى .

(٣) يسوع المسيح شخصه تعاليمه ص ١٨١ .

على مبادئه لونا خاصا ، وإنا نكاد نتخبط فى نفس الظلمات حول تعاليم غمالائيل الذى يقولون إنه معلم اليهود الذى كان بولس يجلس عند قدميه " (١) .

بهذه النقول المتعددة والمتنوعة من علماء النصارى نعرف أن ثقافة بولس كانت ثقافة يونانية ورومانية وأرفية وغيرها من الفلسفات الوثنية التى كانت موجودة فى تلك الفترة ، ولماتنصر وصارت له سلطة كبيرة فى النصرانية نقض ماشاء أن ينقضه من الدين، وشرع للناس مارأى أن يشرع لهم ، مالم يأت به عيسى عليه السلام.وأخذ ينشر ويشيع فى المسيحية أفكارا جديدة ، يستمدها من تلك الفلسفات وتلك العقائد الوثنية ، لذلك نرى لوقا يقول :بعد دخول بولس المسيحية : " وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح أن هذا ابن الله " (٢) .

فهى دعوة الوثنية ، ولذا قوبلت دعوته بالترحيب من الوثنيين الرومان والحكومة الرومانية ، وانتشرت أفكاره وآراؤه فى الغرب بين الوثنيين واليونانيين .

وأخذ بولس يتلاعب بأصول الدين بتحريف وتغيير مفاهيمها ، ويضع رسائله ويرسلها إلى أقطار البلاد ليبثها تلاميذه فى الناس يعلمون الناس ماهو مكتوب فيها .

والحق أن بولس كان يعيش بعقل رومانى وفلسفة يونانية ، لذلك ابتدع فى شأن عيسى عليه السلام اللاهوت والناسوت ، وكانت النصارى قبله كلمتهم واحدة وهى أن عيسى عليه السلام عبد ورسول مخلوق مصنوع ، وأن الله هو ربه وخالقه ولا يختلف اثنان منهم فى ذلك ، فأتى بولس بهذه الفكرة الجديدة على المسيحية وصار أول من أفسد دين المسيحية وكان مكارا ، فأراد أن يجمع اليهود الذين آمنوا بالمسيح والرومان الوثنيين على دين واحد ، وأيضا اليونانيين أصحاب الفلسفة فأخذ من كل نحلة من نحل هؤلاء فكون فكرة جعلها فيمابعد دينا سماويا -لكى

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية ٣/ ٧٠٥ - ٧٠٦ .

(٢) سفر أعمال الرسل ٩/ ٢٠ .

يرضى هؤلاء جميعا ، ويتفقوا على دين وثنى غير مقبول عند الله تبارك تعالى وهذا كل مايهدف إليه بولس اليهودى .

وقد كان يقول عن نفسه : " فإنى إذ كنت حرا من الجميع استعبدت نفسى للجميع لأربح الأكثرين ، فصرت لليهود كيهودى ، لأربح اليهود ، وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس ، لأربح الذين تحت الناموس ، وللذين بلاناموس كأنى بلاناموس مع أنى لست بلاناموس لله ، بل تحت ناموس للمسيح ، لأربح الذين بلاناموس ، صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء ، صرت للكل كل شئ لأخلص على كل حال قوما ، وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكا فيه " (١) .

فبهذا جمعهم على دين جديد يقبل به الجميع ويجد فيه ميوله وأهواءه إذ قد أدخل فى تعاليم دينه أخلاطا بماعند الجميع ، وهذا اعتراف منه ، وليس تقولا عليه كماسبق ، فإذا ألا يجوز أن يتظاهر بولس بالمسيحية كماتظاهر بغيرها فالأمر ممكن الوقوع ، لقد تظاهر بأنه يهودى ليكسب اليهود ، وأنه بلا دين ليكسب الذين بلا دين وهلم جرا .

أما الدين الصحيح فلايقبل بمثل هذه المجاملات على حسابه ، وخاصة أن هذا الرجل يدعى أنه رسول من رسل عيسى عليه السلام ، فكان عليه أن يتقيد بتعاليم الدين الصحيح الذى جاء به ، لا أن يساير الباطل والكفر طمعا فى الإيمان ، لأن الغاية الشريفة إنما يفضى إليها بالوسائل الشريفة فالإيمان لا يتوصل إليه بالكفر ، ولكن بولس تجاوز كل هذه الأمور بحرية تامة وبعقل ماكر ، فتغلب على العرف والعادة والسنن الكونية ، فكون المسيحية ضد الدين الذى جاء به عيسى عليه السلام ، وأجبر المسيحيين على التمسك بها وأخذها .

---

(١) رسالة كورنثوس ٩/ ١٩ - ٢٣ .

جاء فى رسالة أهل رومة مايلى :

" وللقادر أن يثبتك حسب إنجيلى والكرازة بيسوع المسيح حسب إعلان الشر الذى كان مكتوما فى الأزمنة الأزلية ، ولكن ظهر الآن وأُعلِمَ به جميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الإله الأزلى لإطاعة الإيمان " (١) .

ولقد استطاع بولس أن يحرف فى جوهر الديانة المسيحية دون أن يستطيع أحد معارضته ورد آرائه الباطلة ، لأنه أتى عن طريق لا يتصور أحد أنه يجوز الكذب فيه حيث زعم أنه يتلقى التعاليم من المسيح تلقيا إلهاميا روحيا ، وصدقوه فى ذلك فأدخل فى المسيحية ما أدخل ،وحرف فيها ما حرف وكاد لدين الله أيما كيد . (٢)

يقول عن نفسه فى رسالته إلى أهل غلاطية :

" بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان بل يسوع المسيح والله الآب الذى أقامه من الأموات " (٣) .

ولم يكتف بولس بإلقاء الخطب والمحاضرات والمواعظ فى الناس بل كان يكتب رسائل ويرسلها إلى أصدقائه ، وينسب إليه أربع عشرة رسالة ، وبفضل هذه الرسائل أصبح لبولس فى تاريخ المسيحية وعقائدها وشرائعها شأن كبير حتى إن المسيحية الحاضرة لتنسب إليه أكثر مما تنسب إلى غيره ، وتستمد معظم أصولها وتعاليمها من رسائله ، وحتى إن كلمة " الرسول " إذا أطلقت لا يراد بها فى اصطلاحهم إلا بولس ، كما يطلقون عليه كذلك لقب " الرسول الكبير " (٤) .

وعلى هذا فإن المسيحية تعتمد عليه وعلى رسائله أكثر من اعتمادها على غيرهما ونفوذه وتأثيره على اللاهوت المسيحى أعظم وأبقى أثرا من أى كاتب أو مفكر مسيحى آخر.

---

(١) الإصحاح : ١٦/٢٥ .

(٢) المكايد يهودية عبر التاريخ ص ٣٦ .

(٣) الإصحاح الأول ١ .

(٤) انظر الأسفار المقدسة على عبد الواحد وافى ص ١٠٢ .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة :

"ونسارع فننقول مقالة القس عبد الأحد" :

"إن بولس يبجل ويعظم رجلا اسمه عيسى أميت ومات ، وحى فقط ، وأن خمس عشرة رسالة من كتب العهد الجديد تحمل اسم الرسول المشار إليه ، فلا محل للحيرة إذا قلت إن المؤسس الحقيقى للمسيحية الحاضرة هو بولس ، فإن شاول الشاب الطرسوسى من سبط بنيامين ، ومن مذهب الفريسيين وتلميذ أحد علماء الدهر عضو مجلس صانهدرين المدعو غمالائيل ... الذى كان يجتهد فى محو اسم عيسى وأتباعه من الأرض ، والذى رأى أخيرا عدوه الناصرى فى السماء لامعا داخل الأنوار وقت الظهر أمام دمشق اهتدى وسمى باسم بولس وهو الذى وضع أساس العيسوية" (١) .

ولكن هل هذه الرسائل كلها موثوقة عند النصارى ؟ وقد ظهر للمحدثين من علماء النصارى المشتغلين فى الوقت الحاضر فى شؤون ديانتهم وأسفارها أن من هذه الرسائل ثلاث رسائل موثوقة بصحتها وصحة نسبتها إلى بولس ، وهى : رسالته إلى الرومان ، ورسالتاه إلى أهل كورنثوس ، وأربع رسائل مقطوعة بعدم صحة نسبتها إليه ، وهى : رسالته إلى أهل أفسوس ، ورسالتاه إلى تيموثاوس ، ورسالته إلى تيطس ، وأن ما بقى من هذه الرسائل مشكوك فى صحة نسبتها إليه .

إن الكنيسة لم تكن تعتمد على هذه الرسائل جميعا إلا فى سنة ٣٦٤ ، أما قبل ذلك فكان بعض هذه الرسائل موضع الشك فى نسبتها إلى بولس عند كثيرين من المسيحيين ، حتى إن مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ ، وهو من أكبر مجامعهم "المسكونية" لم يعترف برسالة بولس إلى العبرانيين ، واعتبرها مزيفة مدسوسة عليه (٢) .

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢) نقد الأسفار المقدسة : ١٠٢ .

ورسائل بولس هي التي تتعرض في صورة مفصلة لكثير من عقائد الديانة المسيحية وشرائعها وعباداتها ، وتوجه قسطا كبيرا من عنايتها إلى توضيح العقيدة وتقرير ألوهية المسيح وبنوته لله تعالى ، ومبدأ التثليث .

وقد كان بولس ينسب هذه الرسائل والآراء تارة إلى عيسى وتارة إلى نفسه ويعترف بأنها منه ، كما هو مذكور في رسالته كورنثوس الأولى في قوله :

" وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها ، وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة ، أو لتصالح رجلها ، ولا يترك الرجل امرأته ، وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهي ترتضي أن تسكن معه فلا يتركها " .(١)

والخلاصة أن المصادر المسيحية الموجودة الآن هي أو أكثريتها الساحقة من عمل بولس أو من عمل مريدية وماسوى ذلك فقليل .

« ويبدو أن يدا لعبت بذلك القليل فتركته لا يؤيد ولا يعارض »(٢)

ويكفي ماسبق لنا من شهادات مؤرخي الغرب ومفكريه ومارأينا في أسفارهم المقدسة "عندهم" لندرك مدى التحريف والتشويه الذين أدخله بولس على العقيدة الصحيحة ، التي جاء بها المسيح رسول الله عليه السلام ، حتى صارت عقيدة التثليث بعد أن كانت عقيدة التوحيد .

وبهذا يكون بولس قد أدى رسالته في إفساد دين الله الذي جاء به عيسى عليه السلام .

---

(١) الإصحاح ٧/١٠-١٢ .

(٢) المسيحية أحمد شلبي ص ٨٦ .

٣ - الإمبراطور الرومانى (قسطنطين)

وأخذه بفكرة بولس بعد إعلانه الدخول فى النصرانية

ولد قسطنطين بن قسطس أو قسطنطيوس فى حوالى عام ٢٨٠م فى مدينة تيسوس فيمايدعى اليوم بيوغسلافيا ، وكان والده ضابطا كبيرا فى الجيش الرومانى ثم صار بعد ذلك قيصرا على بولونى (١) ، وكان وثنيا كسائر قواد الرومان .

أما أمه هيلانة فقد كانت نصرانية وبنت نصرانى، فعشقها أبوه وتزوجها ، فولدت له قسطنطين ، ولم يعرف عنه الشيء الكثير فى حياته قبل وفاة أبيه لكنه ظهر لماتوفى أبوه وورث هو ملك أبيه ، فتاريخه الحقيقى يبتدئ من توليه البلاد قيصرا ، لكن شيخ الاسلام ابن تيمية يقول :

وولدت هيلانة قسطنطين فتربى ب " الرها " وتعلم حكم اليونانيين ، وكان غلاما حسن الوجه ، قليل الشر ، وديعا محبا للحكمة ، وكان غلاما هادئا كثير العلم والخير (٢) .

إلا أننى لم أجد عند مؤرخى النصارى مايفيد ذلك .

يقول هـ . ج ولز : " ولسنا نعرف إلا أقل القليل عن شخصيته أو حياته الخاصة إن لم تهيئ لنا المقادير فى زمانه مؤرخا مثل بلوتارك أو سويتونيوس " (٣) .

دخوله فى النصرانية :

اختلف المؤرخون وعلماء الأديان فى تاريخ دخول قسطنطين النصرانية واتسعت رقعة اختلافهم اتساعا يصعب منه الوفاق بينهم أو ترجيح بعض الآراء على بعض .

---

(١) انظر قصة الحضارة ٣٨٢/١١ .
(٢) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١٧/٣ - ١٩ .
(٣) معالم تاريخ الإنسانية ٧١٧/٣ .

يقول ابن حزم الظاهرى :

« قسطنطين ملك الرومان كان سبب تنصره أن أمه هيلانة كانت بنت نصرانى فعشقها أبوه وتزوجها ، فولدت له قسطنطين فربته على النصرانية سرا ، فلما مات أبوه وولى هو أظهر النصرانية بعد أعوام كثيرة من ولايته » (١)

وهذا الرأى يدل على أن قسطنطين ولد على النصرانية أو على الأقل تربى عليها .

ويقول ول ديورانت : « لقد اعتنقت أمه هيلانة الدين المسيحى حين طلقها قنسطنطيوس " والد قسطنطين " ، ولعلها أفضت على ولدها بفضائل المسيحية ولكنه لا يرى أنه تنصر حقيقة ، كما هو واضح من كلامه فيما بعد » (٢).

ويرى بعضهم أنه لم يولد مسيحيا ، ولكنه تنصر مبكرا قبل مجمع نيقية بأعوام كثيرة .

يقول ابن القيم الجوزية : « فلما سمع أهل رومية بقسطنطين ، وأنه مبغض للشر محب للخير ، وأن أهل مملكته معه فى هدو وسلام ، كتب رؤساؤهم إليه يسألونه أن يخلصهم من عبودية ملكهم ، فلما قرأ كتبهم اغتم غما شديدا ، وبقى متحيرا لا يدرى كيف يصنع ، قال سعيد بن البطريق : فظهر له على مايزعم النصارى نصف النهار فى السماء " صليب " من كوكب مكتوب حوله " بهذا تغلب " فقال لأصحابه رأيتم مارأيت ؟ قالوا نعم ، فآمن حينئذ بالنصرانية ، وقال ابن تيمية : فآمن ذلك الوقت بالنصرانية ، وذلك لست سنين من بعد موت أبيه » (٣).

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٥/ .

(٢) قصة الحضارة ١١/٣٨٧ .

(٣) هداية حيارى ص ١٧٢ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣/٩٩ .

وهذا الكلام كان قبل مجمع نيقية ب " خمس عشرة سنة " من رياسته .

ويرى المؤرخ الإنجليزى هـ . ج . ولز والدكتور ميكل هارت الأمريكى أن قسطنطين تنصر (١) قبل مجمع نيقية بأعوام كثيرة إلا أنه اختار أن يعمد وهو على فراش الموت (٢) ، وأنه قد تنصر قبل ذلك بكثير .

ويقول ول ديورانت : " وقبل أن يمضى عام واحد على اعتناق قسطنطين المسيحية حدث فيها انشقاق شديد الخطورة كاد يقضى عليها فى ساعة النصر . ذلك أن دوناتس أسقف قرطاجنة يؤيده قس اسمه كاسمه ومزاجه كمزاجه أصر على أن الأساقفة الذين أسلموا الكتاب المقدس لرجال الشرطة الوثنيين قد فقدوا بعملهم هذا أهليتهم لمنصبهم وسلطتهم ، وأن شعائر التعميد ورسامة القساوسة التى تجرى على أيد هؤلاء الأساقفة باطلة ، وأن صحة العشاء الربانى يقف بعضها على الحالة الروحية للقائم بخدمته (٣) " .

ثم ذكر رفض الكنيسة بهذا الرأى والخلاف الذى حدث لسبب ذلك بين الأساقفة فسمع ذلك قسطنطين ، ثم دعاء إلى مجمع يعقد فى أورليس ، وكان ذلك فى عام ٣١٤ م (٤) ، وهذا يؤكد أن قسطنطين كان مسيحيا قبل مجمع نيقية " .

وهناك فريق من العلماء يرى أنه لم يعتنق النصرانية إلا عند ما نام على فراش الموت ، والذى شهد على ذلك هو المؤرخ النصارى يوسيبوس إذ يقول : إن قسطنطين

---

(١) التعميد إعلان دخول المسيحية .

(٢) انظر : معالم تاريخ الإنسانية ٧١٧/٣ ، والمائة الأوائل ص ٩١ .

(٣) قصة الحضارة ٣٩١/١١ .

(٤) انظر محاضرات فى النصرانية ١٥٤ .

عمد حين كان أسير الفراش وأن الذى عمده هو ذلك المؤرخ نفسه ، وقد كان له صديقا "(١) .

وأنا أرى أنه لا ثمرة فى هذا الخلاف من حيث النتيجة ، لأنه سواء أكان مولودا فى النصرانية أو دخل فيها قبل مجمع نيقية أو بعده ، فإنه لم يعتنق المسيحية الصحيحة التى بشر بها المسيح عليه السلام ، وإنما اعتنق نصرانية بولس ، والتى تقرر ألوهية المسيح ، لذلك لا أتعب نفسى فى ترجيح قول على قول .

إن أن هناك فريق من علماء النصارى يرى أن قسطنطين لم يتنصر حقيقة وإنما هذا من غفلة المسيحيين حين اعتبروه رجلا مؤمنا بالمسيحية .

يقول ول ديورانت :

« ترى هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحية مخلصا فى عمله هذا ؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية ، أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملتها عليه حكمته السياسية أكبر الظن أن الرأى الأخير هو الصواب .... ومامن شك فى أنه تأثر بما ناله من انتصارات فى المعارك الحربية التى خاض غمارها مستظلا بلواء المسيح وصليبه ، ولكن المتشكك وحده هو الذى يحتال هذا الاحتيال على استخدام مشاعر الإنسانية الدينية لنيل أغراضه الدنيوية .... وقلما كان بعد اعتناقه دينه الجديد يخضع لما تتطلبه العبادات المسيحية من شعائر وطقوس ولو كان مسيحيا حقا لكان مسيحيا أولا وحاكما سياسيا بعدئذ ، ولكن الآية انعكست فى حال قسطنطين فكانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية »(٢)

---

(١) انظر محاضرات فى النصرانية ١٥٤ .

(٢) قصة الحضارة (١١/ص٣٨٧ .

٤ــ مجمع نيقية وإرساء قواعد نصرانيـــة بولس :

فى عهد قسطنطين الإمبراطور الرومانى وقع اختلاف شديد فى أوســاط النصارى حول ألوهية المسيح وعدم ألوهيته واشتد خلافهم حتى وصل إلى درجة أنه لم يتمكن أحد من الوفاق بينهم،وعلم قسطنطين بهذا الخلاف وهذا التنـازع بين رعيته ، ورأى أنه ربما يؤدى إلى زعزة أركان الدولة وتسهل للغزاة اقتحـام البلاد ، إذا لم توقف هذه الخصومات ، فأراد أن ينهى هذا الخلاف بـين النصارى بحسن نية أو بغيرها ، فأمر أن يعقد مجمع فى سنة ٣٢٥ ميلاديـة بنيقيـة ، فعقد مجمع دينى عام يضم ممثلين لجميع الكنائس فى العالم المسيحى للفصل فى أمر هذا الخلاف ولتثبيت الرأى الذى يتفق مع الصواب ، ولتقريـر العقيدة الصحيحة التى يعتنقها المسيحيون فيما يتعلق بألوهية المسيح وغيرهـا من الأمور العقدية والتشريعية .

وقد اجتمع فى هذا المؤتمر حوالى (٢٠٤٨) ثمانية وأربعون وألفا أسقـف ولم يتفقوا على رأى واحد إلا ثمانية عشر وثلثمائة أسقف ، فإنهم اتفقوا علـى رأى واحد وهو " ألوهية المسيح " والعدد الباقى كانوا على أراء مختلفة ، فلـم ينصت إليهم قسطنطين ولم يلتفت إلى أقوالهم ، وإنما أخذ أقوال من يقول بألوهية المسيح عليه السلام ، وعقد لهم مجلسا خاصا وأعطاهم ثقته الكاملة ، وجلس فى وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه ، فدفعه إليهم ، وقال : قد سلطتكـم اليوم على مملكتى لتصنعوا ماينبغى لكم أن تصنعوا مافيه قوام الدين وصـلاح المؤمنين ، فباركوا الملك وقلدوه سيفه ، وقالوا له : أظهر دين النصرانيـة وذب عنه ، ووضعوا له أربعين كتابا فيها السنن والشرائع ، منها مايصلح للملـك أن يعلمه ويعمل به ، ومنها مايصلح للأساقفة أن يعملوا به . (١)

---

(١) انظر محاضرات فى النصرانية : ص ١٥٠ .

وقد انتهت قرارات مؤتمر نيقية إلى إثبات ألوهية المسيح ، وتكفير كل من يخالف ذلك ، مثل أريوس ومن حذا حذوه وكل من يذهب إلى أن المسيح إنسان مخلوق ، وقرر أيضا إحراق جميع الكتب التى لا تقرر ألوهية المسيح وتحريم قراءتها ، واعتمدت هذه القرارات على مرسوم إمبراطورى أمر بتنفيذ تلك المقررات والغريب الذى يعجز العقل عن إقراره هو كيف قبل النصارى أن يقرر لهم هذا الملك دينهم وعقيدتهم ، ويقوم بترجيح الآراء بعضها على بعض مع أنه ليس قسيسا ولا عالما من العلماء ، بل هو حديث عهد بالمسيحية ؟

وبهذا قام قسطنطين بدور كبير فى إرساء قواعد نصرانية بولس ، وأجبر بقية النصارى الذين كانوا ينكرون مذهبه على هذه الديانة ، وبذلك خسر المسيحيون دنيا جليلا ، لأن دينهم الجديد صار دينا وثنيا مسخ دين المسيح ومسخ أهله ، وكان أكثر مسخا له وتحريفا هو هذا الملك قسطنطين .

يقول هـ . ج . ولز المؤرخ الإنجليزى :

ومن الضرورى أن نستلفت نظر القارئ إلى الفروق العميقة بين مسيحية نيقية هذه التامة التطور وبين تعاليم يسوع الناصرى ، فإن المسيحيين جميعا يعتقدون أن الأول تنطوى على الثانية وتحتويها إحتواء تاما ، على أن هذه مسألة تخرج عن مجالنا ، فمن الواضح تماما أن تعاليم يسوع الناصرى تعاليم نبوية من الطراز الجديد الذى ابتدأ بظهور الأنبياء العبرانيين .... بيد أن مسيحية القرن الرابع الكاملة التكوين ، وإن احتفظت بتعاليم يسوع فى الأناجيل كنواة لها ، كانت فى صلبها " ديانة كهنوتية " من طراز مألوف للناس من قبل منذ آلاف من السنين .

ويقول فى مكان آخر :

" وثمة أمر هام جدا علينا أن نلحظه ونسجله ، وهو الدور الذى لعبه الإمبراطور فى تثبيت المسيحية ، فلم يقتصر الأمر على أن قسطنطين الكبير هو

الذى دعا لاجتماع مجمع نيقية ، بل إن كل المجامع العظيمة ، ومنها اثنا بالقسطنطينية (٣٨١ ، ٥٥٣) وواحد بافيسوس (٤٣١هـ) وخلقدون (٤٥١) جمعتها كلها يد الإمبراطور ، الجلى الذى لا خفاء فيه أن قدرا كبيرا من تاريخ المسيحية فى ذلك العصر يشف عن روح يسوع إن لم يزد »(١).

ويقول درابرا الإمريكى فى كتابه الدين والعلم :

" دخلت الوثنية والشرك فى النصرانية بتأثيرات المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة ومناصب عالية فى الدولة الرومانية بتظاهرهم بالنصرانية ، ولم يكونوا يحتفون بأمر الدين ، ولم يخلصوا له يوما من الأيام ، وكذلك كان قسطنطين ، فقد قضى عمره فى الظلم والفجور ، ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الدينية إلا قليلا فى آخر عمره سنة ٣٣٧م .

إن جماعة النصرانية ، وإن كانت قد بلغت من القوة بحيث ولت قسطنطين الملك ، لكنها لم تتمكن من أن تقطع دابر الوثنية وتقتلع جرثومتها ، وكان نتيجة كفاحها أن اختلطت مبادئها ، ونشأ من ذلك دين جديد تتجلى فيه النصرانية والوثنية سواء بسواء ".(٢)

وبهذا نستطيع أن نجزم ونقطع ونقول أن قسطنطين قد أثبت نصرانية بولس الوثنية ونصر مذهبها وجعلها هى دين النصرانية الحقة وأقر بذلك علماء الغرب ومفكروه كما سبق ذلك .

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية ٣/٧٢٠ - ٧٢١ .

(٢) نقلا عن كتاب ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين لأبى الحسن الندوى ص ١٨٥ - ١٨٦ .

" البـــاب الثالـــث "

محـاولات اليهود إفساد عقائـــــد المسلمـــين .

الفصل الأول : محاولاتهم في عهد الرسول صلـــى الله عليه وسلم .

الفصل الثاني : محاولاتهم فيمابعد عصر الرســـول صلى الله عليـــه وسلم .

الفصـــل الأول :

محاولاتهـــم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

١ ـ حالـة سكان المدينة أثناء هجرة رسول اللـــه صلى اللـــه عليه وسلم .

٢ ـ أمثلـــة من محاولاتهــــــم .

الباب الثالث

الفصل الأول : محاولاتهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١ ـ حالة سكان المدينة المنورة أثناء هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها :

كان سكان المدينة المنورة قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم إليها ينقسمون إلى ثلاثة أقسام ، وهم :

أ ـ أهل الكتاب ، وهم من اليهود ، ويتكونون من ثلاث قبائل وهم : بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة .

ب ـ وثنيون جاهليون ، وهم العرب ، من الأوس والخزرج الذين لم يسلموا بعد .

ج ـ مسلمون الذين استجابوا لدعوة الإسلام .

وكان سكان المدينة المنورة يعيشون على النظم القبلية ، لكل قبيلة زعيمها ورئيسها .

وقد كان هذا النظام يفرض عليهم أن يتناصروا فيمابينهم لمحاربة الآخرين ، سواء أكانوا ظالمين أو مظلومين ، وقد تكون على سبيل التفاخر بالأنساب دون أن يكون هناك أى سبب يجبرهم على ذلك ، ويحصل من جرّاء ذلك التفاخر والتقاتل والإبادة من كلا الجانبين للآخر من غير هدف منشود .

والذى ينبغى أن يلفت إليه النظر هو أن اليهود لم يكونوا من السكان الأصليين فى المدينة ، وإنما هاجروا إليها من الشام ، ولا يبعد أنهم قد قصدوا الهجرة إليها لما كانوا يقرؤون فى كتبهم من البشائر بالنبى صلى الله عليه وسلم الذى سيظهر الله به دينه ، ويفتح له ممالك الأرض لأنهم لماوجدوا من صفاته وصفات دار الهجرة فى كتبهم غلب على ظنهم

أنها المدينة أو ماحولها ، فتعمدوا أن يجعلوا فيها لأنفسهم مركز إقامة . (١)

وسيأتى مايؤيد هذا رواية عن محمد بن سيرين ، بيانا لقول الله عز وجل : "فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به" الآية ٨٩ البقرة .

وكان اليهود يمارسون سياستهم المتوارثة فيهم فى المدينة المنورة بعد استقرارهم فيها ، ليكون لهم الفوز والمغنم ، وهى سياسة الدس والوقيعة بين الأوس والخزرج حتى أغروا صدورهم بالعداوة والبغضاء ، وأصبح كل فريق على استعداد وتحفز للقتال والحرب . وبذلك أمن اليهود من عداوتهم ، وأخذوا يزيدون فى تجارتهم ، وفى ثرواتهم ، لكى يستعيدوا ماكان لهم من مال ودار وعقار .

ومن هؤلاء اليهود من كان يقيم داخل المدينة وهم بنو قينقاع ومنهم من كان يقيم فى ضواحى المدينة وهم بنو النضير وبنو قريظة .

وقد قسم اليهود أنفسهم بادئ ذى بدء إلى مجموعات تعاون العناصر العربية المتناصرة والمتحاربة والمتنافرة ، وكان ذلك حين تحالفت طائفة من يهود بنى قينقاع مع الخزرج ، وتحالفت بنو النضير وبنو قريظة مع الأوس ، حتى تطور الصراع بين الجانبين ، وكان اليهود فى بعض الأحيان يقاتل بعضهم بعضا ، نظرا إلى إنحياز قسم منهم لبعض العرب وإنحاز القسم الآخر لخصومهم من العرب يستلزم مناصرة كل حليف لحليفه والهدف الحقيقى لليهود هو إضعاف العرب جميعا ، وتمزيقهم وتقليل أعدادهم .

---

(١) انظر مكائد يهودية ، عبر التاريخ للأستاذ عبد الرحمن حبنك الميدانى ص ٣٨ .

لقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الحوادث فى قوله تعالى :

(وإن أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ، ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان ، وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم ، أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فماجزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عماتعملون) (١) .

روى ابن جرير الطبرى رحمه الله بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : " ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان " أى إلى أهل الشرك حتى سفكوا دماءهم معهم ، وتخرجوهم من ديارهم ، فقال : أنبهم الله من فعلهم ، وقد حرم عليهم فى التوراة سفك دمائهم وافترض عليهم فيها فداء أسراهم فكانوا فريقين ، طائفة منهم من بنى قينقاع حلفاء الخزرج ، وبنى النضير وبنى قريظة حلفاء الأوس فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج ، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس يظاهر كل من الفريقين حلفاءه على إخوانه ، حتى تسافكوا دماءهم بينهم ، وبأيديهم التوراة يعرفون منها ماعليهم ومالهم ، والأوس والخزرج أهل الشرك يعبدون الأوثان لا يعرفون جنة ولا نارا ، ولا بعثا ولا قيامة ، ولا كتابا ولا حراما ولا حلالا ، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقا لمافى التوراة وأخذا به بعضهم من بعض ، يفتدى (بنو قينقاع) ماكان فى أيدى

---

(١) البقرة : ٨٤ - ٨٥ .

الخزرج منهم ، ويطلبون ما أصابهم من الدماء وقتلوا من قتلوا منهم فيما بينهم ، مظاهرة لأهل الشرك عليهم (١) .

وكان اليهود يتحدثون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم عن نبي يبعث في الجزيرة العربية ، وورد ت صفاته في كتبهم وتنبؤاتهم ، وكانوا يهددون الأوس والخزرج ويحذرونهم بمبعثه ، وأنه إذا بعث يؤمنون به ، ويقاتلون أهل الشرك معه ويقتلونهم قتل عاد وإرم . قال ابن اسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا : إن مما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهداه لما كنا نسمع من رجال يهود كنا أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا قلنا منهم بعض ما يكرهون ، قالوا لنا : إنه تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فكنا كثيرا ما نسمع منهم ذلك .

وكانت العلاقة بين الأوس والخزرج سيئة للغاية ، واليهود كان لهم باع كبير في اشعال الحرب بين هذين الحيين العربيين ، لأنهم كانوا يرون أن مصلحتهم تقتضي ذلك ، فالعرب إذا صارت كلمتهم متفقة ربما يلتفتون إلى ما يكيد لهم اليهود ، فتكون يدهم عليهم . لذلك كانوا حريصين دائما على القضاء على وحدة العرب . فجاء رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، والمدينة حالها هذه ، فأراد أن يهدئ وضعها الأمني ، فأزال أولا ماكان بين الأوس والخزرج من العداء ، ثم آخى بينهم وبين المهاجرين ، فصار الأنصار والمهاجرون قوة فعالة وجيشا

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن ١/٣٩٧ .

مرهبا فى قلب المدينة المنورة ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظم حياة المدينة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا .

فلما رأى اليهود هذه القوة الهائلة حولهم ، بادروا إلى حسن استقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ظنا منهم أن فى مقدورهم استمالته إليهم ، وادخاله فى حلفهم والاستعانة به على تحقيق أطماعهم ، ليسودوا الجزيرة العربية ، ويسخروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته لمصلحتهم .

وقابلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسماحة وكرم ، لحسن طباعه وردّ تحيتهم بمثلها آملا توثيق صلاته بهم ، وكتب الوثيقة الدستورية المشهورة التى تضمنت فيماتضمنته ماللیهود وماعليهم فى دولة الاسلامية فى المدينة .

وكان لليهود قوة مافى شمال الحجاز ، قد تعادل نفوذ قريش فى جنوبه وكان هذا النفوذ يعتمد على السياسة الاقتصادية .

فلقد كان بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة يملكون زمام التجارة والزراعة فى المدينة وماحولها .

ولما وادعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الوثيقة التى أشرت إليها أقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم ، واشترط عليهم .

وقد ذكر ابن اسحاق نصّ هذه الوثيقة التى كتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنها مايلى :

" وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن يهود عوف أمة من المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم

وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ (يهلك) إلا نفسه وأهل بيته "(١)

ثم ذكر أنه كتب لجميع البطون اليهودية مثل هذه الصيفة ، وختم الصحيفة بقوله : " وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وإن بينهم النصر على من حارب (أهل) هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ، وانه لا يأثم امرؤ بحليفه ، وان النصر للمظلوم ، وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة "(٢) .

بهذه الحكمة النبوية وبهذه الروح السمحة عاش سكان المدينة مدة من الزمن فى جوّ هادئ وطيئ بالطمأنينة والسكينة .

وبدأ الإسلام ينتشر فى عرب المدينة انتشارا سريعا ، ورأى اليهود أن هذا الحدث العظيم ، ليس لهم مصلحة فيه ، وأن الإسلام أصبح القوة الوحيدة فى المدينة ، وأصبح يقف أمام مطامعهم وصار المسلمون يفهمون حقيقة اليهود ، ورأى اليهود أيضا أن الإسلام وحّد بين الأوس والخزرج ، وكان اليهود يستغلون النعرات الجاهلية لينفذوا منها إلى غاياتهم ومطامعهم ، ولكن الآن لا سبيل لهم إلى ذلك ، فماذا يفعلون إذا لكى يستردوا قوتهم التى بدأت تتلاشى أمام وحدة المسلمين مع أنهم كانوا ينتظرون هذا الرسول وهذا النبى كما قال تعالى :

(ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)(٣) .

---

(١) و (٢) سيرة ابن هشام ١٠٨/٢ .
(٣) البقرة : ٨٩ .

لكنهم كانوا يظنون أنه من نسل إسرائيل ، وكانوا من قبل مبعثه يستفتحون على خصومهم العرب ، فلما عرفوا أنه من نسل اسماعيل حرفوا صفته فى التوراة ، وكذبوه ، وتألبوا عليه كما تألبوا من قبل على عيسى عليه الصلاة والسلام ، مع أن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد فسح صدره لهم وعفا عنهم مرارا إلا أن القوم هم كما وصفهم ابن منهم .

يقول عبد الله بن سلام بعد إسلامه سرّا :

" وكتمت إسلامى من يهود ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له : يارسول الله ، إن يهود قوم بهت ، وإنى أحب أن تدخلنى فى بعض بيوتك ، وتغيبّنى عنهم ، ثم سألهم عنى ، حتى يخبروك كيف أنا فيهم ، قبل أن يعلموا بإسلامى ، فإنهم إن علموا به بهتونى وعابونى قال فأدخلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض بيوته ودخلوا عليه فلكموه وسألوه ، ثم قال لهم : أى رجل الحصين بن سلام فيكم ؟ قالوا : سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا ، قال : فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم ، فقلت لهم : يامعشر يهود ، اتقوا الله واقبلوا ماجاءكم به فو الله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله ، تجدونه مكتوب عندكم فى التوراة باسمه وصفته ، فإنى أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأومن به وأصدقه وأعرفه ، فقالوا كذبت ، ثم واقعوا بى ، قال : فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم أخبرك يارسول الله أنهم قوم بهت ، أهل غدر وكذب وفجور ؟ : : (١) " .

هذه هى حقيقتهم ، فهل من كان على هذا الوضع يبقى أمينا على العهد وهل يؤمن مكره وخداعه ؟ فلا إذا .

---

(١) سيرة ابن هشام : ١١٨/٢ . وروى القصة أيضا الإمام أحمد فى المسند ١٠٨/٣ . والإمام البخارى فى كتاب التفسير سورة ٢ ، ٦٠ .

ومن هنا بدأ اليهود يتآمرون على الإسلام وعلى المسلمين خفية وفي بعض الأحيان يكيدون كيدا ظاهرا ، وذلك إذا سمحت لهم الفرصة فهي سلسلة متصلة من الخيانات والمؤامرات إنهم ماكانوا يلبثون حتى يعودوا سيرتهم الأولى من الخيانة والعداوة والبغضاء ، وقد كانوا كذلك رغم مهادنة الإسلام لهم ، وتأمينهم على أموالهم مع احتفاظهم بديانتهم التي كانوا يمارسونها في حرية تامة والسبب في ذلك أنهم كانوا يرون في الدعوة الإسلامية زوال سلطانهم الديني والمادي فكانوا يبدون لرسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف مايبطنون ، أنها سيرتهم الأولى مع أنبياء الله ورسله وأتباعهم .

(أفكلما جاءكم رسول بمالا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) (١) .

قام اليهود بكل ماعندهم من القوة المعنوية والمادية بمحاربة الإسلام والعقيدة الإسلامية الجديدة التي جاء بها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد قاموا بمحاولات عديدة ، ففي الأول نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تحالفوا مع أعدائه من المشركين مع أنهم يدركون أن نصرته عليهم فرض وواجب ، ثم بدأوا يحاولون تشكيك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمايتزل عليه بأرائهم الفاسدة وبأسئلتهم المتعنتة وتشكيك المسلمين فيمايسمعون من نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأنهم لما روا أن عدد المسلمين يزداد على شكل لم يكونوا يتوقعونه فبدأوا يكيدون لرسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) البقرة : ٨٧ .

ولدعوته مستعطين سلاح التهديم والدسيسة والنفاق لعلهم يضعفون من هذا الدين الجديد الذى بدأ .. يخيفهم ، فدسوا من أحبارهم من أظهر إسلامه ومن استطاع أن يجلس بين المسلمين ، وهو يظهر التقوى والصلاح ثم لا يلبث الغينة بعد الغينة يبدى الشكوك والريب ، ويلقى على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأسئلة مايظن أنه يزعزع أنفس المسلمين وعقيدتهم وإيمانهم برسالته التى يدعو إليها ، كما استعطوا فى غرضهم هذا جماعة من الأوس والخزرج الذين أسلموا نفاقا أيضا ، ليوقعوا بين المسلمين . لقد واصلوا عملهم ليل نهار سرا وعلى نية ، وسلكوا طريق الجدال والإنكار والتحريف والتشكيك ، وتلبيس الحق بالباطل وكل مسلك يوحى إليهم به معلمهم إبليس ، وحاولوا بلبلة أفكار المسلمين وتشتيت أذهانهم ، ولكن باءت - بحمد الله - كل محاولاتهم فى عهد رسول الله بالفشل ، وقد رد الله كيدهم فى نحورهم .

(ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) (١) .

٢ - أمثلة من محاولاتهم :

المثال الأول :

حاولوا فتنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بعض ما أنزل الله عليه وصرفه عن الحق الذى جاءه من عند رب العالمين . قال تعالى :

(وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ، فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وإن كثيرا من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) (٢) .

---

(١) آل عمران : ٥٤ .
(٢) المائدة : ٤٩ - ٥٠ .

روى ابن اسحاق عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « قال كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس : اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه ، فجاءوه ، فقالوا : يامحمد ، إنك قد عرفت أنا أحبار اليهود ، وأشرافهم وساداتهم وأنا إن اتبعناك اتبعتنا يهود ولم يخالفونا ، وأن بيننا وبين قومنا خصومة ، فنحاكمهم إليك فتقضى لنا عليهم ونؤمن بك ، فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنزل الله فيهم (وأن احكم بينهم بما أنزل الله إلى قوله : (لقوم يوقنون) » (١) .

لا شك أنها محاولة هدفها صرف النبى صلى الله عليه وسلم عن الهدى وعن الطريق المستقيم ، وأن يحكم بغير ما أنزل الله عليه ، فهو لا ريب خطر عظيم على مقام النبوة والرسالة ، وهو مقام لا يصح فيه الاجتهاد والعمل بالرأى ما دام لله فيه حكم ثابت .

وأمام هذا العرض المغرى الخبيث من أحبار يهود لم يكن من الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن يعتصم بموقف النبوة ، وأن يتمسك بما تفرضه عليه الرسالة الربانية ، ومن أجل ذلك رفض عرضهم ، وأبى أن يحكم بينهم إلا بالحق إذا تحاكموا إليه .

المثال الثانى :

محاولتهم قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

هذه المرة عادوا إلى جرائم أسلافهم الكبرى الذين قتلوا زكريا وولده يحيى صلاة الله وسلامة عليهما ، وحاولوا قتل عيسى عليه السلام لولا أن

---

(١) أسباب النزول للسيوطى ص ٧٣ .

نجاه الله من شرهم ، وهاهم اليوم يحاولون قتل خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وعلى إخوانه وسلم ، والهدف هو القضاء على هذه العقيدة الربانية ، لأن قتل صاحب الرسالة قتل لها ، وقد حاولوا ذلك مرتين :

الأولى : مارواه ابن اسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " خرج إلى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك القتيلين من بنى عامر الذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى ، للجوار الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما ، قال كما حدثنى يزيد بن رومان ، وكان بين النضير وبين بنى عامر عقد و حلف ، فلما أتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم فى دية ذينك القتيلين ، قالوا نعم ، يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت ، مما استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة ، فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، أحدهم فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلقى عليه الصخرة ، كما قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم ، فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعا إلى المدينة ، فلما استلبث النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه ، فقاموا فى طلبه ، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة ، فسألوه عنه فقال رأيته داخلا المدينة . فأقبل أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر ، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم (١).

الثانية : محاولتهم قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما انتهى من غزوة خيبر .

جاء فى سيرة ابن هشام مايلى :

« فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية (مسمومة) وقد سألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها : الذراع ، فأكثرت فيها من السم ، ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن المعرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما بشر ساغها ، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال : إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم ، ثم دعا بها فاعترفت ، فقال ماحملك على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومى مالم يخف عليك فقلت إن كان ملكا استرحت منه وإن كان نبيا فسيخبر ، قال فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر من أكلته التى أكل ، ثم قال ابن اسحاق : وحدثنى مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن معلى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال : فى مرضه الذى توفى فيه ، ودخلت أم بشر بنت البراء بن المعرور تعوده ياأم بشر إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهرى (٢) من

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام : ١٠٨/٣ .

(٢) الأبهر عرق من عرقين يخرجان من القلب ومنها تتشعب الشرايين كلها .

الأكلة التى أكلتها مع أخيك بخيبر . قال : فإن كان المسلمون ليرون رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة" (١)

المثال الثالث :

سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال التعنت لبلبلة أفكار المسلمين :

كان اليهود أهل كتاب وعلم ، وكان العرب على عكس من ذلك ، وكان أهل الكتاب يعرفون أن الأمور المغيبات قد استأثر الله بعلمها ولم يكشفها لأحد من خلقه لا ملك مقرب ولا نبى مرسل ومع ذلك فقد جعلوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة ويدعون أنهم يعلمون وقتها ، ليكشفوا أمام الناس عدم علم الرسول به بغية أن يفتنوهم عن الإيمان به ويصدوهم عن الإسلام .

قال الله تعالى مخبرا عن ذلك :

(يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة) (٢) .

وأخرج ابن جرير الطبرى رحمه الله وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : " قال حمل بن أبى بشير وصموئيل بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا كما تقول ، فإنا نعلم متى هى فأنزل الله (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) الآية" (٣) .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢١٨/٣ . وروى البخارى فى كتاب الطب ٥٥ .
(٢) الأعراف : ١٨٧ .
(٣) أسباب النزول للسيوطى ص ٨٤ .

وخمل وصموئيل حبران من أحبار اليهود ، يدركون حقيقة أن علم الساعة عند الله تبارك وتعالى ، إنما هو مطلب من مطالب التعنت فهم يعلمون علم اليقين أن وقت قيام الساعة ، وقت أخفاه الله عن جميع الخلق فى السموات والأرض ، فلا يعلم به نبى مرسل ولا ملك مقرب ولكنهم يريدون أن يشككوا المسلمين ، فى رسالتهم وأن يزعزعوا عقيدتهم ويبلبلوا أفكارهم ويشتتوا أذهانهم ، إنهم يعلمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم وسائر رسل الله لا يملكون أن يحددوا متى تقوم الساعة وأنه لو حدد لهم ذلك أحد يقول إنه نبى لكان كذابا ولم يكن رسولا (١) .

المثال الرابع :

استغلال يهودى فى شأن ناقة النبى صلى الله عليه وسلم حين ضلت :

أظهر الله نفاق زيد بن اللصيت بما بدا منه فى لحن القول من دس حقير على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليلقى الشك فى نفوس المسلمين وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضلت ناقته فاستغل هذا اليهودى المنافق ذلك لبلبلة أفكار المؤمنين .

جاء فى سيرة ابن هشام خلال الحديث عن غزوة تبوك مايلى :

قال ابن اسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته ، فخرج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبها ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه ، يقال له عمارة بن حزم وكان عقبيا بدريا .... وكان فى رحله زيد بن اللصيت القينقاعى ، وكان منافقا .... فقال : وهو فى رحل

---

(١) انظر مكايد يهوديه عبر التاريخ ص ٦٠ .

عمارة ، وعمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أليس محمد يزعم أنه نبى ، ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لا يدرى أين ناقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده : إن رجلا قال : هذا محمد يخبركم أنه نبى ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ، وأنى والله ما أعلم إلا ما علمنى الله ، وقد دلنى الله عليها وهى فى هذا الوادى فى شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتونى بها ، فذهبوا فجاءوا بها " (١) .

فبطلت بذلك مقالة زيد بن اللصيت ، وأظهر الله صدق نبوة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ورد كيد الكافرين والمنافقين فى نحورهم ، وتأكدت ثقة المسلمين بنبيهم بعكس ما دبر الخائنون المنافقون .

فهذه كانت محاولة تشكيك المسلمين فى رسالة نبيهم ، ولكن الله عز وجل فضح مكرهم ، وأبطل مقالتهم وخيب مسعاهم .

المثال الخامس :

محاولات إضلال المسلمين :

حاول اليهود إضلال المسلمين عن سواء السبيل بعد أن هداهم الله تبارك وتعالى . وقد سلكوا فى ذلك سبلا شتى ، من ذلك :

أ ـ تدبير خطة الدخول فى الإسلام على سبيل النفاق ، ثم الخروج منه والارتداد عنه سخطة عليه لأغراض فى نفوسهم لفتنة المسلمين

---

(١) انظر ٤/١٢٣ - ١٢٤ .

عن دينهم ، وزلزلة عقيدتهم ، وردهم عن دينهم ، واحداث الشقة والخلاف فى صفوف المسلمين حتى يفقدوهم ماهم عليه من طمأنينة وسكينة ، ويحدثوا فيهم القلاقل والاضطراب ، ويقذفوا فى قلوبهم الشك والحيرة .

وقد بين الله سبحانه وتعالى خطتهم هذه بقوله فى شأنهم :

(وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) (١) .

إن فى هذه الآية كشفا للهدف الأساسى الكامن وراء أعمال أهل الكتاب ، وهو الرغبة الشديدة والملحة فى إضلال المسلمين عن دينهم وتشكيكهم فى عقيدتهم ، فالإيمان وجه النهار أى أوله والكفر به آخره طريقة ماكرة خبيثة للاغراء بالكفر ، فإن إظهار الإسلام ، ثم الخروج منه والرجوع عنه ، يوقع بعض ضعاف النفوس والعقول وغير المتثبتين من حقيقة دينهم وطبيعته فى بلبلة واضطراب ، لاسيما الأميون الذين كانوا يظنون أن أهل الكتاب أعرف منهم بطبيعة الديانات والكتب ، فإذا رأوهم يؤمنون به ثم يرتدون عنه حسبوا أنهم إنما ارتدوا بسبب اطلاعهم على باطل أو نقص فى هذا الدين ، فتأرجحوا بين اتجاهين ، فلم يكن لهم ثبات على حال ، وهذه المحاولة ربما تكون أكثر مكرا وأشد أثرا على نفوس الضعفاء .

والظاهر أن اليهود قد وجدوا أن طريق الجدل والإنكار والتحريف لم يحقق لهم مايريدون من صرف الناس عن العقيدة الإسلامية فلجأوا إلى هذه المكيدة الخبيثة لعلها تؤثر على بعض المسلمين .

---

(١) آل عمران : ٧٢ .

قال ابن كثير : " إن هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم ، وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار ، ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح ، فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم ليقول الجهلة من الناس ، إنما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقص وعيب فى دين المسلمين ، ولهذا قالوا : (لعلهم يرجعون) (١) وقال مجاهد : "يعنى اليهود صلت مع النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ، وكفروا آخر النهار مكرا منهم ليروا الناس أنه قد بدت لهم الضلالة منه بعد أن كانوا اتبعوه " (٢) .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : " قالت طائفة من أهل الكتاب: إذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار فآمنوا به وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم ، لعلهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا " (٣) .

وقال القرطبى رحمه الله تعالى : " ومعنى الآية : أنه قال بعضهم لبعض اظهروا الإيمان بمحمد فى أول النهار ثم اكفروا به آخره ، فإنكم إذا فعلتم ذلك ظهر لمن تبعه ارتياب فى دينه ، فيرجعون عن دينه إلى دينكم ، ويقولون إن أهل الكتاب أعلم به منا " (٤) .

ب ـ الإضلال عن طريق التلبيس وكتمان الحق :

قال الله تعالى :

(يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) (٥) .

---

(١) و (٢) و (٣) تفسير ابن كثير ١/ ٣٧٣ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ١١١ .

(٥) آل عمران ٧١ .

وقال عز وجل :

(ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون)(١) .

هذه هي بعض ضلالاتهم التي حاولوها ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين ، حاولوا لبس الحق وتخليطه بالباطل ، وذلك لا خفائه وكتمانه وتضييعه في غمار الباطل عن قصد وعلم ، هذه هي طرائقهم التي اعتادوها .

لقد حرفوا في المعاني والألفاظ ، وخلطوا الحق بالباطل تضليلا وتزييفا ، وكتموا مايتعلق بالإسلام ونبي الإسلام مماهو موجود في كتبهم .

يروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال لعبد الله بن سلام : أتعرف محمدا كماتعرف ولدك ؟ قال نعم ، وأكثر ، نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنعته فعرفته ، وإني لا أدري ماكان من أمه(٢) .

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى عند قوله تعالى : " ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون)(٣) .

" .... تأويل الآية ... : ولا تخلطوا على الناس أيها الأحبار من أهل الكتاب ، في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وماجاء به من عند ربه ، وتزعمون أنه مبعوث إلى بعض الأمم دون بعض ، أو تنافقوا في أمره وقد علمتم أنه مبعوث إلى جميعكم ، وجميع الأمم غيركم ، فتخلطوا بذلك الصدق بالكذب ، وتكتموا به ماتجدونه في كتابكم من نعته وصفته ، وأنه رسولي إلى الناس كافة ، وأنتم تعلمون أنه رسولي ، وأن ماجاء به

---

(١) البقرة : ٤٢ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١/ ١٩٤ .

(٣) البقرة : ٤٢ .

إليكم فمن عندى ، وتعرفون أن من عهدى الذى أخذت عليكم فى كتابكم الإيمان به وبما جاء به والتصديق به " (١) .

ولا تقولوا لا نجد فى التوراة صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، أو حكم كذا أو تمحوا ذلك أو تكتبوه على خلاف ماهو عليه .

وقال محمد بن سيرين : نزلت عصابة من ولد هارون يثرب لما أصاب بنى اسرائيل ماأصابهم من ظهور العدو عليهم والذلة ، وتلك العصابة هم حملة التوراة يومئذ ، فأقاموا بيثرب يرجون أن يخرج محمد صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم ، وهم مؤمنون ومصدقون بنبوته ، فمضى أولئك الآباء وهم مؤمنون ، وخلف الأبناء وأبناء الأبناء فأدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فكفروا به وهم يعرفونه ، وهو معنى قوله : (فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به) (٢) .

وهل هناك تلبيس وكتمان وتضليل أكبر من تلبيس وكتمان صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع أنهم يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ، إنها نية وقصد فاسد كائن فى ضمائرهم ووجدانهم ، وكشف الله حرصهم على تضليل المسلمين وإخراجهم عن دينهم فقال تعالى : (٣)
(ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ومايضلون إلا أنفسهم ومايشعرون)

المثال السادس :

إثارتهم الشكوك حول تحويل القبلة .

كان اليهود يقولون قبل تحويل القبلة عن النبى صلى الله عليه وسلم :

---

(١) جامع البيان : ٢٥٦/١ .
(٢) البقرة : ٨٩ .
(٣) آل عمران : ٦٩ .

انه يخالفنا ثم يتبع قبلتنا ، ولولا نحن لم يدر أين يستقبل ، فلما تحولت القبلة أخذتهم العزة بالإثم واستوحشوا وادعوا أنه لا يجوز النسخ.(١) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال «: لما صرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة وصرفت فى رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن قيس وقردم بن عمرو ، وكعب بن الأشرف ، ونافع بن أبى نافع ، وحجاج بن عمرو ، وحليف كعب بن الأشرف ، والربيع بن الربيع بن الحقيق ، وكنانة بن أبى الحقيق ، فقالوا : يامحمد ، ماولاك عن قبلتك التى كنت عليها وتزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلتك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك ، وإنما يريدون فتنته عن دينه ، فأنزل الله فيهم :

(سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، وماجعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه)»(٢) .

ويقول ابن جرير الطبرى «: وكان سبب ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس مدة تبلغ سبعة عشر شهرا ، ثم أراد الله تعالى صرف قبلة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، إلى المسجد الحرام فأخبره عما اليهود قائلوه من القول عند صرف وجهه ووجه أصحابه شطره

---

(١) انظر تفسير النيسابورى للحافظ المفسر المقرئ نظام الدين الحسن بن محمد الحسين : ٢/ ٢٢ على هامش تفسير ابن جرير الطبرى .

(٢) جامع البيان : ١/ ٣ .

وماالذى ينبغى أن يكون من رده عليهم من الجواب ؟ (١)

ثم لمايئسوا من صرف الرسول وأصحابه عن قبلتهم أشاعوا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث قالوا : قد عاد الرجل إلى طريقة آبائه ، واشتاق إلى دينهم ، ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون هو صاحبنا الرسول المنتظر المبشر به فى التوراة .

والهدف الذى كانوا يقصدون إليه واضح إذ كانوا يريدون فتنة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين من وراء سه عن دينهم ، وفتنة من تدخل عقله هذه الأقوال السقيمة (٢) ، مع أن هؤلاء اليهود يعلمون من كتبهم صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق مايبلغه عن ربه ، ومن ذلك أن الكعبة هى القبلة بأمر الله ، ولكنهم يثيرون الشبهات لايقاع الفتنة بين المسلمين ، والدليل على ذلك قوله تعالى :

(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كمايعرفون أبناءهم ، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) (٣) .

قال ابن جرير الطبرى رحمه الله قال أبو جعفر :" وقوله (ليكتمون الحق) وذلك الحق هو القبلة التى وجه الله عز وجل إليها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، يقول : (فول وجهك شطر المسجد الحرام) التى كانت الأنبياء من قبل محمد صلى الله عليه وسلم يتوجهون إليها ، فكتمها اليهود والنصارى ، فتوجه بعضهم شرقا وبعضهم بيت المقدس ورفضوا ماأمرهم الله به .

---

(١) المصدر السابق ٢/٣ .

(٢) انظر النفاق والمنافقون إبراهيم على سالم ص ٩٠ .

(٣) البقرة : ١٤٦ .

وروى عن ابن زيد فى قوله : (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كمايعرفون أبناءهم) قال : اليهود يعرفون أنها هى القبلة ، مكة "(١)

ثم ذكر روايات كثيرة عن السلف كلها تدل على هذا المعنى ، وقد اقتصرت على هذه لئلا يحصل التكرار فى المسألة .

وقال القرطبى رحمه الله فى قوله تعالى (وإن الذين أوتوا الكتاب): " يريد اليهود والنصارى (ليعلمون أنه الحق من ربهم) يعنى تحويل القبلة من بيت المقدس ، فإن قيل : كيف يعلمون ذلك وليس من دينهم ولا فى كتابهم ، قيل عنه جوابان :

أحدهما : أنهم لما علموا من كتابهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبى علموا أنه لا يقول إلا الحق ولا يأمر إلا به .

الثانى : أنهم لما علموا من دينهم جواز النسخ وإن جحده بعضهم فصاروا عالمين بجواز القبلة ."(٢)

* * * *

---

(١) جامع البيان ٢ / ٢٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢ / ١٦١ .

" الفصل الثاني "

" محاولات اليهود إفساد عقيدة المسلمين فيمابعد عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

١ - عبد الله بن سبأ ودوره في محاولة إفساد عقيدة المسلمين .

٢ - الفرق الباطنية ودورها في إفساد عقيدة المسلمين .

الفصل الثانى: محاولات اليهود إفساد عقيدة المسلمين فيما بعد عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١ - عبد الله بن سبأ ودوره فى محاولة إفساد عقيدة المسلمين :

استمر اليهود فى محاولات إفساد عقيدة المسلمين بعد عصر النبوة وكانت خطة الدخول فى الإسلام نفاقا من خططهم الخبيثة التى كانوا يسلكونها منذ فجر الإسلام ، واستمروا يسلكونها عبر تاريخ المسلمين وإن وسائلهم لم تتغير كما أن أهدافهم لم تتغير .

فالدخول فى الإسلام نفاقا ، وتلبيس الحق بالباطل ، وإظهار التقوى والصلاح أثناء ذلك ، كل ذلك كان من أساليبهم .

وقصة نفاق اليهود قصة طويلة فى كل أدوار تاريخهم .

كان اليهود ينتظرون الفرص السانحة ليتمكنوا من إفساد عقيدة المسلمين فلم يظفروا فى عهدى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما بما أرادوا حتى جاء عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فاستغلوا سماحته ولينه وعطفه كما تذكر كتب التاريخ ، فدخل بعض منهم الإسلام ظاهرا وعمل من المكايد وهو بين المسلمين ماكان يعجز عن عمله لو ظل فى يهوديته ، ومن بين الذين دخلوا الإسلام فى تلك الفترة (عبد الله بن سبأ) الذى قام بما قام به بولس اليهودى الذى أدخل فى النصرانية ألوهية عيسى عليه السلام ، إلا أن هذا الأخير لم تعش أفكاره ، كما عاشت مبادئ بولس، ذلك أن الظروف الاجتماعية قد كانت مختلفة تماما ، بسبب أن القرآن كان محفوظا عند المسلمين ، ومكتوبا أيضا على أشياء محفوظة من الجلود

والرقاع والألواح والعسب والأكتاف والصحف ، وغير ذلك مماكان يكتب عليه شئ .

والقرآن خير حارس للعقيدة الإسلامية ، ومايتعلق بها ، ولم يكن الإنجيل كذلك ، إذ ضاع فى وسط الأحداث المؤلمة التى أصابت المسيحيين فى ذلك الوقت .

وعبد الله بن سبأ هذا يهودى ، يمانى من أهل صنعاء ، عاصر عثمان وعليا ، ويقال : إنه أسلم فى زمان عثمان رضى الله تعالى عنه ، ثم تنقل فى بلدان المسلمين ، يحاول تضليلهم ، فبدأ بالحجاز ثم انتقل إلى البصرة ثم إلى الكوفة ثم إلى الشام ، فلم يقدر على مايريد عند أحد من أهل الشام ، فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم (١) ، وقد كان على دين اليهود ، وأراد بدخوله فى الإسلام إفساد عقيدة المسلمين .

« وقال المحققون من أهل السنة : إن ابن السوداء كان على هوى دين اليهود ، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته فى على وأولاده ، لكى يعتقدوا فيه مااعتقدت النصارى فى عيسى عليه السلام . وقد انتسب إلى الرافضة حين وجدهم أعرق أهل الأهواء فى الكفر ودس ضلالته فى تأويله » (٢).

وقال ابن عساكر فى تاريخه : « كان أصله من اليمن وكان يهوديا فأظهر الإسلام ، وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشرور ، ودخل دمشق لذلك » (٣).

---

(١) اعتمر فيهم : أى طالت إقامته فيهم .

(٢) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبرى : ٣/٣٧٨ ، والفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٢٥ .

(٣) لسان الميزان لابن حجر العسقلانى ٣/٢٨٩ .

وقام عبد الله بن سبأ باشعال نار الفتنة فى صفوف المسلمين عن طريق جماعة لم تدخل بشاشة الإيمان قلوبهم ، ولم يكن لهم حظ من فهم العقيدة الإسلامية فهما صحيحا سليما ، إذ لم يتخلصوا من الأفكار التى كانت محيطة فى بيئتهم ، والتى تأثروا بها قبل الإسلام فاتصل بأولئك الناس ، وحرش بعضهم على الأمراء ، وأغرى بعضهم ببعض وأشعل الفتنة ، وأنزل بالعالم الإسلام نارا ظلت متأججة مئات من السنين ، ومازالت تتأجج حتى اليوم .

وكان عبد الله بن سبأ هو الذى ألب أهل مصر والكوفة والبصرة على عثمان رضى الله تعالى عنه ، حتى اغتالوه ، لأنه كان يذيع بين الناس أن عثمان قد اغتصب الخلافة ، من صاحبها وهو على رضى الله عنه . ولقد أتى عبد الله هذا بأفكار وأكاذيب تتضمن تحريف العقيدة الإسلامية وإخراجها من أصولها القرآنية ، فقد نادى بمبادئ ليست من دين الله الحق فى شئ ، وإنما هى عقائد يهودية كما سيتضح لنا .

وقد أسس جمعية سرية فى أوساط المجتمع الإسلامى ، وهى جمعية مختصة بالقضاء على الإسلام ، وتقويض الدولة الإسلامية ، ونسف عقيدتها من أساسها بادخال باطل مفترى إلى أصولها .

العقائد التى جاء بها عبد الله بن سبأ :

١ - الرجعة :

بث عبد الله بن سبأ فكرة أن الأرواح إذا ماتت سترجع إلى الدنيا مرة أخرى ، وبناء على ذلك قال برجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الدنيا بعد ماتوفاه الله إلى دار الآخرة ، فقال :

" عجبت ممن يزعم أن عيسى " عليه السلام " يرجع ويكذّب بأن محمدا

" صلى الله عليه وسلم " يرجع . وقد قال الله عز وجل :
(١)
(إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) .

فمحمد أحق بالرجوع من عيسى " عليه السلام " فقبل ذلك عنه ، ووضع
(٢)
للناس الرجعة فتكلموا فيها " .

وقد كان يخاطب الناس فى هذه القضية بطريقة ماكرة فيها نوع من الحوار البارد الذى لا يغضب المخاطب بأول وهلة ، وكان يقول : أليس قد ثبت أن عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدنيا ؟ فيقول الرجل " المسكين " نعم ، فيقول له : فرسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " أفضل منه ، فلم تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا ؟ وهو أشرف من عيسى
(٣)
بن مريم عليه السلام .

بهذه الطريقة الماكرة يقنع الناس برجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو تضليل واضح للذين لم تستقر فى قلوبهم العقيدة الصحيحة والذين ليس لهم حظ من العلم والمعرفة .

وزعم بعد ذلك رجعة على رضى اللّه عنه ، فقد قال لما قيل له : إن عليا قتل : " إن جئتمونا بدماغه فى صرة لم نصدق بموته ، لا يموت
(٤)
حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها " .

---

(١) القصص : ٨٥ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبرى : ٣٧٨/٣ .

(٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٦٧/٧ .

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٢٤ .

وقال : لو أتيتمونا بدماغه ألف مرة ماصدقنا بموته ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا (١) .

وكان يكذب بقتل علي تكذيبا غريبا جدا ، حتى قال : لو أقام أحد على قتله سبعين عدلا ماصدقناه ، ولعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملك الأرض .

وزعم أن المقتول لم يكن عليا ، وإنما كان شيطانا تصور للناس في صورة علي ، وأن عليا صعد إلى السماء كما صعد عيسى بن مريم عليه السلام ، وقال : كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى " عليه السلام " كذلك كذبت النواصب والخوارج في دعواها قتل علي ، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصا مصلوبا شبهوه بعيسى عليه السلام ، كذلك القائلون بقتل علي ، رأوا قتيلا يشبه عليا ، فظنوا أنه علي ، وعلي قد صعد إلى السماء ، وأنه سينزل إلى الدنيا ، وينتقم من أعدائه وهو عندهم المهدي المنتظر (٢) .

وفكرة الرجعة لها عند اليهود أصل ، فهم يعتقدون أن النبي "إلياس" صعد إلى السماء ، وسيعود فيعيد الدين والقانون (٣) .

وزعمت السبائية أتباع عبد الله بن سبأ أن في علي جزءا إلهيا ، ولا يجوز أن يستولي عليه الموت ، ويقولون : إنه في السحاب ، وأن الرعد صوته والبرق تبسمه ، ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد ، قال : عليك السلام يا أمير المؤمنين ( ) " .

---

(١) انظر محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٩ هـ ص ١١ ٢ د / سعدي الهاشمي .
(٢) انظر الفصل لابن حزم ٤ / ١٨١ .
(٣) فاجعه في العهد القديم «إيليا» انظر الملوك الثاني ح/ ١١ .
(٤) انظر الفرق بين الفرق ص ٢٢٣ .

والذى لا شك فيه أن دعوة الرجعة قوبلت برفض شديد من جانب المسلمين ، ولم يقبلها إلا المنافقون ، وضعاف العقيدة ، والذين دخلوا الإسلام نفاقا فى البداية ، لذلك كان تأثيرها فى الفكر الإسلامى أقل من تأثير دعوة بولس فى النصرانية .

٢ - الوصية :

بث عبد الله بن سبأ فكرة أنه يجب أن يكون لكل نبى وصى ، وقام بإشاعة هذا الفكرة بين المسلمين ، بغية إفساد عقيدتهم ، وبغية إفساد مبدأ (وأمرهم شورى بينهم) و (وشاوروهم فى الأمر) . قال : " إنه كان ألف نبى ولكل نبى وصى ، وكان علىّ وصى محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال : محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ، وعلى خاتم الأوصياء ثم قال بعد ذلك : ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووثب على وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتناول أمر الأمة ، فعلىّ أحق من غيره فى الخلافة " (١) .

« وقد كان يقول وهو فى اليهودية فى يوشع بن نون : إنه وصى موسى عليهما السلام ، مثل ما قال فى علىّ ، وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة على رضى الله عنه ، ومنه انشعبت أصناف الغلاة من الشيعة » (٢) .

وبهذا يعتبر أول من أشاع فكرة الوصية لعلى رضى الله عنه ، وأنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته بعد وفاته بالنص .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٣/٣٧٨ .

(٢) الملل والنحل شهرستانى : ١/١٧٤ .

وزعم أنه رأى فى التوراة أن لكل نبى وصيا ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم خير الأنبياء ، وأن عليا خير الأوصياء .

٣ - قوله بنبوة على رضى الله تعالى عنه بعد ذلك :

زعم عبد الله بن سبأ أن عليا نبى من أنبياء الله ، وهذا تدرج منه إلى مرحلة أخرى وهى التى سنبينها فيمابعد إن شاء الله تعالى وقال : «إنه أفضل خلق الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو معصوم» (١) . وقال عبد القاهر البغدادى فى السبائية : «كيف يكون من فرق الإسلام قوم يزعمون أن عليا كان إلها أو نبيا» (٢) .

٤ - قوله بألوهية على رضى الله عنه .

لم يكتف عبد الله بن سبأ بقوله : إن على بن أبى طالب أحق بالخلافة من غيره ولا بقوله : إنه نبى بل ارتقى فى الافتراء حتى جعله إلها وقال لعلى : أنت ، أنت ، يعنى الإله ، وقال : وقد كان ألقى فى روعى أنك أنت الله ، وأنى نبى ، فقال له أمير المؤمنين : ويلك قد سخر منك الشيطان ، فارجع عن هذا ثكلت أمك وتب ، فأبى فحبسه واستتابه ثلاثة أيام ، فلم يتب فنفاه إلى المدائن .

ومرة قال : إن عليا فيه الجزء الإلهى أو هو الإله ، وأخرى قال : حلّ فى على جزء إلهى ، واتحد بجسده فيه ، وبه كان يعلم الغيب إذ أخبرنا بالملاحم ، وصح الخبر ، وبه كان يحارب الكفار ، وله النصر والظفر ، وبه قلع باب خيبر ، وعن هذا قال : والله ماخلعت باب خيبر

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٢٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٦ .

بقوة جسدانية ، ولا بحركة غذائية ، ولكن فعلته بقوة ملكوتية ، وزعموا أن هذا الكلام يدل على أن فيه جزءًا إلهيا ، وقال : هذا المعنى ماكان يعرفه ويعتقده الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، وإن كانوا على خلاف مراده . هذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كان يقول فيه : حين فقأعين واحد بالحد فى الحرم ، ورفعت القصة إليه : ماذا أقول : فى يد الله فقأت عينا فى حرم الله ؟ فأطلق عمر اسم الإلهية عليه لما عرف منه ذلك . (١)

ولما قالوا لعلى مشافهة : استعظم الأمر وأمر بنار فأججت وأحرقهم بالنار ، فجعلوا يقولون وهم يرمون فى النار : الآن صح عندنا أنه الله لأنه لا يعذب بالنار إلا الله ، وفى ذلك يقول على رضى الله عنه : (٢)

لما رأيت الأمر أمرا منكرا .: أججت نارا ودعوت قنبرا ؛ ومن أتباع عبد الله بن سبأ من كان يقول : إن الإله حل فى على وفى الأئمة من بعده وهذا القول يوافق بعض الديانات القديمة التى كانت تقول : بحلول الإلهية فى بعض البشر ، وإن روح الإله تتناوب الأئمة إماما بعد إمام كمايقول المصريون القدماء : فى الفراعنة . (٣)

ومنهم من يقول : إن الإله تجسد فيه .

فهؤلاء أوجبوا الإلهية لغير الله عز وجل ، بذلك لحقوا بالنصارى واليهود الذين نهجوا هذا المنهج وكفروا أشنع الكفر .

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستانى : ١/١٧٤ .

(٢) انظر الفصل ٤/١٨٦ .

(٣) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية : ١/٤٢ .

٥ - زعمه أن القرآن جزء من تسعة أجزاء :

قال الذهبى : قال الجوزجانى : زعم "عبد الله بن سبأ" أن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند على "رضى الله تعالى عنه" فنهاه على بعد ماهم به (١). وقالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم تسعة أعشار الوحى ، سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم ، ولقد رد على مقالتهم هذه أحد أئمة أهل البيت وهو حسن بن محمد بن الحنفية فى رسالته التى سماها ب "الإرجاء" والتى رواها عنه الرجال الثقات عند الشيعة فيقول :

ومن قول هذه السبئية هدينا لوحى ضل عنه الناس ، وعلم خفى عنهم ، وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتم تسعة أعشار الوحى ، ولو كتم صلى الله عليه وآله وسلم شيئا مما أنزل الله عليه لكتم شأن امرأة زيد (٢) ، وقوله (تبتغى مرضاة أزواجك) (٣). وهذا كلام واضح يدل على تشكيكهم فى صحة القرآن وكماله وإثبات الخيانة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو اعتقاد باطل فى حق القرآن ، ويكفر قائله كفرا بواحا .

٦ - زعمه أن دابة الأرض التى ذكرت فى القرآن هى على رضى الله عنه .

قال الله تعالى : (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) (٤) .

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبى ٢/٤٢٦ .
(٢) التحريم : ١ .
(٣) انظر محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فى عام ١٣٩٨ - ١٣٩٩ هـ د/سعدى الهاشمى .
(٤) النمل : ٨٢ .

وقالوا : " لما بويع على بن أبى طالب رضى الله عنه خطب الناس ، فقام اليه عبد الله بن سبأ ، فقال له : أنت دابة الأرض ، فقال له : اتق الله فقال له : أنت الملك ، فقال : اتق الله ، فقال له : أنت خلقت الخلق وبسطت الرزق ، فأمر بقتله ، فاجتمعت الرافضة ، فقالت دعه وأنفه إلى سباط المدائن" (١) .

وجاء فى تفسير مجمع البيان فى تفسير القرآن للشيخ أبى على الفضل بن الحسن الطبرسى من أكابر علماء الإمامية فى القرن السادس مايلى :

" .... قال رجل لعمار بن ياسر ياأبا اليقظان ، آية فى كتاب الله أفسدت قلبى ، قال عمار أيّة هى ؟ فقال هذه الآية ، فأية دابة الأرض هذه ، قال عمار : والله ماأجلس ولا آكل ولا أشرب حتى أريكها ، فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين صلى الله عليه وسلم ، وهو يأكل تمرا وزبدا ، فقال ياأبا اليقظان هلم فجلس عمار يأكل معه فتعجب الرجل منه فلما قام عمار قال الرجل سبحان الله حلفت أنك لا تأكل ، ولا تشرب حتى ترينيها ، قال عمار أريتكها إن كنت تعقل (٢) .

والذى يبدو من هذه الرواية أنها من تأثيرات السبائين ومن قصصهم الموضوعة فى حق على رضى الله عنه .

٧ - <u>زعمت السبائية أن روح القدس تنتقل فى الأئمة :</u>

قالوا : إن روح القدس كانت فى النبى صلى الله عليه وسلم كماكانت فى عيسى عليه السلام ، ثم انتقلت إلى علىٍ ثم إلى الحسن ثم إلى الحسين

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ / ٤٣١ .

(٢) ٧ / ٢٣٤

ثم كذلك فى باقى الأئمة ، وعامتهم يقولون : بالتناسخ ، ومنهم من يزعم أن الأئمة أنوار من نور الله تعالى ، وأبعاض من أبعاضه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وبناء على هذا قالوا : نحن لا نموت ، وإنما موتنا طيران نفوسنا فى الغلس .

بهذه الأفكار الخبيثة التى أدخلها هذا اليهودى فى وسط المجتمع الإسلامى استطاع أن يضرب المسلمين بعضهم ببعض فى كل ناحية من نواحى الحياة ، وكانت هذه الأفكار عاملا من عوامل التفرقة بين المسلمين ، والتمزيق بين أتباع الدين الواحد ، وكان يقول لأتباعه فانهضوا فى هذا الأمر فحركوه ، وأبدأوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لتستميلوا الناس ، وادعوهم إلى هذا الأمر ، يعنى المبادئ التى أتى بها ، فقام أتباعه بنشر تلك الأفكار ، وأوسعوا الأرض إذاعة ، وهم يريدون غير مايظهرون ، ويسرون غير مايبدون (١) .

ولم يكن الدافع لهذا اليهودى إلى كل هذه الدسائس والفتن إلا عداوته للإسلام ، ومكره بالمسلمين وحقده عليهم ، ورغبته فى تنفيذ حلقة من مؤامرات اليهود على الإسلام .

٢ - دور الفرق الباطنية فى محاولة إفساد عقيدة المسلمين :

قال عبد القاهر البغدادي: "ابتدأ أمر الباطنية فى القرن الثانى الهجرى على يد رجل يهودى ومعه أناس من الفرس ، وكان ذلك فى خلافة المأمون ، وانتشر أمرها فى خلافة المعتصم بالله (٢)".

---

(١) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبرى : ٣٧٨/٣ .

(٢) الفرق بين الفرق عبد القاهر البغدادى ص ٢٦٩ .

وهى جمعية سرية سياسية ، ودينية فى نفس الوقت ، وديانتها مؤلفة من اليهودية والوثنية والمسيحية والاسلام (١) . وقد وضعها قوم تطابقوا - وكان فى قلوبهم بغض للإسلام ، وبغض للنبى صلى الله عليه وسلم .

وهم من اليهود والفلاسفة والملحدين والمجوس ، ليسلخوا الناس عن الإسلام بعد قوته ، وبعثوا دعاة إلى الآفاق والأطراف ليدعوا الناس إلى هذا المذهب المشئوم ، لعل القوة ترجع إليهم ويبطل دين محمد صلى الله عليه وسلم : فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

ومن المعروف أن الباطنية قد وضع جذورها المنافق اليهودى المشهور " عبد الله بن سبأ " المقلب بابن السوداء الذى قال بحلول الإله فى بعض مخلوقاته ، والذى ألّه عليا كماسبق بيان ذلك .

هذه الفرقة استحدثت أصولها من تلك الفكرة الإلحادية ، وهى تعتبر من أخطر الحركات الهدامة التى أنشئت فى المجتمع الإسلامى قديما وحديثا ، لأنها جمعية أسست على غرار الجمعيات اليهودية التى لا يعرف أغراضها ودستورها إلا زعماؤها الأقلون ، وقادة أفكارها المقربون إلى زعيمها .

وتعتبر هذه الجمعية من النكبات التى نزلت بالمسلمين قديما وحديثا ، وأعطت صورة بشعة عن المسلمين والإسلام أمام العالم مما سهل للدعاية اليهودية العالمية النيل من الإسلام ومن المسلمين .

يقول ابن الجوزى : " قال أبو حامد الطوسى : الباطنية قوم يدعون الإسلام ويميلون إلى الرفض ، وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام " (٢)

---

(١) انظر دائرة المعارف للبستانى ٣/٦٢٧ .

(٢) تلبيس إبليس ص : ١٠٤ .

وقد سبق بيان أن الذى أسس هذه الجمعية رجل يهودى ، وأضيف هنا أن اسمه ميمون القداح ، وقد ذكرت الدوائر السنية أن ميمون القداح وابنه عبد الله بن ميمون يهوديان من الفرقة العيسوية اليهودية وهى إحدى الفرق الأولى من طائفة القرائين ، فإنهما أنشئا مذهب الباطنية لتقويض دعائم الإسلام (١) .

وقد كان لأسرة القداح مكان مرموق فى تاريخ الدعوة الباطنية فى دورها الأول ، ومازالت الدعوة الباطنية تعتز بهذه الأسرة ، وقد اختلف المؤرخون فى أصل هذه الأسرة ، فمنهم من يقول : إنها أسرة يهودية - كما تقدم لنا كلام ابن الجوزى - تسترت بالإسلام لتنال منه ومنهم من يقول : إنها فارسية ، ولذلك أثارت حياة ميمون القداح وأسرته وعلاقتهما بالباطنية عاصفة من النقاش التاريخى الذى استمر إلى عصرنا هذا .

وقد اعتبر البعض أن ميمون القداح هو المؤسس الفعلى للحركة الباطنية ، وأن أئمة هذه الحركة هم من أولاده وأحفاده ، وقالوا : كان ميمون يهوديا ديصانيا عمل على تهديم الدين الإسلامى ونشر الإلحاد والزندقة فى أوساط المجتمع إسلامى (٢) .

والذى أراه حقا - والله أعلم - أنه كان من سلالة اليهود ، ذلك أنه لم يختلف من حيث الطبع والخطة عن سلفه اليهودى ابن سبأ ، والحقد على الإسلام ، والكيد لتقويضه والتخطيط لتنفيذ مؤامراتهم العدائية للإسلام والمسلمين كما سيتضح لنا فيما بعد إن شاء الله تعالى ، فهو

---

(١) انظر الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام يحيى بن حمزة علوى ص ٥٠ .

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير ١١/١١٦ .

أمر لا يخفى على المسلم ، وهذا مايؤكد يهوديته .

يقول ابن الأثير : " لقد اختلف العلماء في صحة نسبه ، منهم من نسبه إلى العلويين ، ومنهم من ينسبه إلى اليهود ، ثم قال : وزعم الأمير عبد العزيز صاحب كتاب تاريخ أفريقية والمغرب أن نسبه معرق في اليهود ، ونقل عن جماعة من العلماء وقد استقصى (١) » .

ويقول محمد بن الحسن الديلمي : " وقيل أصل هذه الدعوة الملعونة التي استهوى بها الشيطان أهل الكفر والعصيان والطغيان ظهور ميمون القداح في الكوفة سنة ست وسبعين ومائة سنة من التاريخ الهجري فنصب الملعون للمسلمين الحبائل وبغى لهم الغوائل ، ولبّس الحق بالباطل « ومكر أولئك هو يبور (٢) » . وكان الملعون عارفا بالنجوم معطلا لجميع العلوم فجعل أصول دعوته الاختصاص لعلي بالتقديم والإمامة ليستر بجلالة الإسلام وجاه علي وأولاده عليهم السلام كفره العظيم وإفكه القديم والإلحاد المبين ، والطعن على جميع الصحابة والتابعين ، وكان الملعون يعتقد اليهودية ويظهر الإسلام ، وكان يخدم لاسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام ، وكان حريصا على هدم شريعة الإسلام ، لما في اليهود من عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان قد خرج في أيام قرمط ولذلك نسبوهم إلى القرامطة ، لأنهما اجتمعا وعملا ناموسا يدعون اليه (٣) " .

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٢٦ - ٢٧ .

(٢) فاطر : ١٠ .

(٣) النشرات الإسلامية ص ٤ .

تسميتهم بالباطنية :

ذكرت كتب التاريخ أنهم سموا بذلك ، لأنهم ادعوا أن لظاهر القرآن والحديث بواطن تجرى من الظاهر مجرى اللّب من القشر ، وأنها بصورتها هذه توهم الجهال صورا جلية ، وهى عند العقلاء رموز واشارات إلى حقائق خفية ، وأن من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار وقنع بظواهرها كان تحت الأغلال التى هى تكليفات الشرع ، ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف ، واستراح من أعبائه قالوا : وهم المرادون بقوله تعالى :

(ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم) (١) .

ومرادهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظاهر ليقدروا بالتحكم بدعوى الباطن على إبطال الشرع ، واستدلوا أيضا بقوله تعالى :

(فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) (٢) .

وغرضهم من هذا إبطال حقائق الشرع فيما وضعوا من ذلك ، وهو أمر يوجب الانسلاخ من الدين .

وقيل : إنهم سموا بذلك ، لأنهم يقولون : إن الإمام مستور ، وقيل : إنهم سموا بذلك لستر أئمتهم ولستر أنفسهم ، واستخفائهم عن أعين الناس الذين كانوا يطّهدونهم ، وقيل غير ذلك (٣) .

عقائد الباطنية :

١ - معتقدهم فى التوحيد :

إن التوحيد لدى الباطنية أمر مضطرب ، ليس مستقرا على كيفية

---

(١) الأعراف : ١٥٧ .
(٢) الحديد : ١٣ .
(٣) انظر تلبيس إبليس ص ٩٩ .

معينة ، ولا على قاعدة ثابتة ، فمرة يفهم من كلامهم أنهم يحاولون إثبات الله وإثبات وحدانيته لا شريك له ، حيث قالوا : "إن الله سبحانه وتعالى منزه عن الصفات والأسماء ، لا شريك له ، وأنه تعالى ليس أيسا وليس ليسا ، وهو ليس من جنس العقول حتى تدركه العقول ، ولا بجسم حتى يراه البصر ، ولا يحل في جسد ، وأنه تعالى لا يعرب عنه بلفظ قول ولا يعقد ضمير ، ولا يدخل تحت اسم ولا صفة ، ولا يرمز إليه بالإشارة ، ولا يقال عليه حيّ ولا قادر ، ولا عالم ولا عاقل ، ولا كامل ولا تام ولا فاعل ، ولا يقال : له ذات "(١) .

وعلى ذلك حملوا جميع الأسماء والصفات التي تتعلق بذات الله سبحانه وتعالى .

وقالوا : إن الإلهية ليس بشيء مما يدرك بعقل أو نفس ، ولا مما يحكم عليه بوهم أو حسّ ، إلا لما تضطر الأنفس عند الإقرار إلى القول بأنه الله الذي لا إله إلا هو ، ولا معبود سواه ، وتوحيده تعالى هو معرفة حدوده تعالى ، وسلب الإلهية عنه ، وسلب الأسماء والصفات عنه لأنه تعالى لا يقال عليه ما يقال على مخترعاته .

وقالوا : " وكان طريق التوحيد والتمجيد من جهة إثبات الصفات له مؤديا إلى الكذب على الله تعالى والافتراء عليه بنسب ما لا يليق به إليه وإجرائه مجرى ما دونه من مخترعاته ، وكان أصدق ما يعتمد عليه في التوحيد والتمجيد ضد إثبات الصفات هو نفيها عنه "(٢).

---

(١) راحة العقل للكرماني ص ٣٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٤٧ .

وهذا الكلام يدل على أنهم يعترفون بوجود الله سبحانه وتعالى وإن كان مفهومهم لله تعالى مختلف عن مفهوم المسلمين - ولكننا بجانب ذلك نرى الكرمانى وهو أحد دعائهم المشهورين ينكرو جود الله سبحانه وتعالى إذ يقول :

" إنه تعالى إن كان أيسا " أى موجودا " فلايخلو أن يكون إما هو آيّس ذاته أوغيره آيّسه ، وباطل أن يكون هو مؤيسا لذاته إذ يقتضى ذلك أنه لم يكن أيسا ، وذلك آية الاستحالة والحدث بأنه لم يكن فكان ، .... وباطل أن يكون غيره أيّسه فتتأول عليه ".(١)

وقال الإمام يحيى العلوى :

" وقالوا: إن جميع الأسامى كلها منفية عنه ، وكأنهم يتطلعون على الجملة لنفى الصانع وهو غايتهم وقصاراهم وبغيتهم .

ولكنهم لو قالوا : إنه معدوم لن يقبل منهم ، ولم يسمع قولهم واشمأزت خواطر المتقبلين لدعوتهم ، بل منعوا الناس من تسميته موجودا ، وهو صريح النفى مع تغيير العبارة ، وتحذلقوا فسموا هذا النفى تنزيها ، وسموا مناقضة تشبيها حتى تميل القلوب إلى قبوله ويضعوا آذانهم إلى سماعه ".(٢)

وهكذا فى الحقيقة أنهم يريدون إلغاء وجود الله سبحانه وتعالى بحيلة ، فهم ملاحدة ماديون يتظاهرون بذكر اسم الله ، ثم يلغون كل صفة وتصور عنه حتى صفة الوجود ، فإثبات الله سبحانه وتعالى

---

(١) المصدر السابق ١٣٣ ، وانظر أيضا دائرة المعارف الاسلامية ٣/ ٣٨١ - ٣٨٢ .

(٢) مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار ص ٦٩ - ٧٠ .

عند هم اثباتا حقيقيا يقتضى شركة بينه وبين سائر المخلوقات والموجود ات في الجهة التى أطلق عليه سبحانه ، وذلك تشبيه عند هم ، ومرة أخرى نراهم يعتقد ون أقبح من هذا الذى تقدم ذكره ، فيقولون : بإلهين قديمين ، لا أول لوجود هما ، وهما العقل والنفس أو السابق والتالى وزعموا أن المراد بقوله تعالى : الرحمن الرحيم ، أو العلى العظيم والقلم واللوح ، هما السابق والتالى ، فالقلم هو السابق لأ نه يفيد واللوح التالى لأ نه مستفيد .

ومرة قالوا : بآلهة عدة ، وهى : العقول العشرة حيث إنهم أعطوها صفات الألوهية ، وزعموا أن كلا منها يعلم ماكان وماسيكون وهذ ه لا ريب أنها صفة الإ له .

والهان أو الآلهة بزعمهم تقوم بتدبير هذا العالم ، ومن ذلك تدبير الكواكب السبعة والطبائع الأ ول (١) .

كما أنهم نسبوا خلق العالم إلى السابق بواسطة التالى لا بنفسه .

يقول الإ مام يحيى العلوى فى معرض حديثه عن الباطنية فى اعتقاد هم فى الإ لهيات :

" اعلم أن لهم فى الإلهيات وفى حال المبدع وصفته مقالة شنيعة وهذيانات باطلة ، وكفريات مسترقة من الثنوية والمجوس فى قولهم : بإلهين مع تبديل عبارة النور والظلمة بالسابق والتالى ، ومنتزعة من كلام الفلاسفة ، حيث قالوا : إن المبدأ الأ ول علة لوجود العقل على سبيل اللزوم ، ولهذا يقولون إن السابق علة لوجود التالى ، وإن السابق خلق العالم بواسطة التالى ، ثم قال :

---

(١) انظر الفرق بين الفرق ص ١٦٩ .

« وقد اتفقت أقاويل نقلة المقالات عنهم من غير تردد أنهم قائلون بإلهين قديمين ، لا أول لوجودهما من حيث الزمان» (١) .

وأيضا قالوا : بقدم العالم ، بمعنى أنه لا ابتداء لوجوده وإن كانوا يطلقون عليه الحدوث ، على قوب مذهب الفلاسفة فى أنه محدث بمعنى أنه موجود من غيره ، لا بمعنى أنه موجود بعد العدم .

ومن أقوالهم الشنيعة قولهم : على يحيى ويميت ، وهى قضية لا تشتبه على الجاهل ، فكيف على العاقل والعارف ، ذلك لأن عليا فى حال حياته ماكان يقدر على هذا فكيف بعد مماته ، وأيضا ثبت أن الأعداء كانوا ينالون منه فى حال الحرب المنال الكبير حتى قتله عدو الله عبد الرحمن بن ملجم ، والإله لا ينال عدوه منه منالا .

وقال صاحب كتاب " البلاغ " وهو من دعاتهم فى معرض حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم :

" ونسب لهم ماكلفوا إلى إله لا يعرفونه ، ولا يعقلونه ولا يحصلون منه إلى شئ أكثر من اسم بلا جسم ولا معنى (٢) أى : ماأمرهم به من تكاليف نسبه إلى إله لا يعرفون عنه شئ فهو لا شئ .

وهذا يدل على كفرهم بالله سبحانه وتعالى وإنكار حقيقة الألوهية لله تعالى الواحد الأحد .

---

(١) مشكاة الأنوار ص ٦٩ ، وانظر تاريخ الدعوة الاسماعيلية مصطفى غالب ص ٥٦ .

(٢) انظر النشرات الإسلامية ص ٧٣ .

وذكر صاحب دائرة المعارف البستاني ، أنهم يعبدون الفرج فقال :
إن المشهور عنهم أنهم يعبدون الفرج ، على أن الأصح أنهم يعظمونه ويتخذونه قبلة فى صلاتهم ، والمرأة التى تصلح لذلك ينبغى أن تكون لها صفات مخصوصة عندهم ، وهم يجلسونها على منبر عند العبادة ويتقدم كل منهم فى نوبته فيسجد لها.(١) وعلى كل حال مهما يكن الأمر فان اعتقادهم فى ذات الله باطل وكفر ، وان أظهروا بعض الأحيان أنهم يؤمنون بالله الواحد الأحد بمثل إيمان المسلمين أو بمايقرب منه .

٢ - معتقدهم فى النبوات :

ان الأنبياء عندهم مفترون كذابون ودجالون ، طلاب زعامة دنيوية ويستخدمون الحيل الخادعة التى تسحر عيون الناس ، فتريهم أمورا خارقة للعادة ، فيؤثرون بها على العامة .

قال عبد القاهر البغدادى :

" حكى بعض من كان قد دخل فى دعوة الباطنية ، ثم وفقه الله تعالى لرشده ، وهداه إلى حل أيمانهم ، أنهم لما وثقوا منه بأيمانه قالوا له : إن المسمين بالأنبياء ، كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم ، وكل من ادعى النبوة كانوا أصحاب النواميس ، ومخاريق أحبوا الزعامة على العامة ، فخدعوهم بنير نجات واستعبدوهم بشرائعهم".(٢)

لذلك نراهم ينكرون المعجزات ويرفضونها رفضا باتا .

كما أنهم أنكروا وجود الملائكة فى السماء وأنها تنزل بالوحى من الأمر والنهى ، وزعموا أن الذى يعتقده الناس فى كون الملائكة فى السماء

---

(١) انظر دائرة المعارف للبستانى ٣/٦٢٧ - ٦٢٨ .
(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٨٨ .

إنما هو شياطين وأبالسة يلبسون على مخالفيهم من بينهم الأنبياء. هذا هو مذهبهم الحقيقى فى النبوات ، لكنهم لما وجدوا أن إعلان هذا يعرضهم لمشكلات كثيرة لدى جماهير المسلمين ، قالوا : بما قاله الفلاسفة ، فزعموا أن النبى عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بقوة التالى قوة قدسية صافية وأن جبريل عبارة عن العقل الفائض عليه لا أنه شخص معين[1] يحمل رسالة ربانية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وزعموا أن القرآن هو تعبير محمد عن المعارف التى فاضت عليه من العقل فسمى كلام الله مجازا لا أنه منزل عليه من الله سبحانه وتعالى بواسطة وزعموا أن هذه القوة الفائضة على النبى صلى الله عليه وسلم لا تفيض عليه فى أول أمره ، وإنما تتربى كالنطفة التى لا تستكمل نموها إلا بعد تسعة أشهر .

وقد اعتبروا الأنبياء مصيبة على البشرية حيث زعموا أنهم ثبت لديهم أن جميع الأنبياء كذبوا وخرفوا على أممهم ، وقالوا : " وأعظم كل بلية علينا " محمد صلى الله عليه وسلم " فإنه نبغ من العرب الطغام[3] فخدعهم بناموسه ، فبذلوا أموالهم وأنفسهم ونصروه ، وأخذ ممالكنا[3] ".

وزعموا أيضا أن الأنبياء يتلقون الوحى من فلك عطارد ، وهذا الفلك هو منبع المعارف .

وقد اعتبروا الشرائع التى جاء بها الأنبياء أنها ظلم عليهم جاء فى رسائل إخوان الصفا مايلى :

(١) انظر القرامطة لابن الجوزى ص ١٤٦ .

(٣) أوغاد الناس ودنيئهم انظر القاموس المحيط فصل الطاء باب الميم ص ١٤٦ .

(٣) القرامطة لابن الجوزى ص ٣٢ .

" أصبحنا فى الدنيا معذبين فى صورة المنعمين ، ومجبورون فى صورة المختارين ، ومغرورين فى صورة المغبوطين ، أحرارا كراما فى صورة العبيد ، مهانين ، مسلط علينا خمسة أحكام يسوموننا سوء العذاب ينفذون أحكامهم علينا شئنا أو أبينا ليست لنا حيلة فى الخروج عن أحكامها ، ولا دفع سلطانها ولا الخلاص من جورهم إلى الممات " .

ثم ذكروا الثالثة من تلك الأحكام فقالوا :

" أما الثالثة فهو هذا الناموس ، وأحكامه وحدوده ، وأوامره ونواهيه ووعيده وزجره ، وتهديده وتوبيخه ، إن خرجنا من أحكامه فضرب الرقاب والحدود ، وإن فررنا منه لم نجد لذة العيش ولا صلاح الوجود فى الوحدة ، وإن دخلنا تحت أحكامه ، فمانقاسى من الجهود والبلوى فى إقامة حدوده ، أكثر ممايحصى ، من ألم الجوع عند الصيام ، وتعب الأبدان عند القيام للصلاة ومقاساة برد الماء عند الطهارات ، ومجاهدة شح النفوس عند إخراج الزكاة والصدقات الواجبات ، ومشقة الأسفار والأحكام عند قضاء الحج والجهاد ، ومانقاسى من الألم عند ترك اللذات والشهوات المحرقات ، وإن لم نأتمر ولم ننته ، فالحدود والأحكام بحسب الجنايات ، ومع هذه كلها " كلاسوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لوتعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) .

فهذه حالنا ليس لنا منها خلاص ، ولا نجاة إلى الممات " . (١)

والخلاصة أنهم يجحدون النبوات وينكرون المعجزات ، ويزعمون أنها من قبل الشعوذة والطلسمات ، وزعموا أن النبوة مادة ترد عن السابق

---

(١) رسائل إخوان الصفا ٣/٣٠٧ - ٣٠٨ .

على قلب من وقعت به للتالى عناية ، وأنه إنما يأتى منه مايقال إنه معجزة لمعرفته بخواص الأشياء وطبائعها ويطعنون على الأنبياء صلوات الله عليهم أشنع الطعن خصوصا محمدا صلى الله عليه وسلم ويسمونه زعيم الأمة المنكوسة (١) .

٣ - معتقدهم فى المعاد والجنة والنار :

قالوا : المعاد معناه : عود الشئ إلى أصله ، وهو أى المعاد عوة النفس إلى أصلها ، وهى اتحادها بالنفس الكلية وخروجها من الجسد الذى حبست فيه ، وهم يعتقدون بطلان المعاد والقيامة على الوجه الذى يعتقده المسلمون ، ويعلم من دين الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالضرورة يقول الشريف يوسف الحسينى :

"إن المؤمن إذا توفى تصفى من جسمه صفوة هيكل على شبه ذلك الشخص ، ويبقى واقفا عند باب إمام عصره ، وهكذا يكون خلاص جميع المؤمنين ، فإذا توفى إمام عصره يصفى منه شبيه الإمام (٢) " .

وجاء فى رسائل إخوان الصفا مايلى :

" فلاتكن ياأخى ممن ينتظر بعث الأجساد ، ويؤمل نشر الأبدان فإن ذلك ظلم عظيم فى حقك إذا كنت تتوهم ذلك ، ولكن إن استوى لك ، فكن من الذين ينتظرون بعث النفوس ، ويؤملون حياتها ووصولها إلى عالمها الروحانى ودارا لقرارها الحيوانى " ويعتبرون رد النفوس الطيبة إلى أجسادها بعد مفارقتها إياها موتا لها ، إذ قالوا فى ذلك :

---

(١) انظر النشرات الإسلامية ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٧ .

" واعلم ياأخى أن رد النفوس الناجية إلى الأجسام الفانية فى التراب من الرأس ، ربما يكون موتا لها فى الجهالة واستغراقا فى ظلمات الأجسام ، وحبسا فى أسرار الطبيعة ، وغرقا فى بحر الهيولى (١) وزعموا أن نظام الحياة ، وتعاقب الليل والنهار ، وتولد الحيوانات لا ينقص أبدا " .

وأولوا القيامة بأنها رمز لخروج الإمام ، وأنكروا الحشر والنشر والجنة والنار أن يكون على الوجه الذى يعتقده المسلمون ، فجسم الآدمى عندهم يبلى ولا قيمة له بعد ذلك ، والروح إن صفت بمجانبة الهوى والمواظبة على العبادات ، وغذت بالعلم استعدت بالعودة إلى وطنها الأصلى ، وكمالها بموتها ، إذ به خلاصها من ضيق الجسد ، وأما النفوس المنكوسة المغموسة فى عالم الطبيعة المعرضة عن طلب رشدها من الأئمة المعصويين ، فإنها أبدا فى النار على أنها تتناسخ فى الأبدان الجسمانية ، وكلما فارقت جسدا تلقاها آخر ، واستدلوا بقوله تعالى :

(كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) (٢) .

جاء فى رسائل إخوان الصفا مايأتى :

" واعلم ياأخى أيدك الله وإيانا بروح منه أن من أجل نتائج العقول وأشرف وجدانها ، الآراء الجيدة والاعتقادات الصحيحة المصلحة لنفوس معتقديها ، وذلك أن الآراء الجيدة والاعتقادات الصحيحة

---

(١) رسائل إخوان الصفا ٣/ ٣٠١ .

(٢) النساء : ٥٦ .

معينة لنفوس معتقديها على الانبعاث من نوم الغفلة ، ومن رقدة الجهالة ومحيية من موت الخطيئة ، ومنجية لها من نيران جهنم وعذاب الهاوية : عالم الكون والفساد ، وموصلة إلى نعيم الجنان في دار الحيوان : عالم الأفلاك وسعة السموات .... ثم اعلم أن جهنم لها طبقات كثيرة ، وهى الأهواء المختلفة ، والجهالات المتراكمة التى النفوس فيها محبوسة ومعها موقوفة " (١) .

ومن هذا قالوا ليس فى الأعمال ثواب ولا عقاب ، لا فى هذا العالم ولا فى الآتى ، إن كان موجودا ، وليس هناك جحيم أبدى ، ولكن النفس تعود ثانية إلى الأرض بالتناسخ إلى أن تعرف الإمام الموجود فى العصر الذى عادت فيه إلى الأرض ، وتأخذ عنه المعارف الدينية .

وغرضهم من هذه التأويلات انتزاع المعتقدات الظاهرة من نفوس الناس حتى تبطل الرغبة والرهبة ، وتبطل حقائق الشرع التى وردت النصوص فى تحقيقها .

قال عبد القاهر البغدادى :

« وذكروا فى كتبهم إبطال القول بالمعاد والعقاب ، وذكروا فيها أن الجنة نعيم الدنيا ، وأن العذاب إنما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد » (٢) .

وقد طعنوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى المسلمين فى اعتقادهم أمر المعاد ومايتعلق به من جزاء وحساب ، إذ قالوا :

" حذرهم - يعنون النبى صلى الله عليه وسلم - على قدر سخافة عقولهم

---

(١) ٣/ ٣١٤

(٢) الفرق بين الفرق ٢٨٠ .

بمالا يدريه أبدا من الرجوع من القبور ، والقيامة والعقاب حتى استعبدهم عاجلا واستدفع بهم شر أعدائه ، وجعلهم له فى حياته ولذريته من بعده خولا وعبيدا ، واستباح بذلك أموالهم ، وجعلهم له ولذريته ملكا دائما ، وشأنا عظيما ، ومودة فى قلوب الجهال ، فقال : (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى) فكان أمره معهم نقدا وأمرهم معه نسيئة ، لأنه وعدهم الثواب بعد موتهم فى الآخرة ، ودخول الجنة والحور العين ، وهذا ممالا يرونه أبدا ولا يمكن الوفاء به "(١) .

٤- معتقدهم فى القرآن :

سبق ذكر زعمهم بأن القرآن تعبير النبى صلى الله عليه وسلم عن المعارف التى فاضت عليه من العقل ، وعلى هذا فإنهم يذهبون إلى أنه من كلام البشر ، وأن تركيب حروفه ومعانيه حصلت بالفيض من النفس الكلية إلى نفس النبى صلى الله عليه وسلم الجزئية ، فصاغ هذه الكلمات ، وليس من كلام الله تعالى فى الحقيقة واستدلوا بقوله تعالى :

(إنه لقول كريم)(٢) .

ومرة أخرى نراهم يذهبون إلى أنه نزل من الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه الظاهر للناس ، أما أسراره التأويلية الباطنية فقد خص بها عليا والأئمة من بعده(٣) ، انظر هذا التناقض .

وزعموا أن للقرآن ظاهرا وباطنا ، وأن المراد باطنه لا ظاهره المعلوم من اللغة ، والتمسك بظاهره معذب بالمشقة فى الاكتساب

---

(١) النشرات الإسلامية ص ٧٨ .

(٢) التكوير : ١٩ .

(٣) انظر راحة العقل للكرمانى ص ٣٩ .

وباطنه مؤد إلى ترك العمل بظاهره ، وأن العمل بظاهره خاص بالعامة دون الخاصة .

وجوزوا أن تحدث فى القرآن الزيادة والنقصان (١) .

٥ - معتقدهم فى الإمامة :

يرى أهل السنة والجماعة أن الأمة هى مصدر السلطة ، فمن حقها أن تبايع أحد أعضائها وتسلم هذه السلطة إليه ، إذا اعتقدت أنه أهل لذلك ، فيصبح هذا العضو حينئذ إماما ، ولكن الشيعة تزعم أن الإمام يقوم بمهمة دينية مفوضا من قبل الله ، وذلك مثل المهمة التى يقوم بها الرسول ، فليست الأمة هى التى تفوض إليه القيام بهذه المهمة ، وإنما الله تبارك وتعالى هو المصدر الحقيقى للسلطة .

ويعتبرون الإمام أسمى رجل من بين البشر إذ أن الله -فى زعمهم اختاره ليكون حارسا على هذه الوديعة المقدسة التى أودعها إياه لذلك كان الإمام يجب أن يكون معصوما ، لأنه المحافظ على الشريعة ويرون أنه لا وسيلة غير ذلك لضمان المحافظة على نصوص الشريعة والصدق فى تفسيرها .

لذلك قالوا : إن الإمامة حق إلهى .

هذا مبدأ الإمامية عموما ، لكن ما العلاقة بين الإمامية والباطنية ؟ وهل نظرتهم فى هذا الأساس متفقة أم مختلفة؟ والذى أرى أنه لما أراد الباطنية أن يفسدوا الإسلام ، لم يجدوا طريقا يسلكون إليه

---

(١) انظر دائرة المعارف البستانى ٣ / ٦٣١ ، والنشرات الإسلامية ص ٣٦ .

ويسيرون به إلا طريق الإمامية ، من هنا كان شعارهم شعار الإمامية شعار الوصية والرجعة والغيبة وغير ذلك .

يقول ابن الجوزى : قالت الباطنية : " وأعظم كل بلية علينا محمد صلى الله عليه وسلم - فإنه نبغ من العرب الطغام فخدعهم بناموسه ، فبذلوا أموالهم وأنفسهم ونصروه ، وأخذوا ممالكنا ، وقد طالت مدتهم ، والآن قد تشاغل أتباعه ، فمنهم من هو مقبل على كسب الأموال ، ومنهم من هو مقبل على تشييد البناء ، ومنهم من هو مقبل على الملاهى ، وعلماؤهم يتلاعبون ، ويكفر بعضهم بعضا ، وقد ضعفت بصائرهم ، فنحن نطمع فى إبطال دينهم ، إلا أننا لا يمكننا محاربتهم لكثرتهم فلا طريق إلا إنشاء دعوة فى الدين والانتماء إلى فرقة منهم ، وليس فيهم فرقة أضعف عقولا - من الرافضة ، فندخل عليهم ، بذكر ظلم سلفهم الأشراف من آل نبيهم ودفعهم عن حقهم وقتلهم وماجرى عليهم من الذل لنستعين بها على إبطال دينهم ، فتناصروا وتكاتفوا وتوافقوا وانتسبوا إلى اسماعيل بن جعفر الصادق[1] .

من هنا بدأ ميمون القداح ومن معه عملية الفساد فى الأرض اتباعا لأستاذه الكبير عبد الله بن سبأ .

لقد تطورت فكرة الوصية التى أملاها عليهم ابن سبأ ، فرأوا أن الإمامة ثبتت بالنص ، وأن الأرض لن تخلو من إمام معصوم قط قائم بالحق يرجع إليه فى تأويل الظواهر وحل الإشكال فى القرآن والأخبار مساويا للنبى فى العصمة .

---

(١) انظر تلبيس إبليس لابن الجوزى ص ١٠٤ .

وهذا الإمام إما أن يكون ظاهرا مكشوفا ، وإما أن يكون مستورا باطنا ، فإذا كان الإمام ظاهرا جاز أن يكون حجته مستورا وإذا كان الإمام مستورا فلابد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين (١) .

وقالوا : إن الأئمة تدور أحكامهم على سبعة ، كأيام الأسبوع والسموات السبع والكواكب السبع .

والنقباء تدور أحكامهم على اثنى عشر ، ويرون أن من مات ولم يعرف الإمام مات ميتة جاهلية (١) .

والإمام عندهم يجب أن يكون فى أولاد الحسين عليه السلام وأحفاده .

وقالوا : والخلفاء الشرعيون لعلى ، هم الوارثون لمكانته السامية وعلومه ومناقبه الروحية الخاصة ، وهم جميعا من ذريته المباشرة من زوجته فاطمة ، وهم إذا حفيد الرسول صلى الله عليه وسلم : الحسن ثم الحسين وبعده سلسلة الأئمة العلويين ، وكل واحد منهم وصى سلفه يعين بالنص عليه بتكليف من الله ، ويوصى بأن يكون خليفته الشرعى فى إمامة المسلمين ، وهذا الترتيب قدره الله مقدما بالنسبة إلى كل زمن وقدره النبى صلى الله عليه وسلم على أنه تشريع إلهى ، وكل نظام آخر للخلافة يعد عندهم اغتصاب من الناحية الدينية ، وانتهاكا لسلامة الهداية الدينية للأمة الإسلامية من الناحية الروحية ، لأن الإمام فى كل عصر هو وحده - بما له من عصمة وحق إلهى - صاحب الحق فى الهداية للأمة وتوجيهها فى كل أمورها الدينية .

وقالوا : إن إمامة الأئمة عليهم السلام ، ليست متعلقة بإثبات المثبتين إياها ، فتبطل إذا لم يثبتوها ، بل إمامتهم ثابتة أثبتها المثبتون

---

(١) انظر المصدر السابق ص ١٠٤ .

أم لم يثبتوها ، فهى ثابتة ، والله سبحانه وتعالى أثبتها، ولكن للدالين عليها والداعين إليها ، وان كانوا وسائط فيمابين الأئمة (١) .

وقالوا : « لا يجوز ولا يتصور خروج إمامين فى زمان واحد بل يستظهر الإمام بالدعاة وهم الحجج . ولا بد للإمام من اثنى عشر حجة أربعة منهم لا يفارقونه » (٢) .

ويعتقدون أيضا وجود الفيض الإلهى من المعرفة التى يفيض الله بها على الأئمة ، فيجعلهم بمقتضى إمامتهم فوق الناس قدرا ، وفوق الناس علما ، فهم قد اختصوا بعلم ليس عند غيرهم ، وأن عندهم علما بالشريعة قد أوتوه فوق مدارك الناس .

والأئمة تجب طاعتهم سواء أكانوا ظاهرين معروفين أو كانوا مختفين مستورين ، لأنه إن لم يظهر فى جيل فإنه لا بد أن يظهر فى جيل من الأجيال .

وقالوا : إنه يعلم الغيب ، وإن العلم يتصل به من مدبر عالم الكون وهو يعلم مايحدث فى الأرض .

وقالوا : « إن الامام ليس مسؤ ولا أمام أحد من الناس ، وليس لأحد من الناس أن يخطئه مهما يأت من الأفعال ، بل يجب عليهم أن يصدقوا كل مايفعله خيرا لا شر فيه ، لأن عنده من العلم مالا قبل لأحد بمعرفته ومن هذا قرروا أن الأئمة معصومون لا بمعنى أنهم لا يرتكبون الخطايا التى نعلمها بل على معنى أن مانسميه نحن خطايا قد يكون عندهم من العلم ماينير السبيل لهم فيه ويكون سائغا لهم ، وليس بسائغ لسائر الناس » (٣) .

---

(١) انظر مجموعة الرسائل الكرمانى ص ١١٤ - ١١٥ .

(٢) القرامطة لابن الجوزى ص ٦٠ .

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية محمد أبو زهرة ص ٦٣ .

وقد زعم الكرمانى : أن الإمام قائم مقام الرسول ، فيمايتعلق به من أمر الدين كله ، فإذا كان النبى معصوما وجب أن يكون الإمام أيضا معصوما ، فالإمام عنده معصوم عصمة ذاتية (١) .

فهذا اعتقادهم فى الأئمة ، لكن الذى أرى فى قولهم هذا أى عصمة الأئمة ، وأنهم يعلمون الغيب ، مع بطلان هذا القول عقلا وشرعا ، أنهم يدركون بطلان قولهم هذا ، وإنما غرضهم تضليل المسلمين الضعفاء الذين لا حول لهم ولا قوة فى رد المشككين والمنافقين فى هذه الأمور ، ولا أتصور أن يكون المفكرون فيهم لا سيما الأولون منهم يعتقدون بفكرة الإمام المعصوم .

٦ - الظاهر والباطن :

ومن أصول مبادئهم أن لكل لفظ ورد فى الشرع ظاهرا وباطنا وأن لكل معنى فى الشرع ظاهرا وباطنا ، وأن الباطن هو اللب ، وأن الظاهر هو القشر .

ونتيجة لهذا المبدأ أخذوا يفسرون النصوص الشرعية ويغيرون المعانى الشرعية حتى المتواترة منها حسب أهوائهم ، فقالوا : للشرائع باطن ولا يعرفها إلا الإمام أو من ينوب منابه ، وكذلك ، قالوا : - كما سبق فى الحشر والنشر وغيرهما ممايتعلق بأمور المعاد ، وقالوا : كلها أمثلة ورموز لبواطن ، فمعنى الغسل عندهم : تجديد العهد على الإمام ومعنى الطهور : التبرؤ من كل مذهب خالف الباطنية ، ومعنى الصلاة الدعوة إلى الإمام ، ومعنى الزكاة : بث العلم لمن يتزكى ، ومعنى الصوم : كتمان العلم عن أهل الظاهر ، وكذلك كتمان المذهب عنهم ، ومعنى

(١) انظر راحة العقل ص ٣٥ .

الحج : طلب العلم الذى تشد رحائل العقل إليه ، ثم قالوا بعد ذلك : بتفضيل الباطن على الظاهر ، وحطوا من قدر الظاهر حتى جعلوه موضع السخرية والاستهزاء .

فكان الأئمة يفهمون طلبتهم من الطبقة العليا ، أن الظاهر متناقض ومعوج ، وأن أهل الظاهر هم أهل الكفر بل هم أهل الشرك .(١)

بهذه الطريقة حاولت الباطنية أن تفسد مفاهيم المصطلحات الإسلامية التى جاء بها القرآن والسنة النبوية ، والتى يتفق المسلمون على معانيها كالنبوة والرسالة ، والملائكة والمعاد والجنة والنار ، والفرض والواجب ، والحلال والحرام ، فقد ابتدعوا لكل مصطلح منها مفهوما مخالفا للحقائق الإسلامية الأساسية التى تعبر عنها هذه الكلمات .

يقول الإمام يحيى بن حمزة العلوى : " اعلم أنهم لما عجزوا عن صرف الخلق عن التصديق بالقرآن والسنة ، وأعياهم الأمر فى إبطال حكم الشريعة وهدم قواعد الملة وتعفية آثارها ، عمدوا إلى صرفهم عن المراد بظواهر هذه الأمور إلى مخاريف زخرفوها وتمويهات من تلقاء أنفسهم لفقوها ليستفيدوا لما اقترفوه من أنفسهم إلى إبطال ظواهر الشريعة ، وبما اختلقوه وزخرفوه من التأويلات انقياد أكثر الخلق لمتابعتهم ، وموالاتهم .

ويعلمون أنهم لو صرحوا للخلق بالنفس المحض(٢) والتعطيل الصرف والتكذيب المحض ، لم يثقوا بانقيا أحد لضلالاتهم ، ولا بإصغاء شخص واحد لجهالاتهم ، ولكانوا أول المقتولين ، ولذهبت دماؤهم هدرا وأموالهم طمعا .

---

(١) انظر النشرات الإسلامية ص ٨ .

(٢) هكذا فى الأصل ولعل الصواب هو : النفى المحض .

فقالوا : " كلما ورد من الظواهر فى التكاليف والحشر والنشر وسائر المعجزات فهى كلها أمثلة ورموز إلى بواطن "

فقالوا " الصلوات الخمس عبارة عن الأصول الخمسة : السابق والتالى والناطق ، والأساس ، والإمام ، والصيام : هو الإمساك عن كشف السر وأن الحج والكعبة عبارة عن النبى والباب على والصفا أيضا النبى ، والمروة على ، والميقات : هو الأساس " (١) .

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوى :

" لقد كان إنكار المفاهيم الدينية التى توارثتها الأمة ، تفسير الكلمات الشرعية والمصطلحات الدينية حسب الأغراض والأهواء ، والفصل بين الظاهر والباطن ، بابا لم يزل يدخل منه الثائرون على النبوة المحمدية والمؤمرات ضد الإسلام ، لقد نصبوها ألغاما ينسفون بها هذا البناء العظيم الذى أقامه محمد صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه ، والذى لا يزال يؤدى هذه الأمة العظيمة فى مشارق الأرض ومغاربها ، ويؤسسون على انقاضه هيكلا دينيا جديدا لقد كان ذلك كله محاولة لإنشاء دولة مستقلة فى ضمن دولة الشريعة الاسلامية ، وإنشاء مجتمع مستقل فى وسط المجتمع الإسلامى .... ولقد رأينا المنافقين والملحدين الذين ثاروا على هذه النبوة المحمدية فى زمانهم أسرعوا إلى إنكار هذا التواتر المعنوى والتواتر اللفظى ، وحاولوا أن يجعلوا هذه الشريعة ومصطلحاتها ومفاهيمها بحيث يعبث بها العابثون ، وبذلك مهدوا لأنفسهم قيام سيادة دينية ونبوة جديدة يتمتعون فى ظلها بسلطان روحى ، وسيطرة سياسية ، وحرية مادية ، ومن أوضح أمثلتها : البهائية فى إيران ، والقاديانية فى

---

(١) الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ص ٧١ .

الهند ، وكلها تلتقى على إنكار التواتر المعنوى ، وتأويل الكلمات الشرعية الإسلامية المتواترة تأويلا لا يقوم على اللغة ، أو القياس ، والمنطق.(١)

" لقد أدرك الباطنية بذكائهم ، أن هذه الصلة القائمة بين الكلمات والمصطلحات الدينية ومعانيها ، أساس تقوم عليه الحياة الإسلامية والهيكل الفكرى والعملى فى حياة المسلمين ، ولهذه الصلة تدين الوحدة الدينية والفكرية التى يمتاز بها المسلمون ، وعن طريق هذه الصلة يتصل المسلمون بماضيهم وبمنابعهم الصافية ، فإذا انقطعت هذه الصلة - بين الكلمات والمعانى - وأصبحت الكلمات لا تدل على معنى خاص ومفهوم معين أو تسرب الشك والاختلاف إليها ، أصبحت هذه الأمة فريسة لكل دعوة وفلسفة وساغ لكل أحد أن يقول : ماشاء ، ويروج على كثير من العامة وأشباه العامة ، بل الخاصة ، وعمت الفوضى العقلية والدينية ، وذلك مايريدون ومنه يدخلون ".(٢)

وقد جمعت هذه الدعوة المنافقين والملحدين وطلاب المغانم والملذات . ومن هذه الدعوة انبثقت أكثر الدعوات الهدامة التى قامت فى العالم الإسلامى .

وكان فيما حكى عن الباطنية من مذهبهم أنهم جاءوا بكتاب فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، يقول الفرج بن عثمان ، وهو من قرية يقال لها نصرانة : داعية المسيح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدى ، وهو أحمد بن محمد الحنفية ، وهو جبريل ، وذكر أن المسيح تصور له فى جسم

---

(١) رجال الفكر والدعوة فى الإسلام ص ١٤٧ - ١٤٨ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٤٤ .

إنسان ، وقال له : إنك الداعية ، وإنك الحجة ، وإنك الناقة وإنك الدابة ، وإنك يحيى بن زكريا ، وإنك روح القدس ، وعرفه أن الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان بعد غروبها ، وأن الآذان فى كل صلاة أن يقول المؤذن : الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إلا الله مرتين ، أشهد أن آدم رسول الله ، أشهد أن نوحا رسول الله ، أشهد أن إبراهيم رسول الله ، أشهد أن موسى رسول الله أشهد أن عيسى رسول الله ، أشهد أن محمد رسول الله ، أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله ، وأن يقرأ فى كل ركعة الاستفتاح وهو من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية ، وأن القبلة إلى البيت المقدس ، والحج إلى البيت المقدس ، وأن الجمعة يوم الإثنين ، لا يعمل فيه شئ .

ومن شريعته ، أن يصوم يومين فى السنة ، وهما مهرجان نيروز وأن النبيذ حرام وأن الخمر حلال ، ولا غسل من الجنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة .(١)

وهذا كله تناقض فى التعليم ، مرة يقولون : ان الألفاظ تدل على رموز وإشارات ، وليس مرادها ظاهرها ، ومرة أخرى يفسرون بتفسير آخر لا يمكن أن يصدقه العاقل ، وهم يدرون ذلك ، وإنما الهدف الوحيد هو الانتقاص من الشريعة الإسلامية ، متمثلة فى دولتها ، وإنشاء مجتمع آخر أشارت إليه إشارات ورموز .

وقد استدلوا على وجوب التأويل بمايلى :

قالوا : إن مثالة الدين تؤخذ من خلق السموات والأرض ، وتركيب

---

(١) انظر الكامل فى التاريخ لابن الأثير : ٤٤٧/٧ ، واتعاظ الحنفاء للمقريزى ١٥٣/١ .

الأفلاك وجميع مايتأمل ماخلقه الله ، فقد ركزت فى المخلوقات كل معانى الدين الذى حمله القرآن الكريم ، فآيات القرآن إذا فى حاجة إلى من يستنبط كنوز هذه المعانى ، واستنادا لهذه الطريقة أوجدوا نظرية المثل والممثول ، والباطن والظاهر ، وجعلوا الظاهر يدل على الباطن وسمّوا الباطن ممثولا والظاهر مثلا .

وفى ذلك يقول الداعى المؤيد بالدين هبة الله : " خلق الله أمثالا وممثولا ، فجسم الإنسان مثل ونفسه ممثول ، والدنيا مثل والآخرة ممثول ، وأن هذه الأعلام التى خلقها الله تعالى ، وجعل قوام الحياة بها من الشمس والقمر والنجوم لها ذوات قائمة يحل منها محل المثل ، وان قواها الباطنة التى تؤثر فى المصنوعات هى ممثول تلك الأمثال ، وعلى هذه النظرية يجب أن يكون فى العالم الأرضى عالم جسمانى ظاهر يماثل العالم الروحانى الباطن ، فالإمام هو المثل للسابق ، وحجته مثال التّالى ، وكذلك خصائص العقل الأول (السابق) جعلت للإمام"(١)

وقالوا : إنه من لم يؤمن بهذا المبدأ ، مبدأ الظاهر والباطن ، فإنه يخرج من الدين ، ذلك أنهم يرون أن للدين ظاهرا وباطنا ، والباطن هو المقصود عندهم - كما سبق بيان ذلك - ولذلك ذهبوا إلى تكفير من اعتقد بالباطن دون الظاهر أو الظاهر دون الباطن ، وفى ذلك يقول : الداعى المؤيد بالدين : " من عمل بالباطن والظاهر معا فهو منا ، ومن عمل بأحدهما دون الآخر ، فالكلب خير منه وليس منا " (٢) .

---

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية مصطفى غالب ص ٥٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٩ وانظر أيضا راحة العقل للكرمانى ص ٣٨ .

وغالب من يخاطبونهم هم الجهال لا العلماء ، ويجتهدون فى زلزلة عقائدهم بالقاء المتشابه ، وكل مالا يظهر للعقول معناه ، مثل معنى الاغتسال من المنى دون البول ، ولم كانت أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة ؟ ولم كانت السموات السبع ، وغير ذلك من الأسئلة المعوجة .

والهدف من هذا معروف ، وواضح لدى كل عارف بحقائق الباطنية .

والخلاصة ، إن الفرق الباطنية من أساسها ، خارجة عن الإسلام ، وان - اعتبرت هى نفسها من الفرق الإسلامية ، حيث إنهم مزجوا الإسلام بمختلف الأديان والآراء ، بدعوى أن مذهبهم يستغرق المذاهب كلها ، فكأنهم أرادوا أن يصنعوا دينا عقليا يعلو الأديان جميعا ، مغايرا لأصول الإسلام . وقد تبين أن مفهومهم لله سبحانه وتعالى مفهوم فاسد ، وكذلك بقية شعائر الإسلام وحقائقه الثابتة ، ومن ذلك إنكارهم الخالق ، حيث إنهم ينفون الصانع الحقيقى للعالم إذ يدعون أن العالم قديم ، وإذا كان العالم قديما ، فلاصانع فى الحقيقة ، وقد صرح بهذا صاحب " البلاغ " فى كتابه فى مواضع ، وقولهم فى الله تعالى : بأنه لا يوصف بنفى ولا إثبات مقصودهم من ذلك كله جحد الصانع والخالق ، وإنما تستروا - بقولهم : إنه لا موجود ولا معدوم ، ولا قادر ولا غير قادر ، ولا عالم ولا غير عالم ، وكذلك فى باقى الصفات - عند العامة حتى لا يفهم مقصودهم ، فإنه لا نفى أبلغ من هذا القول - كماسبق - إنه ليس بشىء لا موجود ولا معدوم .(١)

وهذا هو المذهب الذى قامت به الباطنية فى جهة العقيدة من إفساد وتخريب .

وأمّا ماقامت به من الجهة السياسية والجهة العسكرية ، فكان مكرا عظيما

---

(١) انظر النشرات الإسلامية ص ٧٢ - ٧٣ .

ضد المسلمين لا سيما علماؤهم ، لقد قتلوا كثيرا من المسلمين وأخافوا الحجاج والمسافرين وروّعوا الآمنين وأخذوا الحجر الأسود وبقى عندهم في الاحساء اثنين وعشرين سنة إلا شهرا ، واستخفوا ببيت الله الحرام وخربوا المساجد واستحلوا كل المحرمات في الدين ، وهجروا القرآن وجميع أحكام الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم .

يقول ابن الجوزي وهو يتحدث عن تخريبهم :

" كانوا يسرقون الإنسان ، ويقتلونه ، ويلقونه في البئر ، وكان الإنسان إذا دنا وقت العصر ، ولم يعد إلى منزله أيسوا منه ، وفتش الناس المواضع فوجدوا امرأة في دار لا تبرح فوق حصير فأزالوها ، فوجدوا تحت الحصير أربعين قتيلا ، فتقتل المسلمون المرأة وأحرقوا الدار والمحلة .

وكان يجلس رجل ضرير على باب الزقاق الذى فيه هذه الدار - فإذا مر إنسان سأله أن يقوده خطوات إلى الزقاق ، فإذا حصل هناك جذبه من في الدار واستولوا عليه ، فجد المسلمون في طلبهم بأصبهان وقتلوا منهم خلقا كثيرا " (١) .

ويقول عبد القاهر البغدادى : " اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم ، بل أعظم من مضرة الدهرية ، وسائر أصناف الكفرة عليهم ، بل أعظم من ضرر الدجال الذى يظهر في آخر الزمان ، لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنيين من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال في وقت ظهوره ، لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين

---

(١) تلبيس إبليس ص ١١٠ .

يوما ، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر " (١) .

وقد هيأ الله تبارك وتعالى بفضله العظيم رجالا يذبون عن دينه وعن عقيدة المسلمين ، ويبينون للناس مايكيده الأعداء ، فقد قام أهل السنة والجماعة بمطاردة هؤلاء ومقاومتهم ، وواجهوا مفاهيمهم وردوا عليهم ، ونقضوا شبههم ، وتأكد للباحثين والمؤرخين ، أن هذه الفرقة وهذه الحركة ، حركة معادية للإسلام ، وناشئة من دين أجنبي ولها صلة وثيقة بالحركات اليهودية ، وأنها أمتدت منها .

وبهذا اتخذ المسلمون موقفا عظيما تجاه هذه الحركة الهدامة (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) (٢) .

لولا حفظ الله لدينه ثم بجهود علماء المسلمين المخلصين لأصاب الدين الإسلامي ما أصاب اليهودية والنصرانية .

* * * *

---

(١) الفرق بين الفرق ٢٦٥ .

(٢) الصف : ٨ .

" الباب الرابـــــع "

" الآثار المترتبـــة على إفساد اليهود العقيدة ونشر الإلحاد والكفـــر بالـلــه ورسـلـه واليوم الآخـــر ."

الفصل الأول : الآثار التي ترتبت على إفساد اليهود لعقيدتهـــم .

الفصل الثاني : الآثار التي ترتبت على إفساد اليهود العقيـــــدة المسيحيـــة .

الفصل الثالث : الآثار التي ترتبت على محاولات اليهود إفساد العقيدة الإسلاميـــة .

" الفصل الأول "

الآثار التى ترتبت على إفساد اليهود لعقيدتهم .

١ - الكفر بالله سبحانه وتعالى .

٢ - الكفر باليوم الآخر .

٣ - الإفساد فى الأرض .

٤ - قسوة قلوبهم .

٥ - عدم إنتفاعهم بهدى الله .

٦ - ضربت عليهم الذلة والمسكنة .

٧ - طردهم من رحمة الله .

الباب الرابع : الآثار التي ترتبت على إفساد اليهود العقيدة ونشر الإلحاد والكفر بالله ورسله واليوم الآخر .

الفصل الأول :

الآثار التي ترتبت على إفساد اليهود لعقيدتهم .

تعرضت لجانب من هذا الموضوع فى الفصل الثانى من البـــــاب الأول ولكن دون تفصيل وتوضيح ، وأبين هنا طائفة من الآثار التى نتجت عـــــن تحريفهم للعقيدة التوراتيـــة إن شاء الله تعالى . ولا أستطيع سبر كـــل ماقام بــه اليهود من الإفساد والتخريب ، من بعد فقدهم عقيدة التوحيد إذ هو أمر لا يمكن إحصاؤه واستيفاؤه فى مثل هذا البحث .

من تلك الآثـــــار :

١ - الكفــر باللـــه سبحانـــه وتعالى .

إن اليهود قد انسلخوا فى الحقيقة من الدين جملة وتفصيلا ، فقالــوا : على الله ماشاؤوا أن يقولوا ، قالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء ، كماتحـــدث القرآن عن هذا فى قوله :

(لقد سمع الله قول الذين قالوا : إن الله فقير ونحن أغنيـــــــاء سنكتب ماقالوا ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقــول ذوقوا عــــــذاب الحريـق) (١) .

وقالوا : يد الله مغلولة . قال تعالى مخبرا عن ذلك :

(وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ، ولعنوا بماقالـــوا) (٢) .

فتصورهم لله عز وجل كان تصورا شاذا ، يتصورونـه تصورا لا يليق بجلالـه وعظمته عز وجل .

---

(١) آل عمران : ١٨١ .
(٢) المائدة : ٦٤ .

لقد وجد فى كتابهم المقدس " التلمود " مالم ينقل عن أى دين وضعى فضلا عن دين ربانى .

ففى التلمود النصوص التالية :

١ - إن الله يذاكر التلمود فى الليل مع الملائكة . مع أن التلمود من وضع أحبارهم .

٢ - سعيد هو الملك الذى يسبح فى بيته ، ولكن أى تمجيد يستحق ذلك الأب الذى يترك أولاده يتمرغون فى الشقاء .

٣ - إن الله يرقص - استغفر الله العظيم - وأول رقصة رقصها الله ، كانت مع حواء بعد أن برجها وزينها وشرح شعرها بنفسه .

٤ - أما من بعد الهيكل إلى الآن ، فإن الله لم ينقطع عن البكاء والنحيب لأنه ارتكب خطيئة ثقيلة ، وهذه الخطيئة قد أبهظت ضمير الله حتى إنه يطوى ثلاثة أرباع الليل منكمشا على ذاته مالئا الدنيا زئيرا كالأسد الصريع ثم يصرخ .

٥ - إن الله قد خصص ثلاثة أرباع الليل للبكاء والندم ، وإذا بكى سقطت من عينيه دمعتان فى البحر ، فيسمع دويهما من فى آفاق الأرض .... وتضطرب المياه ، وترتجف الأرض ، فيحدث عن ذلك الزلزال . وإن الله يردد فى بكائه ونحيبه : تبًّا لى أمرت بخراب بيتى وإحراق الهيكل وتشريد أولادى . (١)

فهذا بعض ما أخبرنا به " التلمود " الذى هو من كتب اليهود المقدسة ، وهو الذى يجب العمل بأحكامه .

---

(١) انظر همجية التعاليم الصهيونية بولى يوحنا مسعد ص ١٠٩ - ١١١ .

وهل نقول بعد هذا ، بأن هؤلاء يقرون بوجود الله الذى نؤمن به نحن ؟ والذى ليس كمثله شيء ؟ .

أعتقد أن ذلك بعيد ، ليس هذا الإله الذى نعرفه، إنما هو إله اخترعوه من قبل أهوائهم ، وذلك نتيجة تحريفهم للعقيدة الإلهية وإفسادها واعتقدوا أيضا بأن هذا الإله الذى اخترعوه إله خاص بهم ، فهو إله إسرائيل فقط . أما مايعبد سائر الناس ، فإنه ليس بإله ، وإنما الإله الحق هو إله يهود ، واعتبروا بقية الشعوب وهم " الجوييم " عباد أوثان مشركين وهم وحدهم المؤمنون ، وبهذا صار إلههم إلها قوميا ، وجرهم اعتقادهم هذا إلى أنهم مخلوقون من نفس عنصر هذا الإله المزعوم .

ومع هذا نرى اليهود لا يخلصون لإلههم هذا فى العبادة ، بل هناك معبودات أخرى مادية ، وهى الذهب ومايقوم مقامه ، وكذلك أحبارهم اتخذوهم أربابا من دون ، لأنها هى التى تأمرهم وتنهاهم ، وتشرع لهم ماتشاء ، تحلل ماتشاء ، كماتحرم ماتشاء من ذلك . وصارت كلمات الربانيين أقدس من كلام الله تعالى . قالوا : " ليس من سعادة للإنسان الذى يعتدى على أحكام التلمود ، وتعاليمه ، ويحافظ على التوراة " وقالوا : " إن الذين يدرسون التوراة يحتمل أن يكون علمهم فضيلة أو غير فضيلة . أما الذين يدرسون المشنا (١) فإنهم يمارسون الفضيلة ، ويثابون عليها إلا الذين يدرسون الجمار يكتسبون أعظم فضيلة ، وأسماها .

---

(١) مشنا : هو متن التلمود ، والجمارا شرحه ، والمتن والشرح " التلمود " .

ويقول العالم المشهور راشي : مستمدا روح كلامه من التلمود :

" اصغ يابني لكلام الربانيين أكثر من اصغائك للشريعة " وقالوا : إن من يطالع التوراة بدون مشنا والجمارا فهو كالذى لا يقر بوجود الله .

ووصل بهم القبح إلى أن قالوا : " إن الله يأخذ رأى الربانيين العائشين على الأرض في المشاكل التى تنشأ فى السماء " .

وقالوا : إن الله إذا عضد ربانيا فى مجادلة فإنه أيضا يعضد خصمه فى المجادلة نفسها ولو غلبه " . (١)

ومن هذا نستطيع أن نجزم ، أن تعاليم الربانيين فى التلمود لهى أطيب من كلام رب العالمين ، وبهذا أمسى الأحبار آلهة أخرى من دون الله وماجعل اليهود الربانيين فى هذه الدرجة ، ولم يعطوهم هذا الشرف إلا لأنهم أباحوا لهم ماحرم الله عليهم من السحت وأكل مال الناس بالباطل فلما أحلوا لهم هذه الأمور ألّهوهم من دون الله ، فصاروا عبيد الدنيا والدراهم ، فتعسوا وهلكوا . جاء فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تعسى عبد الدينار ، تعسى عبد الدرهم ، تعيسى عبد الخميصة ، تعسى عبد الخميلة ، إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط ، تعسى وانتكس واذا شيك فلا انتقش " روا البخارى. (٢) يقول سيد قطب رحمه الله : " لقد حفلت ديانة بنى إسرائيل - اليهود - بالتصورات الوثنية ، وباللوثة القومية على السواء - فبنو إسرائيل - وهو يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم عليهم السلام - جاءتهم رسلهم - وفى

---

(١) همجية التعاليم الصهيونية بولس يوحنا ص ١٠٠ - ١٠٣ .

(٢) كتاب الجهاد ٧٠ .

أولهم أبوهم إسرائيل - بالتوحيد الخالص الذى علمهم إياه أبوهم إبراهيم ثم جاءهم نبيهم الأكبر - موسى عليه السلام - بدعوة التوحيد أيضا مع الشريعة الموسوية المبنية على أساسه ، ولكنهم إنحرفوا على مدى الزمن ، وهبطوا فى تصوراتهم إلى مستوى الوثنيات ، وأثبتوا فى كتبهم " المقدسة " وفى صلب " العهد القديم " أساطير وتصورات عن الله - سبحانه - لا ترتفع عن أحط التصورات الوثنية عند الإغريق وغيرهم من الوثنيين .... ومن لوثة القومية واعتقادهم أن إلههم إله قومى لا يحاسبهم بقانون الأخلاق إلا فى سلوكهم مع بعضهم البعض ، أما الغرباء - غير اليهود - فهو لا يحاسبهم معهم على سلوك معيب " (١) .

وأرى أن أختم هذه الفقرة بماقاله الدكتور أحمد شلبى حينما صور عقيدة اليهود تصويرا دقيقا ، وبين ماوصلت إليه عقيدتهم الإلهية من تحريفات مليئة بالكفر فقال :

" على أن مسألة الألوهية كلها سواء اتجهت للوحدانية أو للتعدد لم تكن عميقة الجذور فى نفوس بنى إسرائيل ، فقد كانت المادة والتطلع الى أسلوب تعفى فى الحياة من أكثر مايشغلهم ، واذا تخطينا عدة قرون فإننا نجد الفكر اليهودى الحديث ، يجعل لليهود ربا جديدا نفعيا كذلك ، ذلك تربة فلسطين ، وزهرير تقالها ، والذى يقرأ رواية " طوبى للخائفين " للكاتبة اليهودية يائيل ديان ابنة القائد الصهيونى العسكرى موشى ديان ، يجد أحد أبطالها " إيفرى " ينصح ابنه الطفل بأن يتخلى

---

(١) خصائص التصور الإسلامى ومقوماته ص ٢٩ - ٣١ .

عن الذهاب للكنيسة ، وأن يحول اهتمامه لإلهه الجديد : تراب فلسطين
ونقتبس فيمايلى سطورا من هذه الرواية :

" .... صبى يحب أن يذهب إلى الكنيسة مع أمه ، ولكنه عند ما عاد مرة من المعبد الذى لا يذهب إليه إلا القليلون ، ثار أبوه فى وجهه بحديث له مغزى عميق ، قال له : أيام زمان حين كنا يهودا فى روسيا وغيرها ، كان من الضرورى بالنسبة لنا أن نطيع التعليمات ، ونحافظ على ديننا ، فقد كان الدين اليهودى لنا وسيلتنا لنتعاون ونتعاطف ونزود عنا الردى ، أما الآن فقد أصبح لدينا شئ أهم هو الأرض ، أنت الآن - إسرائيلى ، ولست مجرد يهودى ، إنى قد تركت فى روسيا كل شئ ملابسى ومتاعى ، وأقاربى وإلهى ، وعثرت هنا على رب جديد ، هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر البرتقال ، ألا تحس بذلك ؟ وأخذ إيفرى حفنة من تراب الأرض وسكبها فى كف ابنه ، وقال له : أمسك هذا التراب ، اقبض عليه تحسسه تذوقه ، هذا هو ربك الوحيد ، إذا أردت أن تصلى للسماء فلاتصل لها لكى تسكب الفضيلة فى أرواحنا ، ولكن قل لها أن تنزل المطر على أرضنا ، هذا هو المهم ، إياك أن تذهب مرة أخرى إلى المعبد .

فهذه قصة الإله عند اليهود ، وهى واضحة الدلالة على أن اليهود لم يعرفوا الإله الحق فى أكثر تاريخهم ، وهم الآن يتخذون تراب فلسطين إلههم " (١) .

وبهذا فقدوا الدين وبالتالى فقد الأخلاق ، ومن فقد الدين والأخلاق فقد فقد كل شئ فى حياته الدنيوية والأخروية .

---

(١) مقارنة الأديان - اليهودية : ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

٢ - الكفر باليوم الآخر :

تقدم لنا أن اليهود ينكرون البعث والنشور والحساب والجزاء ، ذلك أنهم لما حرفوا ما جاء في التوراة مما يتعلق بيوم الحساب الذي كان موسى عليه السلام يؤمن به ، وقعوا في حيرة من أمرهم ، فنفوا الحساب في الآخرة ، وزعموا أن الثواب والعقاب يحصلان في هذه الدنيا ، إن وجد وجعلتهم هذه العقيدة المنحرفة ، يصممون على اغتيال أهل الأرض ويتنعمون بشقائهم ، وقد سبق بيان هذا فلا أطيل فيه الكلام . والذي لا شك فيه أنه من لم يؤمن بيوم الجزاء والحساب لم يجد رادعاً له عن الإجرام ، وظلم الناس ، واقتراف الذنوب ، لأن الدوافع التي تمنعه قد فقدت ، وبذلك كان اليهود من أكثر الناس إجراما على وجه الأرض ، لأنهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب .

٣ - الإفساد في الأرض :

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز :

(ويسعون في الأرض فساداً ، والله لا يحب المفسدين) (١) .

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : " أي سجيتهم أنهم دائما يسعون في الإفساد في الأرض ، والله لا يحب من هذه صفته " (٢) وتعبير الآية يفيد أنهم لا ينفكون عن الفساد في الأرض ما كان لهم وجود في الدنيا فهم يسعون أبداً إلى نشر الفساد : الفساد العقدي والخلقي ، وكل أنواع الفساد ، هكذا كان قدماؤهم ، وهكذا يكونون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، أو يدمروا تدميرا كاملا ، ويفنوا فناء تاما .

---

(١) المائدة : ٦٤ .
(٢) مختصر ابن كثير ١/٥٣٢ .

يقول ابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى وهو يفسر معنى قوله تعالى :

(ويسعون فى الأرض فسادا) يعنى ويعمل هؤلاء اليهود .... بمعصية الله ، فيكفرون بآياته ، ويكذبون رسله ، ويخالفون أمره ونهيه ، وذلك سعيهم فيها بالفساد ، والله لا يحب المفسدين (١) .

فاليهود يسعون إلى تحقيق مخططاتهم الخبيثة ، وهى السيطرة على العالم وتجريد الأمم من عقيدتها وأخلاقها ، وممالكها وكل ماتعتز به الأمم ، نعم لا يزالون ، ولن يزالوا يسعون للفساد ، إذ أتقنوا بطول السعى والمزاولة إيقاد نار الحرب بين الأمم والدول ، فأصبحت هذه طبيعة لا تفارقهم ، لأن لفظ يسعون يفيد الاصرار والعزم والمثابرة ، وعدم الفتور واضرام النار التى تبلع الغالب والمغلوب ليفوزوا هم بغنيمة الساعى وحده كيف لا وهم يعتقدون أنه من وقع بالأميين مايكرهون يثيبه الله على عطه ثوابا عظيما ، كماسبق بيان ذلك فى الفصل الثانى من الباب الأول .

ولذلك لا يتناهون عن منكر فعلوه ، إذ لا منكر فى جانب الجوييم ، فالمنكر عندهم منحصر فى دائرة ضيقة ، وهو ماإذا كان مع بعضهم البعض قال الله تعالى مخبرا بذلك :

(ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ، ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائما ، ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) (٢) .

---

(١) جامع البيان ١٩٦/٦٠ .

(٢) آل عمران : ٧٥ .

والفريق الذى إذا أؤتمن يدينار لا يؤده هم اليهود .

وجاء فى البروتوكول السابع مايلى :

" ولما كنا قد صممنا العزم على اشعال نار الفتنة والبغضاء والأحقاد فى جميع البلدان الأوربية والأقطار الأخرى ، فسنحصل على المغنم ضعفين ، فمن جهة نبث الرعب فى جميع البلدان حتى تعتقد بأن فى قدرتنا إيجاد الاضطرابات عند مانريد ، كما أن فى وسعنا إعادة النظام فى أى وقت نشاء ويصحب اعتقادها هذا إيمانها بأن وجودنا ضرورة ، لا غنى لها عنا وسيحدوننا عند الاستعانة بنا .

والمسلم يدرك حقيقة إفساد اليهود إذا تأمل تأملا عميقا ماجاء فى القرآن الكريم ، ويتذكر أنه من كلام الله عز وجل الذى أنزله بعلمه المحيط بكل شئ . قال تعالى عنهم :

(وترى كثيرا منهم يسارعون فى الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ماكانوا يعملون) (١) . وقد أثبت تاريخهم الطويل أنهم كماذكرت هذه الآية يسارعون فى الإثم على اختلاف درجاتهم ومستوياتهم، ويسارعون فى العدوان فيثيرون الفتن بين الناس ، ويوقدون نيران الحروب ، ويتخذون كل وسيلة لأكل أموال الناس بالباطل سحتا. وقد أسرف وليم كار عندما قال :

« إسرائيل ، وراء كل ثورة قامت ، وراء كل حرب اندلعت ، وراء كل زعيم سيطر وساد ، ووراء كل فساد ، ووراء كل المبادئ الهدامة : الشيوعية الصهيونية ، النازية ، الفاشية ، الماسونية ، والهدف القضاء على الأديان والسيطرة على العالم لإقامة مملكة الشيطان » (٢).

---

(١) المائدة : ٦٢ .

(٢) الدنيا لعبة إسرائيل ص ٢ .

هذا الكلام قد يكون مبالغا فيه ، فاسناد كل صغيرة وكبيرة إلى اليهود ليس صحيحا ، إلا أن معظم الفساد الذى يقع فى العالم وراءه يهود أو معاونوا اليهود .

يقول محمد خليفة التونسى : " الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم والأخلاق ، وترمى إلى هدم القواعد التى يقوم عليها مجتمع الإنسان فى جميع الأزمان .

فاليهودى كارل ماركس وراء الشيوعية التى تهدم قواعد الأخلاق والأديان . واليهودى دوركايم وراء علم الاجتماع الذى يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة ، ويحاول أن يبطل آثارها فى تطور الفضائل والآداب . واليهودى أو نصف اليهودى سارتر وراء الوجودية التى نشأت معززة لكرامة الفرد فجنح بها إلى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات القنوط والانحلال . واليهودى سيجموند فرويد وراء علم النفس ، يرجع كل الميول والآداب الدينية والخلقية والفنية والصوفية والأسرية إلى الغريزة الجنسية كى يبطل قداستها ، ويخجل الإنسان منها ، ويزهد فيها ، ويسلب الإنسان إيمانه بسموها مادامت راجعة إلى أدنى مايرى فى نفسه "(١).

٤ - قسوة قلوبهم :

قال الله تعالى فى حقهم :

(ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون)(٢) .

---

(١) الخطر اليهودى بروتوكولات حكماء الصهيونية ص ٧٧-٧٨

(٢) البقرة : ٧٤ .

الله سبحانه وتعالى ، شبه قلوب هؤلاء اليهود بالحجارة الصلبة وقال بل إنها أشد قسوة منها ، لأن الحجارة قد تتأثر وتنفعل ، فهناك أحجار تتفجر منها المياه الكثير ، وأحجار تتشقق فيخرج منها الماء عيونا ومنها مايتردى من أعلى الجبال انقيادا لإرادة الله بتأثير الصواعق أو البراكين أو الزلازل .

أما قلوب هؤلاء فلاتتأثر بكل ذلك ، فصارت قاسية ، وتبلد وجدانهم ففقد خاصية التأثر والانفعال ، فلم تعد الحكم والمواعظ والعبر تنفعهم أو تؤثر فيهم ، وتصل إلى أعماق قلوبهم ، فهبطوا من سمو الروح الإنسانى إلى رتبة الجمادات أو دونها وأدنى منها .

قد خاطب الله هؤلاء القوم بخطاب يهز مشاعر الإنسانية وترتجف منه القلوب .

وقد علق على الآية صاحب تفسير المنار بقوله :

"إن قلوبكم تشبه الحجارة فى القسوة بل قد تزيد فى القساوة عنها ، فإن الحجارة الصم تتأثر فى باطنها بالماء اللطيف النافع بعضها بالقوى منه وبعضها بالضعيف ، ولكن قلوبكم لا تتأثر بالحكم والمواعظ التى من شأنها التأثير فى الوجدان ، والنفوذ إلى الجنان ، والحجارة تتأثر بالحوادث الهائلة التى يحدثها الله فى الكون كالصواعق والزلازل ، ولكن قلوبكم لم تتأثر بتلك الآيات الإلهية التى تشبهها ، فلاأفادت فيها المؤثرات الداخلية ، ولا المؤثرات الخارجية كماأفادت فى الأحجار ، فبذلك كانت قلوبكم أشد قسوة " . (١)

---

(١) تفسير القرآن الحكيم المعروف ب" تفسير المنار . محمد عبده ١/ ٣٥٤ .

وقال الله تعالى :

(فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا خظاً مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم ، فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين) (١) .

أى لعنا الذين نقضوا عهدى ، ولم يوفوا بميثاقى من بنى إسرائيل بنقضهم ميثاقهم الذى واثقونى ، وجعلنا قلوبهم قاسية غليظة يابسة عن الإيمان بى ، والتوفيق لطاعتى ، منزوعة منها الرأفة والرحمة ، مرفوعا عنها التوفيق ، فلا يؤمنون ولا يهتدون ، فهم لنزع الله عز وجل التوفيق والإيمان من قلوبهم ، يحرفون كلام ربهم الذى أنزله على نبيهم موسى عليه السلام وهو التوراة (٢) .

ولهذا نهى الله المؤمنين عن مثل حالهم فى قوله :

(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) (٣) .

فأصبحت قلوبهم بسبب طول الأمد عليهم قاسية بعيدة عن الموعظة فهى فى قسوتها مثل الحجار التى لا علاج للينها ، أو هى أشد كماسبق .

والمعنى : أن الحجارة ألين من قلوب هؤلاء ، وذلك عقاب من الله لهم بسبب إنحرافهم عن العقيدة الصحيحة والشريعة المنزلة .

---

(١) المائدة : ١٣ .

(٢) انظر جامع البيان : ٦/١٥٤ - ١٥٥ .

(٣) الحديد : ١٦ .

إن القسوة تبدو فى ملامحهم الناضبة من بشاشة الرحمة ، وفى تصرفاتهم الخالية من المشاعر الإنسانية ، مهما حاولوا - مكرا - ابداء اللين فى القول عند الخوف وعند المصلحة ، والنعومة فى الطمس عند الكيد والوقيعة ، فإن جفاف الملامح والسمات ينضح ويشى بجفاف القلوب والأفئدة (١) .

وماتقوم به دولتهم المزعومة الآن من قتل الأبرياء من جميع طبقات البشر فى فلسطين المحتلة دليل على قساوة قلوبهم وجفاف عاطفتها فالحاكم عندهم شهواتهم الطاغية ، وغرائزهم الفاجرة ، وليس لهم آذان صاغية ولا قلوب واعية .

٥ - عدم انتفاعهم بهدى الله :

لما كانت قلوبهم جامدة ، وقاسية لم تنتفع بهدى الله الذى أتاهم والنور الذى أنزل إليهم ، فكانوا كالحمار الذى يحمل أسفارا ، وكتبا ضخمة ولا يدرى مماضمته شيئا ، ولا يفرق بينهما وبين سائر الحمول ، ليس له مما يحمل من حظ غير التعب . قال الله تعالى فيهم :

(مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار ، يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين) (٢) .

شبههم الله سبحانه وتعالى - وهو أعلم بحالهم - لعدم انتفاعهم واتعاظهم بمافى أيديهم من الهدى بالحمار الذى لا يعقل ، كما أن هذا الحمار لا ينتفع بالهدى كذلك اليهود لا ينتفعون بالهدى ، ولم ينتفعوا بماجاء فى

---

(١) انظر فى ظلال القرآن ٢/٨٥٨ .

(٢) الجمعة : ٥ .

التوراة من العلوم النافعة ، والتى كلفوا العلم والعمل بها ، فأحجموا عنها ، فوجه الشبه عدم الانتفاع بماحملوه من التوراة وغيرها مع وجود المشقة ، وهم يعلمون أن مافيها حق وعدل .

ولعل فى الآية إشارة إلى انتهاء دور اليهود فى حمل أمانة الله فلم تعد قلوبهم تتحمل هذه الأمانة التى لا تحملها إلا القلوب الواعية الحية ، المدركة المتجردة من هوى النفس والشهوات الذاتية .

إن بنى إسرائيل كلفوا حمل أمانة العقيدة والشريعة ، فلم يحملوها لأن حملها يكمن وراءه الإدراك والعلم والفقه ، وينتهى بالعمل لتحقيق مدلولها فى العالم الداخلى والخارجى ، فهم لم يقدروا هذه العقيدة الربانية حق قدرها ، لم يفهموا حقيقتها ولم يعملوا بها ، فكانوا كحمار يحمل أسفارا وكتبا كثيرة ثقيلة ، لكن ليس له نفع فيها . وسبب تشبيههم بالحمار دون الحيوانات الأخرى ، هو أن الحمار أجهل وأبلد من سائر الحيوانات المركوبة ، وأن فى الحمار من الذل والحقارة مالا يكون فى غيره من الدواب ، والغرض من الكلام فى هذا المقام تعيير القوم بذلك وتحقيرهم فيكون تعيين الحمار أليق وأولى .(١)

ويقول ابن جرير الطبرى رحمه الله :" يقول الله تعالى ذكره : مثل الذين أوتوا التوراة من اليهود والنصارى فحملوا العمل بها ثم لم يحملوها ولم يعملوا بمافيها ، وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد أمروا بالإيمان به فيها وأتباعه والتصديق به "كمثل الحمار يحمل أسفارا " يقول : كمثل الحمار يحمل على ظهره كتبا من كتب العلم لا ينتفع بها ، ولا يعقل

---

(١) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ٢٩/٦ .

مافيها ، فكذلك الذين أوتوا التوراة التى فيها بيان أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، مثلهم إذا لم ينتفعوا بمافيها كمثل الحمار الذى يحمل أسفارا فيها علم فهو لا يعقلها ولا ينتفع بها " (١) .

٦ - ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة .

لقد كتب الله على اليهود الذلة والمسكنة إلى يوم القيامة وأخزاهم بشر أعمالهم . قال الله تعالى ذكر :

(.... وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بماعصوا وكانوا يعتدون) (٢) .

مهما حاولوا التظاهر بالقوة والمنعة ، فإن كلمة الله هى العليا لقد سجل القرآن الكريم عليهم كلماته الخالدة ، سجل عليهم إرادة الله وحكمه القادر ، وهو ضرب الذلة والمسكنة عليهم وعودتهم بغضب الله سبحانه قال تعالى :

(ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ، ذلك بماعصوا وكانوا يعتدون) (٣) .

وقال الله تعالى : (إن الذين اتخذوا العجل سينا لهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا ، وكذلك نجزى المفترين) (٤) .

---

(١) جامع البيان ٢٨ / ٦٣ .

(٢) البقرة : ٦١ .

(٣) آل عمران : ١١٢ .

(٤) الاعراف : ١٥٢ .

نعم فالله سبحانه وتعالى هو الذى يعلم ماضى هؤلاء ، وحاضرهم ومستقبلهم ، وقد بين لنا ماكتب عليهم فى مدى تاريخهم ، ومايؤول إليه أمرهم فى نهاية المطاف .

ستبدى لك الأيام ماكنت جاهلا

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

يقول ابن جرير الطبرى رحمه الله عند تفسير قوله تعالى :

(وضربت عليهم الذلة والمسكنة) : « أى فرضت ووضعت عليهم الذلة وألزموها ، من قول القائل " ضرب الإمام الجزية على أهل الذمة " و " ضرب الرجل على عبده الخراج " يعنى بذلك وضعه وألزمه إياه ، فأخبرهم الله جل ثناؤه أنه يبدلهم بالعزة ذلا ، وبالنعمة بؤسا ، وبالرضا عنهم غضبا جزاءً منه لهم على كفرهم بآياته وقتلهم أنبياءه ورسله اعتداء وظلما منهم بغير حق ، وعصيانهم لله . وخلافًا عليه »(١) .

وقد جعل الله هذا الذل محيطا بهم إحاطة القبة بمن ضربت عليه وألصق بهم من ضرب الطين على الحائط (٢) . فألزمهم الله الذلة والصغار أينما كانوا ، فألزموها قدرا وشرعا ، وذلك لأنهم يكثرون العصيان لأوامر الله ، والغشيان لمعاصيه ، والاعتداء على شرعه ، فأعقبهم ذلك الذلة والمسكنة أبدا متصلا بذل الآخرة .

يقول ابن كثير : " أى لا يزالون مستذلين ، من وجدهم استذلهم وأهانهم ، وضرب عليهم الصغار ، وهم مع ذلك فى أنفسهم أذلاء مستكينون ،

---

(١) جامع البيان ٢/١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) انظر تفسير روح المعانى للألوسى ١/٢٧٦ .

ورجعوا منصرفين متحملين غضب الله . قد صار عليهم من الله غضب ووجب عليهم من الله السخط (١) .

وذلك كله بسبب ما ارتكبوه من الكفر بآيات الله وقتلهم أنبياءه ، فقد أحل الله بهم بأسه الذى لا يرد ، وكساهم ذلا فى الدنيا موصولا بذل الآخرة جزاء وفاقا .

يقول الأستاذ محمد قطب فى بحثه الذى عنوانه " القاعدة والاستثناء فى التعامل مع اليهود " :

" يعلمنا كتاب ربنا هذه القاعدة الثابتة التى تحكم اليهود فى جميع أدوار ودورات التاريخ .... هذه القاعدة تقول بها الآية الكريمة " ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا " ... ثم تعقب الآية بهذا الاستثناء " إلا بحبل من الله وحبل من الناس " فالقاعدة السائدة لليهود هى : ضرب الذلة عليهم .... أما هذا الاستثناء فلا يقع إلا بحبل من الله وحبل من الناس ... والحبل هو المدد من الله ، هو مشيئة الله سبحانه وتعالى ، فإنه لا يحدث فى هذا الكون الطويل العريض إلا ما قدره سبحانه " (٢) .

٧ - طردهم من رحمة الله .

وأخيرا أبعدهم الله من رحمته ولعنهم ، وأعلن ذلك لعباده المؤمنين على لسان رسلهم . فقال تعالى :

---

(١) مختصر ابن كثير ١/٧٠ .

(٢) مجلة " الدعوة " العدد ٨٢٧ الاثنين ٩ ربيع الأول ١٤٠٢ .

(لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون) (١) .

والذى سخط الله عليه ولعنه ، فقد أبعده عن رحمته وعطفه ولطفه واستحق العذاب ، إنه طرد من الله لبني إسرائيل ، وأعلن الله ذلك في الزبور الذى أنزله على عبده ونبيه داود عليه السلام ، وأعلن أيضا في الإنجيل الذى أنزله على عبد ورسوله عيسى ابن مر عليه السلام .

لم يكن هناك سبب آخر يوجب عليهم اللعنة ، إلا أنهم حرفوا عقيدتهم وحرفوا شريعتهم ، واتبعوا خطوات الشيطان ، فأضلهم وأعمى أبصارهم فاستحقوا ما استحق إمامهم إبليس ، حيث قال الله فيه :

(قال فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين) (٢)

فكل من اليهود وإبليس استحقوا اللعنة بسبب عصيانهم لله تعالى ، بل زاد اليهود على ذلك حيث إنهم اعتدوا على أنبياء الله وأوليائه بالقتل والتكذيب - كما سبق بيانه - ولم يكونوا يتناصحون ، فلا ينهى أحد منهم غيره عن ظلم يرتكبه ، أو إثم أو منكر يفعله ، وهذا يدل على أنهم أطبقوا على فعل المنكرات والقبائح ، فإتيانهم للمنكر وعدم تناهيهم عنه لمن أقبح ماكانوا يفعلون . وقال تعالى : (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبةً عند الله ، من لعنه الله وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد

---

(١) المائدة : ٧٨ .
(٢) الحجر : ٣٤ - ٣٥ .

الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل)(١) .

هذه كلها عقبيات كتبها الله عليهم ، وصفات لازمتهم ، ملعونون مغضوب عليهم ، قردة وخنازير ، وعبدة الطاغوت ، كل ذلك من صفات اليهود من بنى إسرائيل ، ومن هذه صفاتهم هم شر مكانا فى عاجل الدنيا والآخرة عند الله ممن نقموا عليهم إيمانهم بالله وما أنزل إلى من قبلهم من الأنبياء .

يقول ابن عباس رضى الله عنهما :" لعنوا بكل لسان ، لعنوا على عهد موسى عليه السلام فى التوراة ، ولعنوا على عهد داود فى الزبور ، ولعنوا على عهد عيسى فى الانجيل ، ولعنوا على عهد محمد صلى الله عليه وعلى إخوانه وسلم فى القرآن .

كان هؤلاء اليهود الذين لعنهم الله ، لا يتناهون ولا ينتهون عن منكر فعلوه ، ولا ينهى بعضهم بعضا ، وهى المعاصى التى كانوا يعصون الله بها ، لعن الله الذين كفروا من اليهود بالله على لسان داود وعيسى بن مريم بما عصوا الله ، فخالفوه أمره ، وكانوا يعتدون يتجاوزون حدود الله"(٢).

وقال ابن كثير :" يخبر تعالى أنه لعن الكافرين من بنى إسرائيل من دهر طويل فيما أنزله على داود نبيه عليه السلام ، وعلى لسان عيسى بن مريم بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه"(٣).

بعد هذا اللعن الربانى لهم ، لا أظن أنه يخرج أحد منهم الآن عنه لأنهم فى وقتنا الحاضر كلهم كفرة فجرة ، فقد كفروا بعيسى ومحمد

---

(١) المائدة : ٦٠ .
(٢) جامع البيان للطبرى ٦/ ٣١٩ .
(٣) مختصر ابن كثير ١/ ٥٣٨ .

صلوات الله وسلامه عليهما ، إلا قليل منهم إنهم أذواهما إيذاء شديدا إذ حاولوا قتلهما كما تقدم .

وهذه هى بعض الآثار التى نتجت عن تحريف اليهود لعقيدتهم التى جاءت سليمة فى شريعتهم المنزلة .

وأحب أن أجعل ختام هذا الفصل بهذه الآيات الكريمات لأنها تعتبر خلاصة ماتقدم فى هذا الفصل :

قال الله تعالى ذكره :

(يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ماجاءتهم البينات فعفونا عن ذلك ، وآتينا موسى سلطانا مبينا ، ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ، وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا ، وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت ، وأخذنا منهم ميثاقا غليظا . فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم ، فلايؤمنون إلا قليلا . وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما . وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما ، وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا . فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) (١) .

---

(١) النساء : ١٥٣ - ١٦١ .

نعم أعد الله للكافرين منهم عذابا أليما ، وكلهم الآن كفوة سيكـــــــون مصيرهم إن لم يؤمنوا بالله ويتوبوا إليه إلى عذاب أليم . ،،،،،،

* * * *

" الفصـــل الثانـــى "

الآثار التى ترتبت على إفساد اليهود العقيدة المسيحيــة .

١ ـ كفرت النصارى بالله تعالى نتيجة ذلك الإفساد .

٢ ـ اتخذت النصارى رهبانها أربابا من دون اللـــه .

الفصل الثانى

الآثار التى ترتبت على إفساد اليهود العقيدة المسيحية

لقد أصاب المسيحية من التحريف والتبديل على أيدى اليهود ما أصاب الموسوية وغيرها من الأديان الربانية ، ولذلك نرى المسيحيين بعد تحريف عقيدتهم ، سلكوا مسلك اليهود حذو القذة بالقذة ، وقاموا بما قام به اليهود من أعمال إجرامية وغير إنسانية فى حق دين الله الذى أنزله على أنبيائه أتباعا لسلفهم "شاول" اليهودى، ذلك الرجل الذى قام بإخراج المسيحية من الدين الربانى إلى الدين الوثنى ، -كما سبق- وصار أتباع المسيحية بعد ذلك وثنين يعبدون الأوثان . ذلك لأنهم تقولوا على الله بغير علم ، وافتروا عليه افتراء عظيما .

والواقع أن ماترتب على إفساد اليهود للعقيدة المسيحية من الآثار كثيرة جدا ، آثار نفسية ، وآثار فكرية ، وآثار سياسية واقتصادية وآثار أخلاقية وآثار علمية ، وآثار فى كل مجالات الحياة ، حدث فى كل ذلك إفساد وتخريب ، إفساد فى شئون الحياة .

وعانت الأمة النصرانية من جراء ذلك شدائد ومحنا ، ولا تزال تعانى فكان ينبغى أن أتعرض لتلك الآثار كلها ، إلا أن البحث يقيدنى بما يتعلق بإفساد العقيدة ، ولذلك لن أخوض فى الحديث عن تلك المجالات كلها وإنما الذى يعنينى فى هذا الفصل هو الآثار العقدية ، فسأحاول عدم الخروج عن هذا العنصر بإذن الله تعالى ، وربما أشير إشارة خفيفة إلى العناصر الأخرى إذا دعت الحاجة إلى ذلك . من تلك الآثار :

١ - " كفرهم بالله عز وجل "

أن النصارى كفروا نتيجة وقوعهم فى ذلك الإفساد حيث قالوا : إن الله عز وجل اتخذ عيسى عليه السلام ولدا . وهذا افتراء على الله ، وهو قول منكر عظيم ، غاية فى القبح والشناعة ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، لأن الرب الخالق يتنزه عن أن يكون والدا أو مولودا .

(قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) .

وفى التشنيع على هذه الفرية التى قالها النصارى واعتقدوها ودعوا إليها قال الله عز وجل :

(وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئا إدّا ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا أن دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) (١) .

فأبان الله أن هذه المقالة الشنيعة تتأثر من هولها السموات والأرض والجبال حتى تكاد السموات تتفطر أى تتشقق وتتناثر ، وتكاد الأرض تنشق ، وتكاد الجبال تخر هدّا ، لأنها ممسوكة بقدرة الله ، فإذا قال الناس : فى الله مقالة شنيعة مثل هذه ، فإن غضب الله يشتد عليهم حتى يكاد أن ينزل نقمته بهم ، وذلك إنزال السماء كسفا عليهم ، وشق الأرض لابتلاعهم ، وهدّا الجبال على رؤسهم لإهلاكهم ، لكن الله عز وجل حكيم يملى ولا يهمل حتى يأخذ الابتلاء غايته المقررة بقضائه وقدره .

ومن كفرهم أيضا قولهم : إن الله هو المسيح أو ثالث ثلاثة ، فصار اعتقادهم مثل اعتقاد الوثنيين والمشركين الأولين .

---

(١) مريم : ٨٨ - ٩٢ .

لقد كان قدماء المصريين يؤمنون بالتثليث ، وكانت آلهتهم تسمى :
" ايزيس ، وأوزوريس ، وهورس " . وهى شبيه الثالوث الجاهلى العربى :
" اللاة والعزى ومناة " ، وشبيه الثالوث الإلهى لقبائل البانتو الأفريقية :
" مزيوء ، وبييو ، وموطنجو " وهى شبية الثالوث البرهمى فى الديانة
الهندية : " برهما ، وسيفا ، وفشنو " . (١)

وهكذا كأن هذه العقائد منبعها واحد . ولذلك جاء فى القرآن
الكريم حكم قاطع بكفر من آمن بهذه الفكرة الباطلة . قال الله تعالى فى ذلك :
(لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح يابنى
اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه
الجنة ، ومأواه النار وماللظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا : إن الله
ثالث ثلاثة.ومامن إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عمايقولون ليمسن الذين
كفروا منهم عذاب أليم) . (٢)

فهذا حكم من رب العالمين الذى يعلم غيب السموات والأرض ومابينهما
وماتحت الثرى ، وحكم ممن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

روى ابن جرير الطبرى رحمه الله عن السدى عن معنى : (إن الله
ثالث ثلاثة) قال : " قالت النصارى : " هو والمسيح وأمه " فذلك قوله
تعالى : (أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله) ". (٣)

لست أدرى كيف قبل النصارى عقيدة التثليث مع أنها تجمع بين
المتناقضات وكيف قبلت عقولهم بمايسمونه بالأقانيم الثلاثة ، يعنى الثلاثة

---

(١) انظر الأديان فى القرآن : محمود بن الشريف ص ٢٠٦ .
(٢) المائدة : ٧٢ - ٧٣ .
(٣) جامع البيان : ٦/ ٢٠٢ - ٢٠٣

واحد والواحد ثلاثة ، وقولهم : إن الله جوهر واحد أقانيم ثلاثة فهو واحد فى الجوهرية ، ثلاثة فى الأقنومية ، وأحد الأقانيم عندهم الأب ، والآخر الابن ، والآخر روح القدس .

قال الإمام ابن حزم الظاهرى : " قالوا : إن الله تبارك وتعالى عبارة عن ثلاثة أشياء : أب ، وابن ، وروح القدس ، كلها لم تزل وأن عيسى عليه السلام إله تام كله ، وإنسان تام كله ، ليس أحدهما غير الآخر ، وأن الإنسان منه هو الذى صلب وقتل ، وأن الإله منه لم ينله شئ من ذلك ، وأن مريم ولدت الإله والإنسان ، وأنهما معا شئ واحد " (١) .

وهل يقبل العاقل هذا التصور المظلم ، وهل يؤمن بهذا إنسان لديه تفكير سليم ؟ لا ، لا يقول العاقل : ثلاثة واحد ، وواحد ثلاثة وأن كل واحد منها هو الآخر . فالأب هو الابن ، والابن هو الأب . وإن اجتماع الوحدة والكثرة الحقيقيتين فى مادة شخصية فى زمان واحد من جهة واحدة أمر مستحيل بديهى ، يحكم به عقل كل عاقل ، فقائل التثليث لا يمكن أن يكون موحدا حقيقة لله عز وجل بل معدد مشرك .

قال صاحب إظهار الحق : " قال صاحب ميزان الحق فى الباب الأول من كتابه المسمى بـ "حل الاشكال" هكذا "إن المسيحيين يحملون التوحيد والتثليث كليهما على المعنى الحقيقى" (٢) .

---

(١) الفصل ١/٤٩ .

(٢) إظهار الحق ص ٣٣٣ .

لا شك فى أنه اعتقاد وتصور لا يرضى به العقل السليم والفطرة الصحيحة .
إن محاولة الجمع بين التثليث والوحدانية محاولة يعتقد عقلاء النصارى أنفسهم
أنها بعيدة عن التصور ، لأن من أصعب الأشياء الجمع بين الوحدانية
والتثليث ، وقد اعترف بذلك صاحب رسالة الأصول والفروع بعد بيان عقيدة
التثليث ، فقال : " قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا ، ونرجو أن نفهمه
فهما أكثر جلاء فى المستقبل ، حين ينكشف لنا الحجاب عن كل مافى السموات
ومافى الأرض ، أما فى الوقت الحاضر ففى القدر الذى فهمناه كفاية " .

أى أن عقيدة التثليث لا يمكن أن تنكشف للنفس على وجهها إلا يوم تتجلى
كل الأشياء لها يوم القيامة ، وذلك حق ، فإنهم لا يعلمون حقيقتها إلا يوم
يحاسبهم الله عليها " (١) .

ونظراً لصعوبة تصور الأقانيم الثلاثة ، فى واحد ، وصعوبة الجمع
بين التوحيد والتثليث ، حاول علماؤهم تأجيل نظر العقل فى هذه العقيدة
لأن العقل يرفضها أصلا .

يقول ابن قيم الجوزية فى ذم النصارى بعد فساد عقيدتهم :

" المثلثة أمة الضلال ، وعباد الصليب سبوا الله الخالق مسبة ماسبه
إياها أحد من البشر ، ولم يقروا بأنه الواحد الأحد الفرد الصمد ، الذى
لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، ولم يجعلوه أكبر من كل شئ ، بل
قالوا : فيه ما " تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً "
فقل ماشئت فى طائفة أصل عقيدتها ، أن الله ثالث ثلاثة ، وأن مريم صاحبته

---

(١) محاضرات فى النصرانية محمد أبو زهرة ص ١٢٢ .

وأن المسيح ابنه ، وأنه نزل عن كرسى عظمته والتحم ببطن الصاحبة ، وجرى له ماجرى إلى أن قتل ومات ، ودفن ، فدينها عبادة الصلبان ، ودعاء الصور المنقوشة بالأحمر والأصفر فى الحيطان ، يقولون فى دعائهم : يا والدة الإله ارزقينا واغفرلنا وارحمينا .... " (١) .

ان هذه العقيدة لو جهد أحد بكل عقله ليفهمها ، لماقدر على ذلك وكيف يقدر عليه وجماهير النصارى عاجزة عن تفسيرها ، وقد حاولت مع فريق من نصارى أفريقيا بسؤالهم عن تفسيرها ، فكانت تفاسيرهم مختلفة لأن مفهومها غير واضح فى أذهانهم .

ومن هنا أستطيع أن أجزم نظرا لماتقدم من المعلومات المتعلقة بعقيدة النصارى وغيرها ، أنهم فقدوا قيمة العقيدة والدين من جراء تحريفات اليهود لعقيدتهم ، والتغييرات التى وقعت فيها ، وهو الهدف الوحيد للزمرة اليهودية .

جاء فى البروتوكول الرابع مايلى :

" يتحتم علينا أن نهدم دولة الإيمان فى قلب الشعب وننتزع من عقول المسيحية فكرة أن هناك إلها ، ونحل محله قوانين رياضية ، وضرورات مادية ولئلا تدع لديهم فرصة المراجعة والتفكير ، يجب أن نشغلهم بالصناعة والتجارة ، وبذلك تنصرف كل الأمم إلى المكاسب دون أن تفطن إلى عدوها العام فى الصراع العالمى .

لقد رفض بعض علماء النصارى هذه العقيدة ، لماوجدوا أنها غير صالحة للإيمان بها ، ونسبوا التحريفات التى أصابت عقيدتهم ، إلى بولس

---

(١) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ص ٨ .

الذى قالوا عنه : إنه لم يفهم تعاليم المسيح عليه السلام .

جاء فى قصة الحضارة مايلى :

"إن المسيح ليس إلها ، بل هو ابن يوسف ومريم ، حملت به أمه بنفس الطريقة السخيفة التى تحمل بها كل أم ، وأن جسم المسيح لا يحتويه العشاء الربانى (١) " .

ويقول رينان (٢) : « إنه ينبغى لفهم تعليم يسوع المسيح الحقيقى كما كان يفهمه هو ، أن نبحث فى تلك التفاسير والشروح الطويلة الكاذبة التى شوهت وجه التعليم المسيحى ، حتى أخفته عن الأبصار تحت طبقة كثيفة من الظلام ، ويرجع بحثنا إلى أيام بولس الذى لم يفهم تعليم المسيح بل حمله على محمل آخر ، ثم مزجه بكثير من تقاليد الفريسيين ، وتعاليم العهد القديم .... ومن عهد بولس ظهر التلمود المعروف بتعاليم الكنائس ، وأما تعليم المسيح الأصلى الحقيقى ، فخسر صفة الإلهية الكمالية ، بل أصبح احدى حلقات سلسلة الوحى التى أولها منذ ابتداء العالم ، وأخرها فى عصرنا الحالى ، والمستمسكة بها جميع الكنائس ، وأن أولئك الشراح والمفسرين يدعون يسوع إلها ، دون أن يقيموا على ذلك الحجة ، ويستندون فى دعواهم على أقوال وردت فى خمسة أسفار : موسى والزبور ، وأعمال الرسل ، ورسائلهم ، وتأليف أباء الكنيسة ، مع أن تلك الأقول لا تدل أقل دلالة على أن المسيح هو الله (٣) " .

---

(١) قصة الحضارة : ٨٦/٢١ والقول بأنه ابن يوسف قول باطل والقارئ يدرك حقيقة ذلك من دينه .

(٢) فيلسوف فرنسى .

(٣) محاضرات فى النصرانية : ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

إذن هذه الأقوال تنكر ألوهية المسيح عليه السلام ، وتعتقد أن المسيح إنسان لا أقل ولا أكثر .

٢ - اتخذوا رهبانهم أربابا من دون الله .

قال الله تعالى فى حقهم وفى حق اليهود :

(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) (١) .

روى ابن جرير الطبرى رحمه الله بسنده عن عدى بن حاتم رضى الله عنه أنه قال : " انتهيت إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ من سورة براءة (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) قال : قلت : يارسول الله ، إنا لسنا نعبدهم ، فقال : " أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ؟ ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟ قال : قلت : بلى ، قال : " فتلك عبادتهم " وفى رواية أخرى ، قال : " أما إنهم لم يكونوا يصومون لهم ، ولا يصلون لهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا شيئا استحلوه ، وإذا حرموا عليهم شيئا أحله الله لهم حرموه ، فتلك كانت ربوبيتهم " (٢) .

لقد قام رجال الكنيسة النصرانية ، بما قام به أحبار اليهود وحاخاماتهم من تحليل وتحريم ، وزيادة ونقص فى الدين ، فوضعوا أنفسهم موضع المعبود المشرع ، فاقتدى بهم الناس واتبعوهم فى ذلك وعبدوهم من دون الله وقدسوا تعاليم رجال الكنيسة دون تعاليم المسيح عليه السلام ، ثم طغت الكنيسة بسبب هذا التقديس ، قامت تفرض لنفسها قداسة دينية ، وسياسية

---

(١) التوبة : ٣١ .

(٢) جامع البيان : ٩/١١٣ .

ما أنزل الله بها من سلطان ، وأعطت لنفسها القداسة فى كل مجالات الحياة وقد كان ذلك من أهداف اليهود ومراميهم ، لأنهم كانوا يدركون أن تقديس الرجال تقديسا ذاتيا يؤدى إلى الانحراف فى جميع المجالات الدينية .

وقد أصبح رجال الكنيسة بابا من أبواب الدين ، لا يمكن الدخول فى الدين إلا بإذنهم حيث كان التعميد لا يكون إلا على يد الكاهن وتبدأ حياة المسيحى الدينية عندئذ بواسطة البابا أو الكاهن لأنهم هم الذين يتحدثون باسم الرب الإله فى الأرض ، لكونهم مقدسى الذات ، ومقدسى الكلمات ، ولكونهم واسطة بين الله والخلق . لقد ابتدع رجال الكنيسة بدعا كثيرا فى الدين ، وأعتقد الناس بأنها من الله بواسطة هؤلاء الرهبان ، من ذلك :

أ ـ التعميد الذى سبقت الإشارة إليه .

ب ـ كرسى الاعتراف ، حيث يجلس المذنب أمام الكاهن ، ويدلى باعترافه بكلام واضح لا غموض فيه ، ثم يقوم القسيس يمسح ذنوب الشخص المذنب .

وقد كانت مسألة غفران الذنوب فى البداية مقتصرة على آخر حياة الشخص ، أو عندما يريد الشخص أن يتوب ويرجع إلى الله ، ولكن مع تطور الزمن أصبحت صفقة تتم عندما يستعد الإنسان لشراء الصك ، ولا يحتاج إلى توبة . (١) فبدأت الكنيسة تكتب الصك لكل من يأتى إليها بمقابل كمية مالية تقدرها هى . وكانت صورة صك الغفران كمايلى :

" ربنا يسوع المسيح يرحمك يافلان ، ويحلك باستحقاقات آلامه الكنيسة القداسة ، وأنا بالسلطان الرسول المعطى لى أحلك من جميع القصاصات

---

(١) انظر محاضرات فى النصرانية ٢٠٧ .

والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها ، وأيضا من جميع الافراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة ، وفظيعة ومن كل علة وان كانت محظوظة لأبينا الأقدس البابا ، والكرسى الرسولى ، وأمسح جميع أقذار المذنب ، وكل علامات الملامة التى ربما جلبتها نفسك فى هذه الفرصة ، وأرفع القصاصات التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المظهر وأردك حديثا إلى الشركة فى أسرار الكنيسة ، وأقرنك فى شركة القديسين ، أردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند معموديتك ، حتى إنه فى ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذى يؤدى إلى الفردوس الفرح ، وإن لم تمت سنين مستطيلة ، فهذه النعمة تبقى غير متغيرة ، حتى تأتى ساعتك الأخيرة باسم الأب والابن والروح القدس» (١).

إن هذه الوثيقة تثبت أن من استحقها وامتلكها غفر ماتقدم من ذنبه وماتأخر ، تغسل من ذنوبه الماضية حتى يصير طاهرا ثم لا يكون بعد ذلك قابلا لأن تؤثر فيه الذنوب مهما يرتكب من خطايا ، ومهما ينغمس فى المعاصى ، كان ذلك الصك جواز المرور إلى النعيم المقيم (٢).

يقول ول ديورانت وهو يصف ماتناله الكنيسة من جراء ذلك القانون وماتحقق لها من جمع أكبر ثروة فى أوربا :

"كذلك جاءت إلى البابوات أموال طائلة ممن ينالون صكوك الغفران البابوية ومن الحجاج القادمين إلى رومة . وقد حسب ذلك الكرسى البابوى عام ١٢٥٠م فكان أكثر من دخل رؤساء الدول الأوربية الزمنيين مجتمعين ولقد

---

(١) المصدر السابق ٢٠٦ .

(٢) انظر المصدر السابق ٢٠٧ .

تلقى البابا عام ١٢٥٣م ثلاثة أمثال إيراد التاج ، ومهما تكن ثروة الكنيسة متناسبة مع اتساع وظائفها ، فقد كانت هذه الثروة أهم أسباب الالحاد فى هذا العصر "(١) .

وبالعكس من ذلك أنه من لم يتعبد بأوامر الكنيسة ورجالها ، فإنه كان يتعرض لعقوبات لا يعلم مدى شدتها إلا الله ، ثم لم يتب يعلن حرمانه من المغفرة وطرده من حظيرة المسيحية ، وابعاده عن الجنة وكان هذا الحرمان يتعرض له جميع طبقات الشعب أفرادا وجماعات .

فمن الأفراد الذين تعرضوا لهذا الحرمان كثيرون لا حصر لهم ، سواء من الملوك أو من غيرهم ، من الملوك مثل :

" هنرى الرابع الألمانى ، وهنرى الثانى الإنجليزى ، ومن رجال الكنيسة مثل أريوس إلى لوثر ، ومن الفلاسفة مثل أرنست رينان "

" أما الحرمان الجماعى ، فقد تعرض له البريطانيون عندما حصل لهم خلاف بين ملك يوحنا ملك الإنجليز وبين البابا ، فحرمه البابا ، وحرم أمته فتعطلت الكنائس من الصلاة ، ومنعت عقود الزواج ، وحملت الجثث إلى القبور بلا صلاة ، وعاش الناس حالة من الهيجان ، والاضطراب ، حتى عاد يوحنا صاغرا يقر بخطيئته ، ويطلب الغفران من البابا ، ولما رأى البابا ذله وصدق توبته رفع الحرمان عنه وعن الأمة "(٢) .

وهكذا يجد المرء كل المساوئ ، والعنف والظلم فى ظل حكم رجال الكنيسة ، وهكذا وضع رجال الكنيسة أنفسهم موضع الخالق ، والمعبود

---

(١) قصة الحضارة ج١٠ ص ٧٢ .

(٢) انظر موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادى للتاريخ أحمد العويشة ص٥١ .

الذى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء بغير خوف من أحد ولا خوف من حساب ثم إن نتيجة تسلط الكنيسة وتعسفها ، ووقوفها فى وجه كل تفتح فكرى أو كشف علمى ، وتجاوزها ذلك الحجر على العقول ، وقع الصراع صراع العقول مع الكنيسة ، لأنها تفرض عليها مالا تطيقها ، ولا تقبلها وقد غرقت الشعوب النصرانية فى دماء ضحايا الكنيسة ، حيث سقط المئات بل الألوف تحت مقصلات محاكم التفتيش ومشانقها ، غير من غيبوا فى غياهيب السجون ، وانتهى الأمر إلى إعلان الناس خروجهم من الدين ، إلى مبدأ لا يطلب منهم غير ماتهوى أنفسهم ، واتخذوا إلههم هواهم ، وتقلص دين الكنيسة داخل جدرانها ، فنفر الناس من هذا الدين الوضعى ، واعتنقوا مبادئ أسوأ منها ، فصاروا عبادا للمادة أو للطبيعة ، وتحرر أكثرهم من استعباد الكنيسة باسم الدين ، التى كانت توجب على الناس أن يؤمنوا بكل ماتقوله الكنيسة ، مع أنها تؤكد لهم أن عقائدها أسرار لا ينبغى أن يطلع عليها إلا رجال الكنيسة أو من يختارون هم لذلك ، فمنعت الناس من التفكير فى هذه العقائد ، ومن مناقشتها ، فاعتبرت المناقش فيها أو الشاك فى أمرها كافرا ، وجبت عليه اللعنة الأبدية ، وخرج من رضوان البابوية ، فخرج من ثم من رضوان الله تعالى .

انهم يعلمون ويدركون ويحسون أن هذه الأسرار كلها منافية للعقل ومنافية للمنطق ، لذلك يخافون أن تناقش بالعقل والمنطق ، لأنها حينئذ لا تصمد أمام النقاش والبحث عن الماهية .(١)

---

(١) انظر مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ص ٣٣ .

كل هذا جعل شعوب النصرانية ، تثور على رجال الدين وعلى تعاليمهم وقد استفاد اليهود من هذه الأحداث استفادة جيدة لتنفيذ مخططهم الشرير ، لأن هذا يعتبر بالنسبة إليهم فرصة مرتقبة منذ قرون ، مع أن ماحدث فى الديانة النصرانية كان من ابتكاراتهم ، إلا أنهم يريدون أن يستمر الفساد فى الأرض ، فاشعلوا النيران فى أوساط المجتمع النصرانى حتى كاد يدمر بعضهم بعضا .

فلنقرأ ماجاء فى البروتوكول السابع عشر :

" قد وجهنا أعظم اهتمامنا إلى رجال الدين المسيحى فطمسنا نفوذهم وأسقطنا هيبتهم ، وإلى رسالة الدين المسيحى المعرقل لجهودنا فى الوقت الحاضر فأفسدناها ، وقد بدأت ثمار جهودنا تؤتى أكلها ، إذ أخذ ذلك النفوذ الدينى العظيم فى الناس يتضاءل رويدا رويدا ، وحلت حرية الضمير مكانه فى كل مكان ولا تمضى غير سنوات معدودات حتى نشهد احتضار المسيحية ، وربما لفظت أنفاسها الأخيرة ، ولن تتطلب الديانات الأخرى إلا اليسير من الجهد حتى تتبع المسيحية فى الانهيار ، ولكن البحث فى هذه النقطة مازال سابقا للأوان ، وسنحصر الدين ورجاله فى أضيق نطاق حتى تزول عنهم الهيبة وتسقط الحرمة ، فتفقد تعاليمهم الأثر الطيب الذى كانت تجده من قبل .

ومتى حان الوقت لهدم الصرح البابوى تبرز أصبع مجهولة من يد خفية تشير إلى الفاتكان إيذانا ببدء الهجوم عليه ، وبينما الناس يهاجمونه فى هيجان سنظهر نحن كحماة منقذين لنوقف المذابح ، وننفذ إلى قلبه ونتغلغل فيه ، ولن تستطيع قوة فى الأرض أن تخرجنا منه ، حتى نكون

قد نقضنا السلطة البابوية ، بحيث لا يبقى حجر منها على حجر ، وإذ ذاك يصبح ملك إسرائيل " البابا " الحقيقى للعالم ، وبطرك الكنيسة العالمية ... سنحارب الكنيسة بأن نبدأ فى نسفها من داخلها ، بمانبث فيها من اختلاف وفرقة عن طريق حملات النقد اللاذع وعن طريق صحافتنا التى نجعلها تندد بحكومات الجوييم ، وهيئاتهم الدينية وترديها " .

وأخيرا لماكفرت النصارى بربها وخالقها اتجهت إلى عبادة المادة فأصبح النصرانى مادى الحياة ، حريصا على الاستثمار من أية طريقة سواء أكانت من الحرام أو من الحلال ، كأنه لم يبق عنده شئ من المبادئ العالية ، والعواطف الشريفة التى نقلتها له المسيحية ، فصار جاف الطبع يرى أن العضو الضعيف الحياة يستحق الموت ويرى أن الفضيلة كلها فى القوة ، وكل القوة فى المال ، فهو يحب العلم ، ولكن لأجل المال ، ويحب المجد ولكن لأجل المال ، ويحب المنصب ولكن لأجل المال ، وهكذا وكان جديرا بذلك ، لأنه نبذ دين الله وراء ظهره واتبع الشيطان المريد فالدين النصرانى اليوم هو المادة ، كما أن إلهه هو نفس المادة ، فالمادة هى التى تحكم قلبه ومشاعره وروحه وجوارحه .

و " لا شك أنه لا يزال فى الغرب أفراد يعيشون ويفكرون على أسلوب دينى ، ويبذلون جهدهم فى تطبيق عقائدهم بروح حضارتهم ، ولكنهم شواذ ، إن الرجل العادى فى أوربا : ديمقراطيا كان أو فاشيا ، رأسماليا كان أو اشتراكيا ، عاملا باليد ، أو رجلا فكريا ، إنما يعرف دينا واحدا وهو عبادة الرقى المادى ، والاعتقاد بأنه لا غاية فى الحياة غير أن يجعلها الإنسان أسهل ، وبالتعبير الدارج " حرة مطلقة " من قيود الطبيعة

أما الكنائس هذا الدين فهى المصانع الضخمة ودور السينما ، والمختبرات الكيمائية ، ودور الرقص ، ومركز توليد الكهرباء ، وأما كهنتها فهم رؤساء الصيارف ، والمهندسون ، والممثلات ، وكواكب السينما ، وأقطاب التجارة والصناعة ، والطيارون والمبرزون الذين يضربون رقما قياسيا (١) .

ويقول بعضهم وهو يؤكد أهمية عبادة المادة :

"إنا لا نستطيع أن نجمع بين عبادة الله وعبادة المال ، وأنا أسلم أن الأمر ليس بميسور ، ولكن متى تكون المهمات فى الدنيا ميسورة سهلة فمهما اختلفنا فى المبادئ ، فإن الحقيقة الراهنة أن كلنا راسخ فى تقليد بتلز وأتباعه ، مشغوفون بحب المال ، وعقيدتنا أن الثروة هى المقياس الصحيح لعظمة الفرد والحكومة (٢) " .

وبهذا أصبحت الأمة النصرانية أمة ترى أن القيم التى تسود الحياة فى هذا العصر وتحكمه هى النظر فى كل مسألة وشأن من ناحية المعدة والجيب .

قال صحفى أمريكى : "إن الانجليز إنما يعبدون بنك إنجلترا ستة أيام فى الأسبوع ، ويتوجهون فى اليوم السابع إلى الكنيسة (٣) " .

وصلت الشعوب النصرانية إلى هذا الحد فى الانحراف والانحلال وكل ذلك نتيجة إنحرافهم عن الإيمان بالله عز وجل وعن العقيدة الصحيحة التى تنور لهم الطريق القويم ، فعبدوا الدنيا واعتقدوا أن الفضيلة فى الفائدة العملية ، والمثل الكامل عندهم والفارق بين الخير والشر هو النجاح

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبى الحسن الندوى ص ٢٠٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٣ .

المادى لاغير ، فصارت الثروة أقوى عامل فى حياة النصارى وأكبر باعث للعمل لأن الثروة ووفرتها مقياس لكفاءة الانسان فى تصورهم .

قال الأستاذ جود رئيس الفلسفة وعلم النفس فى جامعة لندن :

" سألت عشرين طالبا وتلميذة كلهم من أوائل العقد الثانى من أعمارهم كم منهم مسيحى بأى معنى من معانى الكلمة ، فلم يجب ب " نعم " إلا ثلاثة فقط ، وقال سبعة منهم : إنهم لم يفكروا فى هذه المسألة أبدا ، أما العشرة الباقية فقد صرحوا بأنهم معادون للمسيحية " . (١)

وهكذا ففر الناس من دين النصرانية ، ومن ثم من دين الله ، فضاعوا وانتكسوا إلى مستوى الحياة البهيمية وشاعت فيهم الأمراض الاجتماعية المزمنة وتساقطوا فى مهالك المادة ، وأصبح القلق يسيطر عليهم حتى نسوا نفوسهم ، وأظلمت قلوبهم ، وتبلد أحساسهم لحساب المعدة والجسد وغرقوا فى المتاع الحسّى حتى غفلوا عن الحكمة التى خلقهم الله لأجلها ونسوا المصير المحتوم فى الدار الآخرة .

وقد حاولت الكنيسة أن تعيد الناس إلى حظيرتها ، ولكن جهودها باءت بالفشل ، مع أنها حاولت ذلك بكل وسيلة سواء أكانت وسيلة شريفة أو غير شريفة ، فانحبس الدين النصرانى داخل جدران الكنيسة كما انحبس رجالها داخلها أيضا ، ولكن الكنيسة لم تقبل هذا الانعزال ، بل حاولت تطوير الدين وتطوير الشعائر الدينية حتى صارت الصلاة تؤدى على انغام الموسيقى ثم تعقبها حفلات الرقص بين الجنسين تحت الأضواء الخافية الحالمة ، وبين الألحان الدافئة والساخنة ، تحت سمع وبصر رجال الكنيسة

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٠ .

بل تحت رعايتهم وتوجيههم السديد ، وذلك لكى يستجيب الناس إلى الكنيسة ورجالها " (١) ......

وكل ذلك لم يؤت ثماره .

* * * *

---

(١) انظر أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى د / محمد على جريشة ص ٦٠ .

" الفصـــل الثالــث "

الآثار التى ترتبت على محاولـــة اليهود إفساد العقيدة الإسلامية .

١ - الإسرائيليات فى تفســير كتاب اللــــه الكريـــــــــم .

٢ - تخلـف المسلمين عن موكب الحياة نتيجة لتلك المحـــاولا ت .

الفصل الثالث :
الآثار التي ترتبت على محاولة اليهود إفساد العقيدة الإسلامية ، وهو خاتمة الرسالة

سبق أن ذكرت ماقام به اليهود من محاولات لمحاربة العقيدة الإسلامية وزعزعتها في نفوس معتنقيها ، وكيف أن تلك المحاولات باءت بالفشل الذريع ولكنها مع ذلك تركت آثارا سيئة في حياة المسلمين ، وخاصة العامة منهم لأن الدسائس اليهودية لم تكن ظاهرة حتى يحذر منها العامة .

وكما تأثر بها كثير من الذين في قلوبهم مرض أو خظهم من العلم ضعيف كالمنافقين وغيرهم ، وللذين كانوا مجوسا دور بارز في هذا الأمر أيضا . ولقد كانت تلك الآثار بارزة ، وليست بالقليلة في كثير من كتب التفسير والحديث والتاريخ والأدب والأخلاق .

وحيث إن هذا الموضوع يدور حول العقيدة أحببت أن أذكر جانبا من تلك الآثار مايتعلق بالعقيدة الإسلامية ، مع ذكر بعض الأمور الهامة التي أرى أنها لابد من ذكرها ، لأنها قد تكون من نتيجة الانحراف عن العقيدة الصحيحة لدى بعض الناس .

وقد قسمت الفصل إلى فقرتين .

الأولى منهما : دخول الإسرائيليات في تفسير كتاب الله الكريم .

الثانية منهما : تخلف المسلمين عن موكب الحياة نتيجة لتلك المحاولات .

الفقرة الأولى : الإسرائيليات في تفسير كتاب الله تعالى :

لفظ الإسرائيليات - كماهو ظاهره - جمع مفرده إسرائيلية ، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي ، والنسبة فيها إلى إسرائيل ، وهو يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، ويعقوب هو أبو الأسباط الاثني عشر ، وإليه ينسب اليهود ، فيقال بنو إسرائيل ، وقد ورد ذكرهم

فى القرآن الكريم منسوبين إليه فى مواضع كثيرة منها : قوله تعالى :

(لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بماعصوا وكانوا يعتدون) (١) .

وقوله تعالى : (وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا) (٢) .

وقوله تعالى : (إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون) (٣) .

وتنقسم الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام : (٤)

القسم الأول : ماهو مقبول ، وهو مايعلم صحته بأن نقل عن النبى صلى الله عليه وسلم نقلا صحيحا ، وهذا القسم لا اعتراض عليه ، وليس من خصائص الإسرائيليات .

القسم الثانى : ماليس لدينا دليل شرعى أو عقلى على قبوله أو رده ، وهذا القسم نتوقف فيه فلا نجزم بصدقه ولا بكذبه ، وقد تجوز روايته ، ويكون من باب قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم (وقولوا : (أمنا بالله وماأنزل الينا) (٥) . وقوله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) المائدة : ٧٨ .

(٢) الإسراء : ٤ .

(٣) النمل : ٧٦ .

(٤) انظر الإسرائيليات فى التفسير والحديث د / محمد حسين الذهبى ص ٩ .

(٥) البخارى كتاب التفسير ٦ / ٢٥ .

" لا تسألوا أهل الكتاب عن شئ فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، وإنكم إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل ، والله لو كان موسى بين أظهركم ماحل له إلا أن يتبعنى " (١) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " بلّغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوؤا معقدة من النار " (٢) .

القسم الثالث : ماعلم كذبه ووضعه ، كأن يتناقض مع ماهو معلوم من الدين بالضرورة ، وكأن يكون مما لا يتفق مع العقل ، وهذا القسم هو القسم المردود وهو القسم الذى أقصده بالإسرائيليات فى هذا المكان .

وغفلة بعض المسلمين وسذاجة بعضهم ، ورغبتهم باستخدام القصص ذات التأثير فى نفوس العامة ، من الأسباب التى جعلت الكثير منهم يدخل فى التفسير القصص الإسرائيلية دون أن توضع موضع النقد والتحرير العلمى فكان منها مالا يقبل عقلا ولا يصح نقلا ، ونجد منها ماهو مسند إلى بعض الصحابة ، ومنها ماهو مرفوع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن الاسناد موضوع أو شديد الضعف ، لا يقبل بوجه من الوجوه .

واتخذ تلك القصص بعض المشتغلين بالتفسير مادة يشرحون بها بعض نصوص القرآن وهى فى صورتها هذه تشكل خطرا بالغا على المفاهيم القرآنية وشرا مستطيرا ، بماحوته من أباطيل وخرافات نسبت الكثير منها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانخدع بعض المشتغلين بالتفسير بهذه القصص

---

(١) مسند الإمام أحمد ٣٣٨/٣ .

(٢) البخارى كتاب أحاديث الأنبياء : ٥٠ .

والتفسيرات المستند إليها وظنوها معارف مقبولة فى المفاهيم الإسلامية لا سيما إذا كانت منسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو صحابته اعتقادا منهم بأن المفسرين المسلمين لا يوردونها فى التفسير مالم تكن موثوقا بها سليمة من الزيف ، وبسبب ذلك قبلوها وصدقوا بها مع مافيها من أكاذيب وأباطيل .

إن كثيرا من المسلمين قد انخدعوا بهذه الإسرائيليات فحشدوا فى كتبهم وعقولهم خرافات كثيرة نقلوها عن العهد القديم وتحريفاته . من غير بيان أصولها وتحرير مفاهيمها ودلالاتها ، وأخذوها ظانين أنها من الدين .

يقول الدكتور محمد حسين الذهبى : " بل لا أكون مبالغا ولا متجاوزا حد الصدق إن قلت إن كتب التفسير كلها قد انزلق مؤلفوها إلى ذكر بعض الإسرائيليات وإن كان يتفاوت قلة وكثرة . وتعقيبا عليها وسكوتا عنها وإذا ماأردنا أن ننوع كتب التفسير على حسب مناهجها فى رواية الإسرائيليات وسكوتها عنها أو نقدها لوجدناها أنواعا مختلفة " (١) .

ويقول ابن خلدون وهو يبين كيف دخلت الإسرائيليات فى كتب التفسير وكيف أن بعض المفسرين تأثروا بها حتى ملأوا بها كتبهم : " وقد جمع المتقدمون فى ذلك - يعنى التفسير النقلى - وأوعوا ، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود ، والسبب فى ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية ، وإذا تشوقوا إلى معرفة شىء مماتتشوق إليه النفوس البشرية فى أسباب المكونات وبدء الخلق وأسرار

---

(١) الإسرائيليات فى التفسير والحديث ص ٥٦ .

الوجود ، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى . وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك إلا ماتعرفه العامة من أهل الكتاب ، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهود فلما أسلموا أبقوا على ماكان عندهم ، ممالا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها ، مثل أخبار بدء الخليقة ، ومايرجع إلى الحدثان ، والملاحم وأمثال ذلك . وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم . فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم وليست ممايرجع إلى الأحكام فتحرى في الصحة التي يجب بها العمل ، وتساهل المفسرون في مثل ذلك ، وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات ، وأصلها كماقلنا عن أهل التوراة ، الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ماينقلونه من ذلك ، إلا أنهم بعد صيتهم وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة فتلقيت بالقبول من يومئذ " .(١)

أمثلة للإسرائيليات المردودة :

قد سبق لنا أن كتب التفسير مليئة بالإسرائيليات ، ولا يمكن حصرها في مثل هذه الفقرة ، لذلك كان لزاما على أن أذكر بعضا منها فحسب .

المثال الأول : جاء في تفسير ابن جرير الطبري عند تفسير قوله تعالى :

﴿ قال رب أنى يكون لي غلام ، وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ﴾ .(٢)

قال حدثني عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي قال : نادى جبريل زكريا إن الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ، فلما سمع

---

(١) مقدمة بن الخلدون ١/٣٣٩ .

(٢) سورة مريم : ٨ .

النداء جاءه الشيطان فقال يازكريا إن الصوت الذى سمعت ليس من الله إنما هو من الشيطان يسخر بك ، ولو كان من الله أوحاه إليك كما يوحى إليك غيره من الأمر ، فشك وقال (أنى يكون لى غلام) (١) .

فمضمون هذه الرواية يفيد أن الشيطان قد استطاع التأثير على زكريا عليه السلام ، وهذا مخالف لصفة العصمة التى يجب عقلا وشرعا أن يتصف بها الأنبياء عليهم السلام ، فما ذكر هنا فى حق زكريا عليه السلام باطل لا أصل له ، لأنه لا يجوز للنبى أن يشك فيما يوحى به إليه ، وإلا فقدت الثقة به وبما يدعيه وحيا .

المثال الثانى :

جاء فى تفسير ابن جرير أيضا عند قوله تعالى (ويصنع الفلك ، وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ، قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون) (٢) مايلى :

قال ابن جرير: حدثنا الحسين قال حدثنا حجاج عن مفضل بن فضالة عن على بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال الحواريون لعيسى ابن مريم لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة فحدثنا عنها قال : فانطلق بهم حتى انتهى بهم إلى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب بكفه . قال أتدرون ماهذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب حام بن نوح ، قال فضرب الكثيب بعصاه ، قال : قم بإذن الله ، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب ، قال له عيسى هكذا

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٥٠ .

(٢) هود : ٣٨ .

هلكت ؟ قال : لا ، ولكن متّ وأنا شاب ، ولكنى ظننت أنها الساعة ، فمن ثم شبت . قال : حدثنا عن سفينة نوح ، قال : كان طولها ألف ذراع ومائتى ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات ، فطبقة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الإنس ، وطبقة فيها الطير ، فلما كثر أرواث الدواب أوحى الله إلى نوح : أن أغمز ذنب الفيل ، فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيره فأقبلا على الروث ، فلما وقع الفأر بحبل السفينة يقرضه أوحى الله إلى نوح أن أضرب بين عينيي الأسد ، فخرج من منخره سنور وسنورة ، فأقبلا على الفأر ، فقال له عيسى : كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت ، قال بعث غرابا يأتيه بالخبر فوجد جيفة ، فوقع عليها فدعا عليه بالخوف ، فلذلك لا يألف البيوت ، قال ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجلها فعلم أن البلاد قد غرقت . قال فطوقها الخضرة التى فى عنقها ودعا لها أن تكون فى أنس وأمان ، فمن ثم تألف البيوت . قال : فقلنا يارسول الله ألا ننطلق به إلى أهلينا فيجلس معنا ويحدثنا ؟ قال كيف يتبعكم من لا رزق له ؟ قال فقال له عد بإذن الله قال فعاد ترابا (١) " .

فهذه القصة من القصص الإسرائيلية المصنوعة ظاهرة الكذب ولا أصل لها من الصحة ، وذلك للأدلة الآتية :

أولا : أن هذه القصة تثبت عدم وجود الخنازير والقطط فى ذلك الوقت وأنهما لم يخلقا بعد ، وهذا فيه نظر ، ولا نرى له أصلا ، لا فى العهد القديم ولا فى القرآن ، فالعهد القديم يثبت أنه مامن نوع من أنواع المخلوقات إلا وحمل فى هذه السفينة (٢) .

---

(١) جامع البيان ١٢/ ٣٥ - ٣٦ .

(٢) انظر العهد القديم تكوين الإصحاح ١٩ - ٢١ .

وظاهر الآية فى قوله تعالى : (قلنا احمل فيها من كلٍ زوجين اثنين) (١) يدل على أن الله سبحانه وتعالى أمر نوحا أن يحمل فيها من كل نوع من الأحياء أو الحيوانات زوجين اثنين ، ذكر وأنثى ، لأجل أن تبقى بعد غرق سائر الأحياء ، فتتناسل ويبقى نوعها على الأرض .

ثانيا : أخرج الإمام أحمد فى الزهد وأبو الشيخ عن وهب بن منبه قال : لما أمر نوح عليه السلام أن يحمل من كل زوجين اثنين ، قال كيف أصنع بالأسد والبقرة ؟ وكيف أصنع بالعناق والذئب ؟ وكيف أصنع بالحمامة والهر قال : من ألقى بينهم العداوة ؟ قال أنت يارب ؟ قال فإنى أألف بينهم حتى لا يتضاروا " . (٢)

فهذه الرواية توضح وتؤكد وجود الهر ، وأنها كانت مخلوقة فى ذلك الوقت ، ومعروفة لدى نوح عليه السلام بينما نرى هذه القصة تروى خلاف ذلك ، والله أعلم .

ثالثا : إسناد الحديث ضعيف لأن فيه مفضل بن فضالة وهو ضعيف وكذلك على بن زيد بن جدعان فيه ضعف ، وفيه انقطاع بين الحسن وحجاج لأن الحسن ليس من الذين رووا عن حجاج بن محمد الأعور . (٣)

المثال الثالث

ذكر القرطبى عند تفسير قوله تعالى : (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم) (٤) خبرا عن كعب الأحبار وقال : لما خلق الله

---

(١) هود : ٤٠ .
(٢) الدرر المنثور فى التفسير المأثور للإمام السيوطى ٤ / ٤٢٤ .
(٣) انظر تهذيب التهذيب لابن حجر وميزان الاعتدال ولسان الميزان .
(٤) غافر الآيه : ٧ .

تعالى العرش قال : لن يخلق الله خلقا أعظم منى ، فاهتز ، فطوقه الله بحية ، للحية سبعون ألف جناح ، فى الجناح سبعون ألف ريشة ، وفى كل ريشة سبعون ألف وجه ، وفى كل وجه سبعون ألف فم ، وفى كل فم سبعون ألف لسان ، يخرج من أفواهها فى كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر ، وعدد ورق الشجر ، وعدد الحصى والثرى ، وعدد أيام الدنيا وعدد الملائكة أجمعين ، فالتوت الحية بالعرش ، فالعرش إلى نصف الحية وهى ملتوية عليه».

ثم قال :«إن حملة العرش أرجلهم فى الأرض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش»(١) إن هذه القصة مصنوعة لا يصح إدخالها فى التفسير ، وهى من الإسرائيليات الدخيلة ، ودليل كونها مصنوعة مايلى :

١ - عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :«سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل (وسع كرسيه السموات والأرض)(٢) : قال : كرسيه موضع قدميه ، والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل»(٣).

وعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه ، أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الكرسى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "والذى نفسى بيده مالسموات السبع والأرضون السبع عند الكرسى إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وإن فضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة"(٤).

---

(١) تفسير القرطبى ١٥/٢٩٤.

(٢) البقرة : ٢٥٥.

(٣) مختصر ابن كثير ١/٢٣١.

(٤) المصدر السابق ١/٢٣١.

فهذان الأثران يدلان على أن العرش أعظم مخلوقات الله تعالى وليس في المخلوقات أعظم منه بينما تثبت رواية كعب الأحبار ذى الأصل اليهودى خلاف ذلك .

٢ - لدينا آية تشير إلى عظمة العرش ومجده وقوله تعالى : (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) (١) وهذه إشارة على أن العرش مخلوق عظيم .

٣ - وقد تمدح الله سبحانه وتعالى بأنه (ذو العرش المجيد) (٢) وأنه (رفيع الدرجات ذو العرش) (٣) . وهذا دليل على عظمة العرش وأنه أكبر من جميع المخلوقات .

٤ - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه عند الكرب (٤) "لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم" رواه مسلم .

٥ - بل لقد جاء فى مسند الإمام أحمد مايدل على أن العرش الذى تحيطه الحية هو عرش إبليس اللعين ، ليس هو عرش الرحمن .

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن صائد ماترى ؟ قال : أرى عرشا على البحر حوله الحيات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يرى عرش إبليس" وفى رواية قال : "ذاك عرش إبليس" (٥) .

---

(١) النمل : ٢٦ .

(٢) بروج : ١٥ .

(٣) غافر : ١٥ .

(٤) فى كتاب الذكر : ٧٩ .

(٥) المسند ٣/٦٦ .

المثال الرابع :

ماجاء فى تفسير ابن جرير الطبرى عند قوله تعالى : (ولقد فتنّا سليمان وألقينا على كرسيّه جسدا ثم أناب) (١) . نقل ابن جرير عن مجاهد قوله (على كرسيه جسدا) أنه قال : شيطانا ، يقال له صخرة ، فقال له سليمان كيف تفتنون الناس ؟ قال : أرنى خاتمك أخبرك ، فلما أعطاه إياه نبذه صخرة فى البحر فصاح سليمان وذهب ملكه ، وقعد صخرة على كرسيه ، ومنعه الله من نساء سليمان فلم يقربهن وأنكرنه ، قال فكان سليمان يستطعم فيقول : أتعرفونى أطعمونى ، أنا سليمان ، فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوما حوتا يطيب بطنه ، فوجد خاتمه فى بطنه فرجع إليه ملكه وفر صخرة فدخل البحر فارا " (٢) .

هذه القصة واضحة كل الوضوح أنها كذب وافتراء انتقلت إلى كتب التفسير عندنا من الإسرائيليات إذ من غير الجائز شرعا أن يمكن الله شيطانا من التسلط على نبيه سليمان وعلى ملكه فيتحكم فيه كيف شاء أربعين يوما ، ومن غير الجائز شرعا أن يلقى الله شبه سليمان عليه السلام على شيطان ، فيلبّس على الناس أمر دينهم ، ثم أنى يكون للشيطان سلطان على قلب أنبياء الله ، والله يقول فى كتابه الكريم : (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين) (٣) .

فكيف نقبل هذه القصة مع أنها تثبت أن الشيطان صار قاضيا بينهم بدل سليمان ، وأن بنى إسرائيل كانوا ينكرون منه أشياء ، حتى قالوا : " لقد

---

(١) ص الآية ٣٤ .
(٢) جامع البيان ٢٣/١٠١ .
(٣) الحجر : ٤٢ .

فتن نبى الله ، وحتى قال بعضهم لهذا الشيطان يانبى الله وهو لا يرى الا أنه نبى الله ، أحدنا تصيبه جنابة فى الليلة الباردة فيدع الغسل عمدا حتى تطلع الشمس أترى عليه بأسا قال لا " (١) .

وهذا كله يخالف عصمة الرسل ، وعصمة بياناتهم عن أن تكون عرضة للكذب عن الله مع وجودهم .

لقد تقدم لنا أن اليهود لا يعتقدون عصمة الأنبياء من الذنوب فهم عندهم كسائر الناس فى ارتكاب المحرمات والمعاصى والذنوب بل يتجاوزون الحد من ذلك ، فيجعلون من الأنبياء أبطالا للجريمة وقادة للفجور والدعارة ، وارتكاب أعظم الآثام ، فهل بعد هذا يجوز لنا أن ننقل شيئا منهم وندخله فى كتبنا وخاصة فى تفسير كلام الله عز وجل ؟ :

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ٢٣/ ١٠١ .

من آثار الإسرائيليات :

لا شك فى أن للإسرائيليات آثارا سيئة أضرت بالمسلمين بما حوته من خرافات وأباطيل ، ولا فضائها إلى نتائج خطيرة ، فمن ذلك .

١ - أنها تفسد على المسلمين عقائدهم بما فيها من نفى العصمة عن المرسلين والأنبياء - كما سبق بيان ذلك - وتصويرهم فى صورة من استبدت بهم شهواتهم ، ودفعتهم ملذاتهم ونزواتهم إلى قبائح وفضائح لا تليق بإنسان عادى فضلا عن أن يكون نبيا .

٢ - تصور الإسرائيليات الإسلام فى صورة دين خرافى يعنى بترهات وأباطيل لا أصل لها مثل ما يروى فى صفة آدم عليه السلام من أن رأسه كان يبلغ السحاب ويحاكيها ، فاعتراه لذلك صلع ، ولما هبط على الأرض بكى على الجنة حتى بلغت دموعه بحرا وجرت فيها السفن وما يروى فى شأن داود عليه السلام من أنه سجد لله تعالى أربعين ليلة ، وبكى حتى نبت العشب من دموع عينيه ثم زفر زفرة هاج لها ذلك النبات (١) .

٣ - إنها كادت تصرف الناس عن الغرض الذى أنزل القرآن من أجله وتلهيهم عن تدبر آياته ، والانتفاع بعبره وعظاته ، والبحث عن أحكامه وحكمه فكانت هذه الإسرائيليات عقبات وأشواكا فى طريق التقدم الفكرى الإسلامى ، لأنها كانت تشغل علماء المسلمين بتخلية الطريق منها فكان همهم جهابذتهم أن يقفوا منبهين على خطرها ، ومحذرين من ضلالها .

---

(١) انظر الإسرائيليات فى التفسير والحديث محمد حسين الذهبى ص ٤٨ - ٥٦ .

ووصف بعض الباحثين هذه الظاهرة (إدخال الاسرائيليات في التفسير) بأنها ليست إلا حربا حقيقة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أراد أعداء الإسلام بها صوف كل من يقرأ تفسيرا من التفاسير عما يريده الله في كتابه من هداية البشرية إلى حكايات وأعاجيب وأساطير تستهوى البسطاء ، ثم تتراكم هذه الأساطير وتعترض حركة الافهام السليمة .(١)

وأقول : قد يكون هذا فعلا غرض الذين دسوا هذه الأساطير وهذه الإسرائيليات ، ولكن كثيرا من علماء المسلمين الموثوقه بهم أدخلوها في تفاسيرهم غير محترسين ، لأنهم ماكانوا يرون فيها الخطر الكبير الذى أصبحنا الآن نراه ، بعد ظهور الانحرافات الفكرية الخطيرة ، وتوجيه المطاعن على الإسلام من خلالها .

٤ - أنها كادت تذهب بالثقة في بعض علماء السلف من الصحابة والتابعين فقد أسند من هذه الإسرائيليات المنكرة شئ ليس بالقليل إلى نفر من سلفنا الصالح الذين عرفوا بالثقة والعدالة ، واشتهروا بين المسلمين بالتفسير والحديث وأخذت أقوالهم وأراؤهم بالتسليم من قبل جمهور المسلمين ، حتى كأنها إحدى مصادر الفهم الصحيح لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ونجم عن ذلك أنهم اتهموا من أجل نسبة هذه الإسرائيليات إليهم بأبشع الاتهامات ، وعدهم بعض المستشرقين ومن مشى في ركابهم من المسلمين مدسوسين على الإسلام وأهله ومن أكثر هؤلاء السلف نيلا منه وتحاملا عليه أبو هريرة رضى الله عنه وعبد الله

---

(١) الإسلام والدعوات الهدامة أنور الجندى ص ٢٣٦ .

بن سلام وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم أجمعين ممن لهم قدم راسخة فى الإسلام (١) .

يقول الدكتور محمد حسين الذهبى : " ولقد كان لهذه الإسرائيليات التى أخذها المفسرون عن أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثر سوء فى التفسير ، ذلك لأن الأمر لم يقف على ماكان عليه فى عهد الصحابة بل زادوا على ذلك ، فرووا كل ماقيل لهم إن صدقا وإن كذبا ، بل ودخل فى هذا النوع من التفسير كثير من القصص الخيالى المخترع ، مماجعل الناظر فى كتب التفسير التى هذا شأنها يكاد لا يقبل شيئا مماجاء فيها لاعتقاده أن الكل من واد واحد . وفى الحق أن المكثرين من هذه الإسرائيليات وضعوا الشكوك فى طريق المشتغلين بالتفسير ، وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب مارووه من قصص مكذوب وأخبار لا تصح ، كما أن نسبة هذه الإسرائيليات التى لا يكاد يصح شىء منها إلى بعض من آمن من أهل الكتاب " (٢) .

هذه هى بعض جوانب الخطورة على عقائد المسلمين وقدسية الإسلام من رواية الإسرائيليات ، ولا زالت اليهودية تبذل جهودا عظيمة لافساد عقائد المسلمين وإضعاف ثقتهم بمقدساتهم من القرآن والسنة النبوية ، ومايتصل بهما . وآخر مرة تقوم فيها اليهود بمحاولة تحريف القرآن الكريم ماكشفته مجلة المجتمع فى ٢٨ ربيع الآخر ١٤٠٤ هـ العدد ٦٥٦ تحت عنوان " طبعة مزورة للقرآن " .

---

(١) انظر الإسرائيليات فى التفسير والحديث ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢) التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبى ١/ ١٧٨ - ١٧٩ .

قالت : صرح رئيس لجنة الشئون الدينية فى ماليزيا السيد داتوك بأن الرابطة الإسلامية فى ماليزيا أصدرت منشورا جاء فيه : أن إسرائيل طبعت نصف مليون نسخة من القرآن الكريم ، لا تتضمن الآيات المتعلقة بعناد ومكابرة بنى إسرائيل ، وأوضح المسئول الماليزى أن تركيا وباكستان وماليزيا تلقت كل منها خمسين ألف نسخة من هذه الطبعة المزورة للقرآن وأضاف أن السلطات الدينية والمسئولين فى المساجد سيساعدون فى عملية إيجاد هذه النسخ لسحبها من الأسواق ، وطلب السيد داتوك من المسلمين فحص كل نسخة حديثه للقرآن الكريم للتأكد من أنها لم تطبع فى إسرائيل .

الفقرة الثانية : تخلف المسلمين عن موكب الحياة نتيجة لتلك المحاولات

إن الاسلام لما جاء أضاء نوره أرجاء العالم ، ومد سلطانه فيه و تعرض للدولتين العظيمتين ، فقضى على دولة الفرس فى الشرق ، وقصم ظهر الروم فى الغرب فى أقل من نصف قرن ، ولم يمض قرن واحد على البعثة حتى كانت راية الإسلام ترفرف فى أهم بقاع الدنيا يومذاك ، وأصبح العالم الإسلامى أكبر المعسكرات وأقواها فى الأرض . وأخذ المسلمون يشيدون صرح دولتهم ، ويحملون شعار الإسلام إلى من جاورهم من الشعوب .

ثم مضت القرون وخلف من بعد ذلك خلف ، وجاءت أجيال ، ضعفت فى نفوسهم جذوة العقيدة ، وماتت روح الجهاد ، وبهرتهم مظاهر الترف ، وملكت قلوبهم زهرة الحياة الدنيا ـ وكل ذلك ـ بتأثيرات الأعداء ـ فضعفوا ، وأطمع ذلك فيهم الأعداء الحاقدين بعد ماكانوا يهابونهم ويرهبونهم . وقد استغل الأعداء غفلة عامة المسلمين وضعفهم فى معرفة حقيقة دينهم ، وخطورة كيد أعدائهم ، فتسللوا إلى بلدانهم ، وانسدوا ـ

بين جماهيرهم ، وكان من آثار ذلك أن فتن كثير من المسلمين فى دينهم وتفرقوا إلى دويلات حقيرة متناحرة متنازعة ، واغتصب أعداؤهم بلادهم وقتلوا أبناءها وهم فى عقر ديارهم ، وفى قلب العالم الإسلامى وبمرأى المسلمين وسمعهم .

ونحن نرى العالم الإسلامى اليوم وقد انتشرت بين كثير من أبنائه العقائد الباطلة ، والنظم الدخيلة ، والعادات والأخلاق الغريبة عن روح الإسلام ، وبذلك ضعف المسلمون ، وتفككت عرى الإسلام ، واستطاع الأعداء أن يحكموا كثيرا من دياره .

لقد حاول اليهود أن يفعلوا بالمسلمين والإسلام مثل ماكانوا قد فعلوا بالنصرانية ، حيث جعلوا الدين الكنسى دينا مقصورا على جدرانها وحيطانها ، لا علاقة له بالحياة ، بل هو فقط علاقة بين الإنسان وربه أما بين العباد فلا ، لا فى تدبير شئونهم ولا فى معاملاتهم ، وقد عملوا جهدهم لفصل الدين عن الدولة والسياسية عن الحكم ، وقاموا بإشاعة هذه المفاهيم فى العالم الإسلامى ، كما أشاعوها قبل ذلك فى العالم النصرانى وآمن بهذه الأفكار قوم من أبناء المسلمين ومن مقلدى اليهود ومن تلامذتهم .

ألا يدرى هؤلاء أن الإسلام دين الخالق ، وهو دين جامع كامل شامل دين مسجد وبرلمان فى الوقت نفسه ، ودين المسلمين ودين الإنسانية على السواء ، يجمع بين خيرات الدنيا والدين ، وحسنات الآخرة والأولى ودين يعالج أمور دينهم كما يعالج شئون دنياهم ، ومع هذا كله ومع معرفتهم بذلك قاموا بمحاولة إخراج الإسلام من هذه المفاهيم إلى مفاهيم أخرى وجعلوه دين مسجد وتزكية للنفس بالتسبيح فحسب ، وليس له مجال فى حياة

الناس ، وفى معاملاتهم ، ثم أخذ هذا المفهوم الخاطئ بعض من ينتسب إلى الإسلام بحسن نية أو بغيرها ، فجعلوه قاعدة ينطلقون منها ويلتزمون بها . نعم لقد حذرنا الله سبحانه وتعالى عن أن نطيع طائفة من أهل الكتاب الذين يحسدون المؤمنين على ماأتاهم الله من فضله فقال تعالى :

(ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين) (١) .

وقال تعالى : (ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ، بل الله مولاكم وهو خير الناصرين) (٢) .

نعم هكذا يتمنى أهل الكتاب أو فريق منهم يتمنى أن نصير كفارا بعد أن أمنا بالله حق الإيمان حسدا من عند أنفسهم لنا ، حملتهم عليه أنفسهم الخبيثة ، وهل نطيعهم بعد هذا ؟

إن الدسائس اليهودية وتأثيراتهم الخبيئة ، جعلت عقيدة المسلمين تغيب عن حياتهم ، وجعلتهم يفقدون معانى العزة والكرامة ويتجرعون كؤس الهزيمة والذلة . وقد تلاشت دفعة العقيدة ودفعة الإيمان من قلوبهم وصدورهم ، وهذا ماجهد للوصول إليه أعداء الإسلام ، منذ قرون وقرون .

(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) (٣) .

إن اليهود لم يستطيعوا أن يغيروا الإسلام بذاته ، ولكنهم استطاعوا أن يضعوا على مفاهيمه غبارا لا تنكشف إلا للخاصة .

---

(١) آل عمران : ١٠٠ .

(٢) آل عمران : ١٤٩ — ١٥٠

(٣) هود : ١١٣ .

لقد كان اليهود يدركون - باعتبارهم أنهم أهل الكتاب - أنه متى طمسوا المفاهيم الإسلامية ووضعوا بدلها مفاهيم غير صحيحة ، وغابت المعالم الإسلامية الصافية من نفوس المسلمين ، غاب معها كل أسباب مجد المسلمين وعزّتهم ، ولهذا عملوا جاهدين وفق مخططاتهم المدروسة لبلبة العقيدة الإسلامية من النفوس ، فكان لهم ماأرادوا ، ونجحوا فيما هدفوا إليه من زحزحة الإسلام عن ميدانه الفسيح وحجزه في زوايا المساجد ، حتى أصبح معظم القادة والزعماء في العالم الإسلامي ومعهم بعض المخدوعين من الناس يستحيون من ذكر الله وذكر الإسلام في مؤتمراتهم وحفلاتهم العامة ويعملون جاهدين على إبعاد اسم الإسلام من كل ميدان في الحياة .

لقد كان الأعداء يدركون حقيقة هذه الأمة ، وحقيقة عقيدتها ودعوتها - يدركون أن هذه الأمة هي خير أمة أخرجت للناس - لذلك لم يكونوا يحاربونها في الميدان بالسيف والرمح ، فحسب ، إنما كانوا يحاربونها أولا في عقيدتها كانوا يحاربونها بالدس والتشكيك ونشر الشبهات وتدبير المكايد والمؤامرات كانوا يعمدون أولا إلى عقيدتها الإيمانية التي منها انبثق كيانها ، ومنها قام وجودها ، فيعملون فيها معاول الهدم ، ذلك أنهم كانوا يدركون - كما يدركون اليوم تماما - أن هذه الأمة لا تؤتى إلا من هذا المدخل ، ولا تهين إلا إذا وهنت عقيدتها ، ولا تهزم إلا إن هزمت روحها ، ولا يبلغ أعداؤها منها شيئا وهي ممسكة بعروة الإيمان مرتكنة إلى ركنه سائرة على نهجه ، حاملة لرايته متمثلة لحزبه ، منتسبة إليه ، معتزة بهذا النسب وحده " (١) .

---

(١) انظر معركتنا مع اليهود سيد قطب ص ٤٣ .

ولم يقم الأعداء بهذه المؤامرات على الإسلام وحدهم إنما كان هناك فريق منافق من بين صفوف المسلمين اشترك معهم فى هدم الإسلام والعقيدة الإسلامية فى عقر ديارنا وهم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ومع ذلك نجدهم ينبذون وراء ظهورهم مصادر الثقافة الإسلامية ، وهى القرآن والسنة المطهرة ، والتاريخ الإسلامى ، ويولون وجوههم وأفئدتهم قبل المصادر الغربية لحضارة الإسلام ، ويدرسونها ، ويصدقونها ويتأثرون بها ثم يدعون بدعوتها ويفترون افتراءها ، وينادون بالغاء كل المقومات الإسلامية ، والمقومات الأساسية لهذه الأمة ، فقد نادى هؤلاء المجندون بتغيير الأفكار والنزعات والاتجاهات فى الأمة الإسلامية ، ونادوا بتطوير كل شئ فى حياة الأمة ، وهم يعيشون فى وسطها ويلبسون لباسها وهم ليسوا منها ، ويتسمون بأسمائها ، وهم براء منها ، حيث إنهم يعطون فى البلاد الإسلامية لغير أهداف المسلمين ، وهؤلاء هم الذين يقومون بشئون الخدمة الاجتماعية ، وتنظيم الحياة الإسلامية فى شتى جوانبها (١) .

وقد يؤدى هؤلاء العبادات كاملة أو منقوصة باعتقاد أن ذلك هو وحده الدين. أما المعاملات ونظم الحياة ، وتنظيمات المجتمع ، فيجب تحويلها : إلى نظم غريبة عن الإسلام ، وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجود مثل هؤلاء فى هذه الأمة فى الحديث الصحيح ، يقول حذيفة بن اليمان رضى الله عنه : كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى . فقلت : يارسول ، إنا كنا فى جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير شر ؟

---

(١) انظر الإستشراق والمستشرقون د / مصطفى السباعى ص ٢٠ - ٢٢ .

قال " نعم " فقلت هل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال " نعم " وفيه دخن " .
قلت : وما دخنه ؟ قال : " قوم يستنون بغير سنتي ، ويهدون بغير هدى تعرف منهم وتنكر " . فقلت : هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : " نعم " دعاة على أبواب جهنم من آجابهم إليها قذفوه فيها " قلت يارسول الله صفهم لنا ، قال " نعم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا " قلت يارسول الله فماترى إن أدركني ذلك ؟ قال : " تلزم جماعة المسلمين وإمامهم " فقلت فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام ، قال : " فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك " (١) . متفق عليه .

نعم لقد قام هؤلاء القوم بدور خطير ربما أخطر مما قام به اليهود أنفسهم ، ذلك أنهم يعرفون دقائق الأمور التي لا يستطيعها إلا من كانت له صلة وثيقة بالمسلمين ، يعلم خفاياهم ، فكان هؤلاء أدلة على المسلمين للأعداء ، فشككوا المسلمين في عقيدتهم وفي دينهم ، وألقوا الوهن والرعب من الأعداء ، فهانت كرامتهم وضعفت نفوسهم وقوتهم ، فأصبحوا يذبحون كما تذبح الشاة وهي في حظيرتها من غير أن يكون لها منتقم أو من يغضب لأجلها منكرا الاعتداء عليها .

وبهذا المعنى حدد النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه وهو يشير الى داء الأمة مستقبلا : فقال عليه الصلاة والسلام " يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها ، قالوا يارسول الله أمن قلة بنا يومئذ ؟ قال أنتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل

---

(١) البخاري المناقب ٢٥ . ومسلم كتاب الإمارة ٥١ .

ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل فى قلوبكم الوهن ، قالوا : وما الوهن قال حب الحياة وكراهية الموت ". رواه أحمد وأبوداود .(١)

وصار المسلمون اليوم من جراء تلك التأثيرات ضعفاء فى كل شئ ضعفاء فى عقيدتهم ، ضعفاء فى علمهم ، ضعفاء فى سلوكهم ، وأخلاقهم ضعفاء فى صناعتهم وفى سياستهم ، ليس لهم كلمة تسمع فى المحافل الدولية ولا فى المنظمات العالمية ، فقدوا الثقة بأنفسهم ، وأصابهم انهزام داخلى فصارت الأمة إلا من رحم الله منها لا تثق بالله عز وجل ولا بنفسها فى حل مشاكلها الداخلية والخارجية ، وأصبحت إذا مانزلت بها نازلة ولو كانت بسيطة تلجأ إلى غير الله وتعوذ به ، تلجأ إلى مقر الأمم المتحدة بدل أن ترجع إلى خالق الأمم المتحدة وتطلب العون منه .

يقول بعض الكتاب : "إن العالم فى تغير وارتقاء ، مستمر - ولكن المسلمين لا يزالون متقهقرين أشواطا بعيدة ، وقال الشيخ على يوسف منشى أهم جريدة إسلامية فى خطاب ألقاه على جمهور عظيم : إن المسيحيين قد سبقونا فى كل شئ فالمسلمون ليس لديهم بواخر فى البحر وهم غير منتبهين لموقفهم ، ومجهوداتهم متشتة ، وكل مايفعلونه أنهم يمشون وراء مرشديهم ولكنه بغير اهتمام ذاتى ، لإدراك الأمم التى سبقتهم".(٢)

والواقع لم تكن صفات هذه الأمة على هذا الشكل عندما كانت تؤمن بخيريتها ، وعندما كانت تستعلى بإيمانها ، وكانت ترى وجودا لذاتها

---

(١) مسند أحمد ٢٧٨/٥ ، أبوداود وسننه كتاب الملاحم ٥ ، وركعت عشر .

(٢) الغارة على العالم الإسلامى ص٥٧ .

وحياة مستقلة غير مرتبطة بالآخرين ، ولكنها لما انحرفت عن الجادة أصبحت لا تثق بنفسها ولا بذاتها القديم ، فضعفت ثقتها بمبادئها السامية فظلت تشك في كل مابأيديها من قيم وأخلاق وعقيدة ومثل عليا ، وبذلك سهل على الأعداء تشديد وطأتهم عليها ونشر ثقافتهم الحضارية بين هذه الأمة حتى صارت مثل العبيد لهم ، ووهنت روح الإخاء بين المسلمين ، في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات .

ولا شك في أن القوميات التي أثيرت في داخل المجتمعات الإسلامية كانت من أعمال اليهود أيضا وهي التي أثارت النعرات القبلية والحمية الجاهلية في صفوف المسلمين سواء في العصور القديمة أو الحديثة وأوجدت النفور بين قلوب المسلمين ، وفكت الوحدة الإسلامية ، وزرعت الخلافات بين الشعوب الإسلامية ، وعملت جاهدة لمنع اجتماع شمل المسلمين ووحدة كلمتهم بكل مافي أذهانها من قدرات على تحريف الحقائق حتى لا يتفاهموا على الحق والخير (١) .

وكان لهم دور فعال في فساد الحكام وتنازعهم في الزعامة وفساد الحكم وتطبيق قانون الغابة على المسلمين بعضهم مع بعض فلم يفرق الحكام بين حكم إسلامي يستمد أصوله من الكتاب والسنة ، وبين حكم الغلبة والقهر ، وتصارع الزعماء على حصوله ، وعلى الدنيا ، وأحلوا قومهم دار البوار ، حيث ترتب من ذلك بأن تولى الغلمان الذين لا يدركون شيئا عن الحكم ، فأفسدوا السياسة وشؤون الحكم بالنظريات التي وضعوها وروجوها ، فأخذ بها

---

(١) انظر الإستشراق والمستشرقون ص ٢٦ - ٣٠ .

الغرب أولا ثم انتقلت إلى بلاد المسلمين عن طريق الاستعمار .

لقد كان للمكايد اليهودية تأثيرات كثيرة أدت إلى حصول الاضطرابات والثورات فى العالم الإسلامى ، الأمر الذى أدى إلى خسائر فى الأرواح البريئة . وإلى تشريد عدد غير يسير من أبناء المسلمين إلى عالم غير إسلامى ، وضياع كثير من أموال المسلمين ، وتخريب عدد كبير من البيوت.

وهى مسببة للقلاقل الخطيرة الناجمة عن هذه المصائب فى العالم الإسلامى وهى التى كانت ولا تزال حجر عثرة فى سبيل اتحاد البلاد الإسلامية بعد تقسيمها إلى دويلات متناحرة ، وهو الأمر الذى تتوقف عليه حياة الأمة الإسلامية ومصلحتها . (١)

وكان للمكايد اليهودية دور خطير فى تقويض الخلافة الإسلامية وتجزئتها إلى دويلات ، ومساعدة الاستعمار على تحقيق منافع مادية تتهيأ له من الميراث الضخم الذى خلفته وراءها دون أن يكون له قوة من أبناء البلاد تحرسه ، وهذه تعتبر أهم أو أكبر نكسة أصابت الأمة الإسلامية على أيدى اليهود ، حيث قدموا للمستعمرين غنيمة باردة ليظفروا منهم بمصالح ذات قيمة كبيرة لهم فى عواصم الدول الاستعمارية وذات غايات بعيدة فى برنامج اليهود طويل الأمد ، ولكى يظفروا أيضا من الدول الاستعمارية بسند مادى يمكنهم من دخول فلسطين واحتلالها بوسائل المكر والحيلة والخداع . (٢)

---

(١) انظر الخطر الصهيونى د / محمد فاضل الحجال ص ٥١ - ٥٢ .

(٢) انظر مكايد يهودية عبر التاريخ للأستاذ عبد الرحمن حسن الميدانى ص ٢٩٥ .

وسقوط الخلافة ، كانت من كبريات المصائب التى مزقت الأمة الإسلامية ووحدتها ، والتى كانت تجمع آمال المسلمين وتساعدهم على التخلص من سيطرة الأعداء سواء أكانوا من اليهود أو من غيرهم ، فهى مهما بلغت فى أواخر أيامها من الضعف والبعد عن تطبيق الإسلام ، فلقد كانت تظل المسلمين وتجمع شملهم ، وترهب عدوهم وعدو الله .

يقول الشيخ أبو الحسن الندوى ، وهو يصف ماكانت تقوم به الدولة العثمانية مع ضعفها الشديد ، ومآخذها الكثيرة "لا شك أنها كانت - على علاتها الأخيرة - حصنا منيعا للإسلام وسورا قويا واسعا للأقطار العربية الإسلامية الواقعة فى الشرق الأوسط ، بمافيها الحجاز ، وفلسطين ويمنع من تدخل القوى الأجنبية الغربية فى هذه البلاد وعبثها بها ، عبث اللاعب بكرة القدم ، واعتدائها على مقدساتها . وقد بقى الوضع على ذلك إلى عهد السلطان عبد الحميد خان ، رغم ماقيل عنه وأشيع ، فقد أخفقت كل محاولات مسيحية ، وكل مؤامرة يهودية ضد المقدسات الإسلامية فى عهده ، حتى نشبت الحرب الكونية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) واستطاع الحلفاء أن يضموا العرب إلى معسكرهم ويثيروهم على الأتراك ، ونشأة فكرة القومية العربية ، وانفصلت الأقطار العربية عن الامبراطورية العثمانية وأصبحت دولا وإمارات كبيرة وصغيرة ، وعاشت تحت الانتداب مدة طويلة ثم استقلت ، لم تبق يد قوية تحميها ، ولا سطوة عالمية تخشى وترهب وقامت إسرائيل فى حضانة القوى الأوربية الكبرى ، وحمايتها فى قلب العالم العربى ، واستطاعت أخيرا (فى حزيران ١٩٦٧م) أن تستولى على الضفة الغربية ، وشبه جزيرة سيناء ، وأن تمتلك القدس الشريف لأول مرة فى التاريخ

والعالم العربى لا يملك دفعا ولا منعا ، ويردد المثل العربى القديم "إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض" وقد كانت نهاية الامبراطورية - وخاصة فى الشرق أكبر انتصار للصليبية الأوربية واليهودية العالمية" (١) .

قد كان يهود الدونمة يقيمون فى تركيا زاعمين أنهم مسلمون ، وقد اختلطوا بالمسلمين حيث دخلوا فى الحكومة ، وحصلوا على مراكز عالية وممتازة وخطيرة فى نفس الوقت ، إذ مكنتهم من تحطيم الخلافة العثمانية فى تركيا . وكان لنفوذ اليهود أكبر الأثر فى طرح تركيا دينها الإسلامى وشريعتها الإسلامية ، ومحاربة اللغة العربية -لغة القرآن - والتبرأ من صلاتها بالعرب ، وهم الذين دعوا إلى جامعة الطورانية لتتخلص من الإسلام (٢) .

وهكذا صرنا ، أمة مختلفة متحاربة ومتنازعة تحب الدنيا وتكره الموت ، تجد فى طلب الملذات والرغبة فى الراحة دون عمل ، ونيل المغنم القريب من غير مغرم يبذل ، وأمة طمست معالم دينها الحق وتركت تموج بعضها فى بعض ، فأصبحت أداة فى يد عدوها يستخدمها أعداؤها متى شاءوا ويرمونها أو يكسرونها إذا أحبوا ذلك فهى غثاء كغثاء السيل ....

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٧٢ .

(٢) انظر الخطر الصهيونى ، محمد الخليفة التونسى ص ٧٣ .

نصائح

~~ومص الخاتمة~~

العودة إلى العقيدة السليمة وأداء حقها هو سبيل النصر والتوفيق .

كان دور اليهود فى إفساد العقيدة الإلهية دورا بارزا وفعالا فى الديانة اليهودية ، والديانة النصرانية ، وكان دورا جزئيا فى إفساد عقيدة بعض المنتسبين إلى الإسلام ، وفى دس بعض المفاهيم التى كشفها علماء المسلمين وربما انخدع بها بعض عوامهم ، ومن لم يحرر المسائل ، أما دور اليهود فى إفساد البشرية عامة فمن المتعذر حصر كل عناصره ، ومما اطلعت عليه مما يتعلق بجوانب العقيدة أثبته فى هذه الرسالة ، ولا أستطيع أن أدعى بأنى تتبعت كل ماقام به اليهود من إفساد عقدى ، ولكنى أعتقد أن مااستعرضته فى هذه الرسالة من ذلك كاف لإيقاظ النفوس وتنبيه العقول ، وتوجيه العظة لمن يتعظ وتذكير من شاء أن يتذكر .

ويكفى هذا أن يدرك الغافلون والمفتونون والمنساقون بجهالة أنهم يدمرون أنفسهم أولا ، ثم يدمرون أمتهم ، ويخدمون أعداء أمتهم وهم يزعمون أنهم يخدمون أنفسهم وأمتهم ، فليعلموا أنهم يفسدون ولا يصلحون وهم لا يعلمون .

لقد سبق بيان أن السبب الذى جعل اليهود ينتصرون على المسلمين هى إنحراف المسلمين عن الصراط المستقيم فى عقيدتهم وعملهم وماهذا الانحطاط وهذا الانهزام إلا عقوبة أراد الله بها تأديب هذه الأمة وتهذيبها حتى ترجع إلى ربها وإلى دينها الحنيف ، خاضعة خاشعة ، تائبة توبة نصوحا ، وتصلح أعمالها وتطهر صفوفها من تغلغل الأعداء على أى شكل

كانوا ، وحتى نتذكر قوله تعالى :

(ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ، فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ....) (١) .

أسباب النصر :

إذا تتبعنا تاريخ هذه الأمة ، وتاريخ إنتصاراتها على أعدائها فإننا نجد أن انتصاراتها كانت ترتبط بأسباب معنوية ومادية فماكانت تأتى نتيجة عمل تلقائى ، إنما كانت ضمن أسس محدودة إن تحقق الإلتزام بها تحقق النصر ، وإن ابتعد المسلمون عنها أو تسرب خلل إلى تطبيقها والى أسسها كانت الهزيمة ، وليس يعنى هذا أن الله لم يحقق للمسلمين نصر بمعجزة ، بخرق العادات ، ولكنها ليست قاعدة تتبع ، وذلك مثل ماحصل للمسلمين فى غزوة بدر الكبرى فى السنة الثانية للهجرة ، لقد كان ذلك النصر بمعجزة ، لأن الذين خرجوا إلى بدر من المسلمين كان عددهم قليلا وكانت عدتهم أقل ، وهم لم يخرجوا للجهاد فى أول الأمر ، وإنما كان لملاحقة عير لقريش ، التى كانت قد فرضت على المسلمين فى مكة أزمة اقتصادية ، إذ أخذت منهم أموالهم .

قال ابن اسحاق : "ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبى سفيان بن حرب مقبلا من الشام فى عير لقريش عظيمة ، فيها أموال قريش وتجارة من تجاراتهم ، وفيها ثلاثون رجلا من قريش أو أربعون ، منهم

---

(١) المائدة : ٥٤ .

مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص ... فندب المسلمين إليهم ، وقال : هذه عير قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها فانتدب الناس ، فخف بعضهم ، وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا " (١) .

وهذا هو سبب خروجهم إلى بدر ، ولكن الله سبحانه وتعالى قدر ذلك ، ليقضى أمرا كان مفعولا . وكانت المعجزة :

(إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) (٢) .

(ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشركون . إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ، بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) (٣) .

(وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا) (٤) .

ولقد ناشد رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه قبيل المعركة فقال : " اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد " وأبو بكر كان يقول : يانبى الله بعض مناشدتك ربك ، فإن الله منجز ك ماوعدك " (٥) .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/١٨٢ .
(٢) الأنفال : ٩ .
(٣) آل عمران ١٢٣-١٢٥ .
(٤) الأنفال : ٤٤ .
(٥) سيرة ابن هشام ٢/١٩٦ .

فكانت تلك معجزة ، ليعلم المسلمون أن الله معهم حقا وصدقا ، وليكون النصر في بدر أول لقاء مسلح مع الكفر روحا معنوية دافعة لتثبيت أركان الأمة الإسلامية ، ولكي يدرك المسلمون أنفسهم أن للنصر أسبابا وليست المعجزة دائمة الوقوع ، وبخاصة عند تسرب خلل إلى المعالم الإسلامية التي سنها الله سبحانه وتعالى ، لذلك نرى في أحد أنه حدث خلاف ماوقع في بدر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين جند الإسلام ، حتى يعلم المسلمون إلى قيام الساعة أن النصر لا يأتي مع خرق قواعده ، فإذا كانت الهزيمة حدثت في أحد لأجل مخالفة أمر واحد من أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكيف بمن يخالفه صلى الله عليه وسلم في معظم أوامره ليل نهار ثم ماحدث في غزوة حنين يعطينا شاهدا آخر ، إذ وقعت الهزيمة في أول الأمر ، مع أن المسلمين لم يذنبوا ذنبا يذكر إذا ماقيس بما نحن عليه اليوم من المخالفات ، والوقوع في الآثام . وإنما كان الذي حدث منهم هو أنه دخل في نفوسهم أو نفوس بعض المسلمين المجاهدين العجب بكثرتهم إذ قالوا : لن نغلب اليوم من قلة (١) واعتبر هذا القول خطأ يسبب لهم الهزيمة ، ويفقدهم النصر المبين قال الله تعالى في كتابه الكريم :

(لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ، ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) (٢) .

فأراهم الله سبحانه وتعالى أن الكثرة لا تغني عنهم من الله شيئا ، وبين لهم أن النصر ليس بكثرة العدد والعدة ، ثم أكرم الله عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالثبات فثبته وحقق له النصر بعد ذلك .

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٤/ ٦٦ .

(٢) التوبة : ٢٥ .

وهكذا أى خلل أو أية هزيمة حدثت ووقعت على هذه الأمة وفى تاريخها الإسلامى كان سببه نتيجة خطأ طرأ على أسباب النصر التى ضمنها الإسلام فى قوله تعالى :

(قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، فإن تولوا فإنما عليه ماحمل وعليكم ماحملتم وإن تطيعوه تهتدوا وماعلى الرسول إلا البلاغ المبين . وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) (١) .

وهكذا وعد الله ، فهو ينجز وعده ، والله لا يخلف الميعاد ، ففى هذه الآيات وغيرها من الآيات الكريمات تصريح من الله عز وجل يوعد عباده بالنصر على أعدائهم والسلامة من كيدهم ، مهما كانت قوتهم وكثرتهم ، لأنه عز وجل أقوى من كل قوى وأعلم بعواقب الأمور وهو عليهم قدير وبأعمالهم محيط .

نعم فنصر الله معلق بشروط : الإيمان بالله تعالى وحده ونصر دينه والاستقامة عليه ، واتخاذ الأسباب الدينية والاجتماعية والكونية التى أمر الله باتخاذها ، مع الصبر والمصابرة ، فمتى حقق المسلمون هذه الشروط أوفى الله لهم الوعد ، والله لا يخلف الميعاد .

قال تعالى فى آيات أخر :

(وكان حقا علينا نصر المؤمنين) (٢) .

---

(١) النور : ٥٤ - ٥٥ .

(٢) الروم : ٤٧ .

وقال عز وجل :

(يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (١) .

وقال عز ذكره :

(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) (٢) .

وقال جل جلاله :

(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) (٣) .

وقال عز من قائل :

(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون) (٤) .

والله سبحانه وتعالى ، وصف نفسه بالقوة والعزة ، فبقوته خلق كل شئ فقدره تقديرا ، وبعزته يقهر كل شئ ، ولا يقهره قاهر ، ولا يغلبه غالب ، بل كل شئ ذليل لديه فقير إليه ، ومن كان القوى العزيز ناصره فهو المنصور وعدوه مقهور .

لقد كان المسلمون فى أول أمرهم مقهورين ومغلوبين ، ومطلوبين فصاروا بعد ما نصرهم الله عز وجل قاهرين غالبين ، وطالبين أعداءهم ، فصارت كلمة الله هى العليا ، ودينه هو الظاهر على سائر الأديان .

---

(١) محمد : ٧ .

(٢) الحج : ٤٠-٤١

(٣) غافر : ٥١ .

(٤) فصلت : ٣٠ .

ومن هذا نعلم أن النصر لا يأتى فقط بانتسابنا إلى الإسلام كما هو واقعنا اليوم ، بل إن النصر يأتى - كما سبق - مع الطاعة ومع التزام المسلمين بما تملى عليهم كلمة الإيمان ، وبما تحتويه كلمة الإسلام ، من معان ، ومن ذلك اتخاذ كامل الأسباب التى أمر الله باتخاذها ، فتأييد الله لهذه الأمة يأتى بقدر اتباعها لأوامره ، وبقدر تطبيقها لمنهجه تبارك وتعالى لأن حكمة الله قد اقتضت أن ينصر من ينصر دينه ، ويخذل من أعمته زخارف الدنيا عن حقيقة هذا الدين ، ونور هذا الإسلام (١) .

والمتتبع لتاريخ الدعوة الإسلامية والأمة التى حملت لواءها يرى النواميس الربانية قد جرت فى حياة المسلمين حقائق لا ريب فيها ، فيرى أوائل هذه الأمة جنت ثمار جهودها وصبرها فى الدنيا قبل الآخرة ، وأورثهم أرض الكفار من العرب والعجم ، فجعلهم أئمتها وساستها ، وأبدل خوفهم أمنا ، وطافوا فى الأرض آمنين مطمئنين ، ينشرون العدل بين العباد ولم يكونوا ممن يريد علوا فى الأرض ولا فسادا .

---

(١) انظر عوامل الهزيمة والنصر عبر تاريخنا الإسلامى - شوقى أبو خليل ص ٨ - ٩ .

من صفـات السلف الصالح :

ليس قصدى أن أسود وقائع تاريخهم المجيد كماتذكر كتب التاريـــخ . ذلك أمر له مجال آخر ، وله كتب يرجع إليها من أراد ذلك ، وإنما الـذى أعنى بـه هنا : الصفات التى أهلتهم أن يقودوا هذا العالم ردحـا من الزمن ، والتى كانت سببا فى تقدمهم العلمى والحضارى ، وماكـان سببا فى تقدم فتوحاتهم وغزواتهم وانتصاراتهم ، وتفوقهم على سائـر الأمم . والتى ينبغى للمسلم أن يقتدى بهم ويقفوا إثرهم ليفوز برضاء اللـه تبارك وتعالى فى الدنيا والآخرة .

لقد كان أولئك السلف (إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون) [1] .

كانت جلودهم تقشعر لدى تلاوة القرآن . قال تعالى :

(الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذيـن يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) [2] .

وكانوا أشداء على الكفار رحماء بينهم ، كثيروا العبادة لله تعالى سيماهـم فى وجوههم من أثر السجود ، قال الله تعالى حكاية لوصف أصحاب رسـول الله صلى الله عليه الذى جاء فى التوراة والإنجيل :

(محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعـا سجدا يبتغون فضلا من الله رضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجـود ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فـآزره -

---

(١) الأنفال : ٢ .

(٢) الزمر : ٢٣ .

فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) (١) .

ومن صفاتهم التى ذكرها الله تعالى فى كتابه الكريم ، أنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين . قال الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) (٢) .

من هذه النصوص نستنتج جملة من صفات المؤمنين غير موجودة الآن - فى الأمة المنتسبة إلى الإسلام .

أ - إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا واقشعرت جلودهم لدى سماع آياته .

ب - أشداء على الكفار رحماء بينهم .

جـ - كثيروا العبادة ، كثيروا الصلاة ملازمون لها ، راكعون ساجدون .

د - متكاتفون ، متعاونون ، يشد بعضهم أزر بعض ، ولا يزالون فى نماء إيمانا وقوة ، وكثرة عدد .

لقد كان أولئك السلف إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلموا القرآن والعمل جميعا ، وكان علمهم كله خالصا لوجه الله الكريم ، لا يريدون من غيره جزاء ولا شكورا .

---

(١) الفتح : ٢٩ .

(٢) المائدة : ٥٤ .

فقبل الله أعمالهم واستجاب لدعائهم ونصرهم على أعدائهم . وكان الله معهم لماكانوا معه بقلوبهم وأعمالهم .

انظر ماذا يقول خالد بن الوليد رضى الله عنه لأهل قنسرين لما تحصنوا في بلدتهم : " إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا " . (١)
هكذا كانت ثقتهم بالله عز وجل :

وقال أبو إسحاق : " كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يثبت لهم العدو فواق ناقة عند اللقاء ، فقال هرقل وهو على أنطاكية لما قدمت مهزومة الروم : ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم ، أليسوا بشرا مثلكم ؟ قالوا : بلى . قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافا في كل موطن ، قال : فمابالكم تنهزمون ؟ فقال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ، ويوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويتناصفون بينهم . ومن أجل أننا نشرب الخمر ونزني ، ونركب الحرام ، وننقض العهد ونغضب ونظلم ، ونأمر بالسخط وننهى عما يرضى الله ، ونفسد في الأرض فقال أنت صدقتني " . (٢)

ان الأولين الذين أقاموا هذا الدين لم يكتفوا بعرض دعوتهم بلسانهم فقط بل كانت دعوتهم متجسدة في حياتهم الشخصية متمثلة في كل عمل من أعمالهم ، وفي كل موقف من مواقفهم في الحياة ، مصورة الإنسان المثالي الذي ينشده الإسلام وأخلاقه السامية التي يصنعها الإسلام ، والسيرة التي

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٧ / ٥٣ .

(٢) المصدر السابق ٧ / ١٥ .

يتوخاها ، والسلوك الذى يجب أن يكون عليه فى الحياة الدنيا كل من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا ، وكل مادعوا إليه كان يتجلى فى حياتهم العملية واقعا ملموسا حيا ، وبذلك استطاعوا أن يغيروا وجه التاريخ ، واستطاعوا أن يؤثروا بالناس فى دعوتهم ، ويتأثر الناس بهم فيها . لقد كان الواحد منهم فى أن واحد تقيا زاهدا ، وبطلا مجاهدا ، وقاضيا فهما ، وفقيها مجتهدا ، وأميرا حازما ، وسياسيا محنكا ، فكان الدين والسياسة يتمثلان فى شخص واحد ، وهو شخص الخليفة أو أمير المؤمنين ، وكان الأعداء يرون ذلك بأم أعينهم ، ويدركون أن الشخص المسلم إنسان قوى من كل ناحية من نواحى الحياة ، يقوم الليل ويصوم النهار ، " هم فرسان بالنهار ورهبان بالليل ، لا يأكلون فى ذمتهم إلا بثمن ، ولا يدخلون إلا بسلام يقضون على من حاربوا حتى يأتوا عليه (١) .

يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه ، وهو يمدح صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن الذَوَائِبَ من فهرٍ وإخوتهم * * قد بينوا سنةً للناس تتبعُ

يَرْضَى بها كلُّ من كانت سريرتُه * * تقوى الإله وكل الخير يصطنع

قوم إذا حاربوا ضروا عدوَّهُمُ * * أو حاولوا النفعَ فى أشياعِهم نفعوا

إن كان فى الناس سبَّاقون بعدَهمُ * * فكلُّ سبقٍ لأدنى سبقهم تبَعُ

لا يرقعُ الناس ما أوهت أكفهمُ * * عند الدفاع ولا يوهون مارقعوا » (٢)

---

(١) المصدر السابق ٧/٥٣ .

(٢) سيرة ابن هشام ٤/١٥٥ .

وهكذا كان أولئك السلف الصالح ، ثم سارت الأمة على نهجهم وسنتهم لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه ، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها وسعة الآخرة . وكانت هذه الأمة فى مقدمة الأمم أكثر من ألف سنة ، وعاشت فترة طويلة ، وهى الأمة الأولى فى العالم كله يعمل لها ألف حساب ، ويطلب ودها ، ولا غرو فى ذلك ، لأنها كانت صادقة مع الله فى عملها ، وكان الله معها :

(وكان حقا علينا نصر المؤمنين) (١) .

(كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) (٢) .

(وإن جندنا لهم الغالبون) (٣) .

(إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) (٤) .

إعادة بناء الأمة :

يمكن أن يعود ماضى هذه الأمة ومجدها ، ويمكن أن تصير هذه الأمة كما كانت قبل ، فتمسى خير أمة أخرجت للناس ، وإن كان ذلك لا يمكن أن يأتى من تلقاء نفسه ، لأنه لم يحدث ذلك فى عصر من عصور التاريخ فى الدعوة الإسلامية ، والدليل على ذلك عصر النبى صلى الله عليه وسلم نفسه ، فإنه لما أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته فى المجتمع الجاهلى العربى

---

(١) الروم : ٤٧ .

(٢) المجادلة : ٢١ .

(٣) الصفات : ١٧٣ .

(٤) النحل : ١٢٨ .

قوبل بالرفض والاعتراض ، فصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين آمنوا به واتبعوه ، واتخذ الأسباب الموصلة لما كان يصبوا إليه فأيده الله بتأييد من عنده ، وقام بناء الأمة الإسلامية على منهج الله تبارك وتعالى .

إن إعادة بناء الأمة الإسلامية مرة أخرى بعد ماخرب الأعداء عامرها وقطع جذورها ، أمر يحتاج إلى جهود جبارة ، وإلى رجال مخلصين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، وكان عهد الله مسئولا ، إلى رجال يحاسبون أنفسهم قبل يوم الحساب ، رجال يدركون أن إعلاء كلمة الله أمانة على عاتقهم :

(إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) (١) .

وقد اختلفت عبارات السلف فى معنى الأمانة فى الآية ، ومع ذلك فإنها تدور حول التكليف ، وقبول الأوامر والنواهى بشرطها، وهو إن قام بذلك أثيب ، وإن تركها عوقب .

ولن يستقيم أمر هذه الأمة حتى تغير مابأنفسها ، وتأخذ أسباب النصر التى ذكرناها من قبل ، مع اليقين بأن الله سبحانه وتعالى هو الذى يرتب النتائج ، ولا تؤدى الأسباب إلى النتائج بصورة حتمية، وإنما ذلك متعلق بمشيئة الله تبارك وتعالى ، فتفوض الأمر إلى خالق الأسباب بعد الأخذ بها تامة ، وتعتقد أنه لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بماصلح به أولها ، ولا أعنى بذلك

---

(١) الأحزاب : ٧٢ .

شق شوارع تقوم القصور المنيعة المنمقة على أكتافها ، ولا تجميل شواطئ الأنهار والبحار وتزيين الأرائك المريحة حولها ، كلا ، ولا هو نقل المصانع والآلات ، وتشغيل ألوف العمال فيها إن ذلك - وان كان جيدا في حد ذاته - لا يعنى بنا أمة تنفع نفسها وتنفع غيرها ، إذا كان العدو قد نجح في تخدير أعصابها ، وإماتة ضمائرها واستلال اليقين من أفئدتها ، والهدف العالى من ضمائرها ذلك أن الأمم تفتقر قبل كل شئ إلى العقيدة التى توقد نشاطها والغاية التى تكدح لبلوغها والحداء الذى يهون عليها مصاعب الطريق ، والعزاء الذى يصبرها على لأواء - الحياة .

لا مرية في أن الاسلام هو دين الخالق للخلق ، فقيه أمنهم وسعادتهم ، ولا يكون الأمن ولا تأتى السعادة إلا بتطبيق أحكام الشرع والأخذ بما أمر الله والنهى عما نهى عنه وزجر ، إذ لا أمن ولا سعادة لمن أعرض عن القرآن واستخف بالسنة :

(ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) (١) .

إن الحل مازال بأيدينا ، لأن المنهج الذى استقام به الأولون مايزال نتداوله فيمابيننا ، ونتدارسه ، وهو باق على ماكان عليه عند نزوله ، ومحفوظ في الصدور والمصاحف ، وكذلك السنة المطهرة ، مازالت مدونة في بطون أمهات الكتب الصحاح .

---

(١) طه : ١٢٤ - ١٢٦ .

فالعقيدة التى حولت أوائل هذه الأمة ، والإسلام الذى غيرهم من رعاة إلى قادة وأمراء وخلفاء لهو موجود فى قلوبنا وفى كتبنا .

إن القرآن بحق هو الذى حولهم وجعلهم خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، لأنهم لما انقادوا لأحكام القرآن وتعليماته وتوجيهاته استطاعوا أن يقفوا أمام الأعداء ، ويردوا كيدهم مع قلتهم وكثرة عدوهم ، ووقفوا فى وجه المشركين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى حتى ارتدوا على أعقابهم خاسرين خائبين بعد معارك طاحنة .
إذا فالذى ينقصنا نحن اليوم هو العمل بما بين أيدينا من شرائع الإسلام وتطبيق هذا القرآن وهذه السنة فى حياتنا اليومية فى كل الجوانب منها .

وعن ابن عمر رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم" (١) . رواه أبو داود .

ومادام الأمر يتوقف على الرجوع إلى دين الله وطاعته كان من الضرورى أن يعود المسلمون إلى ربهم خاشعين له ، خاضعين متذللين ، إن كانوا حقا يريدون النصر المبين الذى لا هزيمة بعده .
لذلك قال الله تعالى :
(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (٢) .

---

(١) كتاب البيوع ٥٦ . وانظر الجامع الصغير ١/ ٢٢ . وهو حديث حسن .
(٢) الرعد : ١١ .

إن المسلم المنتصر هو المسلم الملتزم بشريعة الله سبحانه وتعالى ، والمتمسك بدينه حقا وصدقا لا المنتسب إلى الإسلام انتسابا اسميا ، وهو غير ملتزم به عقيدة ولا شريعة ومنهاجا ، فالشيطان هو المنتصر على هذا الصنف من الناس وهو لا يشعر ، وتكون نفسه الأمارة هى المنتصرة عليه أيضا .

إن المسلم الذى يجعل حياته كلها لله تعالى هو المسلم الحقيقى :

(قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) (١) .

(يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) (٢) .

وهو المسلم الذى لا يصدق عليه قوله تعالى :

(أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) (٣) .

وينبغى أن نعلم أن النصر الذى أحرزه أعداؤنا ليس نصرا مؤبدا إنما هو نصر مؤقت ، وجد فرجة فدخل منها ، فإذا ما سدت تلك الفرجة رجع على عقبيه بإذن الله تعالى .

فهو لا ريب فى أنه ينتهى متى حقق المسلمون الشروط الربانية التى جعلها الله أساسا لنيلهم تاج النصر على عدوهم ، فيفتح الله لهم مقاليد

---

(١) الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣ .
(٢) البقرة : ٢٠٨ .
(٣) البقرة : ٨٥ .

الأبواب ، ويهيئ لهم أفضل الوسائل وأشرف الأسباب ويحقق لهم وعد رسوله صلى الله عليه وسلم ، حيث قال :

" لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودى من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر يامسلم ياعبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله إلا الغرقد ، فإنه من شجر اليهود " (١) رواه أحمد ومسلم .

أيها المسلمون هذه هى صرختى إليكم مدوية فانقشوها على صفحات قلوبكم ، فاجمعوا صفوفكم ، ووحدوا كلمتكم ، وأشعلوها حربا شعواء فى سبيل نصرة الإسلام ، والله معنا ،،،،،،

---

(١) أحمد فى المسند ٢/٦٧ ، ٧٠ . ومسلم كتاب الفتن ٨٢ .

قائمـــة المراجـــع

القـــرآن الكريـــم

الســـنة النبويـــة

" أ "

١ - إتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفـــاء

تقى الدين أحمد بن على المقريـــزى

التحقيق الدكتور جمال الدين شيال

القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م .

٢ - أحســـن القصـص .

على فكـــرى

الطبعة الخامسة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م .

دار الكتب العلمية . بيروت .

٣ - الأديان فى القـــرآن .

الدكتور محمود بن الشريـــف .

الطبعة الرابعـــة ١٩٨٠م .

دار المعارف بمصـــر .

٤ - أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامـــى .

د / محمد على جريشة ·محمد شريف الزيبق .

الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م .

دار الاعتصام .

٥ - أسباب النزول .

الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى .

القاهرة ١٣٨٢ هـ .

٦ - الإستشراق والمستشرقون .

الدكتور مصطفى السباعى .

الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

المكتب الإسلامى .

٧ - إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة .

أحمد عبد الوهاب .

الطبعة الأولى ١٩٧٢م .

مكتبة وهبة .

٨ - الإسرائيليات فى التفسير والحديث .

الدكتور محمد السيد حسين الذهبى .

أكتوبر ١٩٧١م .

دار النصر للطباعة .

٩ - الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام .

الدكتور على عبد الواحد وافى .

دار نهضة مصر للطبع والنشر .

١٠ - الإسلام عقيدة وشريعة .

محمود شلتوت .

الطبعة الخامسة

دار الشروق .

١١ - الإسلام والدعوات الهدامة .

أنور الجندى .

الطبعة الأولى ١٩٧٤ م .

دار الكتاب اللبنانى . بيروت .

١٢ - إظهار الحق .

الشيخ رحمة الله الهندى .

التحقيق والتقديم والتعليق الدكتور أحمد الحجازى .

دار التراث العربى للطباعة والنشر .

ميدان المشهد الحسينى .

١٣ - أعلام النبوة .

أبى الحسن على بن محمد الماوردى .

راجعه وقدم له طه عبد الرؤف سعد ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م .

مكتبة الكليات الأزهرية .

١٤ - الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام .

الإمام يحيى بن حمزة العلوى .

حققه فيصل بديرعون ، وراجعه على سامى نشار .

منشأ المعارف بالإسكندرية .

١٥ - إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم .

شيخ الإسلام ابن تيمية .

مطبعة المجد التجارية .

١٦ - الإيمان والحياة .

الدكتور يوسف القرضاوى .

الطبعة الثالثة ١٣٩٥ هـ .

مطبعة التقدم القاهرة .

" ب "

١٧ - البداية والنهاية .

عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير .

الطبعة الثانية ١٩٧٧م .

مكتبة المعارف .

١٨ - بروتوكولات الصهيونية .

ترجمة أحمد عبد الغفور عطار .

الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م .

مكة المكرمة .

" ت "

١٩ - تاريخ الأمم والملوك .

أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى .

مطبعة إستقامة بالقاهرة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٩م .

٢٠ - تاريخ الدعوة الاسماعيلية منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر .

مصطفى غالب .

الطبعة الثانية ١٩٦٥م .

دار الأندلس - بيروت .

٢١ - تاريخ المذاهب الإسلامية .

الإمام محمد أبو زهرة .

دار الفكر العربى .

٢٢ - تفسير القرآن العظيم .

عماد الدين أبى الفداء اسماعيل بن عمرو بن كثير .

دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩م .

٢٣ - تفسير القرآن الحكيم المسمى بتفسير المنار .

محمد رشيد رضا .

الطبعة الأولى ١٣٥٣ هـ .

مطبعة المنار .

٢٤ - التفسير والمفسرون .

الدكتور محمد حسين الذهبى .

الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .

دار الكتب الحديثة . القاهرة .

٢٥ - تهذيب تاريخ ابن عساكر .

الشيخ عبد القادر ابن أحمد بن مصطفى المعروف بابن بدران .

الطبعة الأولى ١٣٥١ هـ .

مطبعة الترقى دمشق .

٢٦ - تهذيب التهذيب .

شيخ الإسلام الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن على ابن حجر العسقلانى .

الطبعة الأولى ١٣٢٦ هـ .

دار الفكر العربى .

٢٧ - التوراة تاريخها وغايتها .

ترجمة وتعليق سهيل ديب .

الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

دار النفائس - بيروت .

"ج"

٢٨ - جامع البيان عن تأويل أى القرآن المعروف بتفسير الطبرى .

الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى .

الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

٢٩ - جامع الصغير .

الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى .

الطبعة الرابعة .

دار الفكر - بيروت .

٣٠ - الجامع لأحكام القرآن المشهور بتفسير القرطبى .

الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى .

الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .

دار الكتب العربى للطباعة والنشر .

٣١ - جذور البلاء .

عبد الله التل .

الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

المكتب الإسلامى - بيروت .

٣٢ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .

شيخ الإسلام ابن تيمية .

مطابع المجد التجارية .

" ح "

٣٣ ـ حكمـة الأديان الحيـة .

جورف كاير ، وترجمة محامى حسين الكيلانى .

مكتبة الحياة ـ بيروت .

" خ "

٣٤ ـ خصائص التصور الإسلامى ومقوماتـه .

الشهيد سيد قطب .

دار الشروق .

٣٥ ـ الخطر الصهيونى .

الدكتور محمد فاضل الحجال .

دار بوسلامة للطباعـة والنشر تونس .

٣٦ ـ الخطر اليهودى بروتوكولات حكماء الصهيون .

محمد خليفـة التونسى .

مكتبة الخانجى بالقاهـرة .

" د "

٣٧ ـ دائرة المعارف الإسلامية ـ النسخة العربية .

إعداد وتحرير إبراهيم زكى خورشيد . أحمد الشنتناوى .

الدكتور عبد المجيد يونس .

الشعب .

٣٨ ـ دائرة المعارف البستانى .

المعلم بطرس البستانى .

مطبعة المعارف ـ بيروت ١٨٧٨م .

٣٩ - دائرة معارف القرن العشرين .

محمد فريد وجدى .

الشركة اللبنانية للموسوعات العالمية .

دار الفكر - بيروت .

٤٠ - الدرر المنثور فى التفسير المأثور .

جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطى .

الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت .

٤١ - الدنيا لعبة إسرائيل .

الكومندر وليم كار .

الترجمة الأمينة الكاملة .

٤٢ - الديانات والعقائد فى مختلف العصور .

أحمد عبد الغفور عطار .

الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م .

مكة المكرمة .

٤٣ - الدين والفلسفة والعلم .

السيد محمد بن أبو الفيض المتوفى .

دار الكتب الحديثة .

"ر"

٤٤ - راحـة العقـل .

الداعى أحمد حميد الدين الكرمانى .

تقديم وتحقيق مصطفى غالب .

الطبعة الأولى ١٩٦٧م .

دار الأندلس للطباعة والنشر - بيروت .

٤٥ - رجال الفكر والدعوة فى الإسلام .

أبو الحسن على الحسنى الندوى .

دار القلم ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

٤٦ - رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا .

دار صادر للطباعة والنشر - بيروت ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م .

٤٧ - روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم وسبع المثانى .

العلامة المحقق شهاب الدين الألوسى .

طبعة جديدة مصححة منقحة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

دار الفكر بيروت .

"س"

٤٨ - سنن أبى داود .

الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستانى .

٤٩ - سنن ابن ماجـه .

أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى .

٥٠ - سنن الترمــــذى .

أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى .

٥١ - السيرة النبوية المعروفه بسيرة ابن هشام .

أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافـرى .

تقديم وتعليق طه عبد الرءوف سعد .

طبعـة جديـدة .

شركة الطباعة الفنية المتحدة .

" ش "

٥٢ - شرح القاموس المسمى بتاج العروس .

الإمام محب الدين أبى الفيفى السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيـــدى .

" ص "

٥٣ - صحيح البخارى الجامع المسند المختصر من أمور رسول الله صلى اللـه عليه وسلـم وسننه وأيامـه .

أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم البخارى .

٥٤ - صحيح مسلم وهو الجامع الصحيح .

أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى .

٥٥ - صفـوة التفاسـير .

الشيخ محمد على الصابونى .

الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م .

دار القرآن الكريم - بيروت .

"ع"

عقائد الإسلامية السيد سابق دار الكتاب العربي

"ع"

عقيدة المؤمن أبو بكر جابر الجزائري مكتبة الكليات الأزهرية.

٥٦ ـ العقيدة الإسلامية وأسسها .

الشيخ عبد الرحمن حسن حبنك الميداني .

الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م .

دار القلم .

"غ"

٥٧ ـ الغارة على العالم الإسلامي .

أ . ل شاتلييه .

لخصها ونقلها إلى العربية .

محب الدين الخطيب . مساعد اليافي .

مكتبة أسامة بن زيد ـ بيروت .

٥٨ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان المعروف بتفسير النيسابوري.

الحافظ المقرئ نظام الدين الحسن بن محمد الحسين .

الخراساني النيسابوري .

الطبعة الأولى ١٣٢٤ هـ وهو على هامش تفسير ابن

جرير الطبري .

"ف"

٥٩ ـ فتح القدير في الجمع بين الرواية والدراية في التفسير .

الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني .

الطبعة الثانية ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٤م .

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٦٠ - الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم .
الإمام عبد القاهر بن الطاهر البغدادى .
الطبعة الثالثة ١٩٧٨م .
دار الآفاق الجديدة - بيروت .

٦١ - الفصل فى الملل والأهواء والنحل .
الإمام أبى محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى .
الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م .
دار الباز للنشر والتوزيع - مكة المكرمة .

٦٢ - فى ظلال القرآن .
سيد قطب .
الطبعة الثامنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .
دار الشروق . بيروت .

" ق "

٦٣ - القرامطـــة .
أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى .
بتحقيق محمد الصباغ .
الطبعة الرابعة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م .
المكتب الإسلامى - بيروت .

٦٤ - قصـة الحضـارة .
ول ديورانت .
ترجمة محمد بدران .
الطبعة الثالثة ١٩٧٣م .
دار الثقافة فى جامعة الدول العربية .

* فى العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة د/ محمود أحمد الخفاجى
ط ١ ١٣٩٩ هـ

٦٥ - قصة الديانات .

سليمان مظهر .

الهيئة العامة للكتاب .

٦٦ - قصة الفلسفة اليونانية .

أحمد أمين . زكى نجيب محمود .

الطبعة السابعة ١٩٣٥م .

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

القاهرة .

" ك "

٦٧ - الكامل فى التاريخ .

الإمام المؤرخ عز الدين على بن أبى الكريم (ابن الأثير)

١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م .

دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت .

٦٨ - الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) .

دار الكتاب المقدس . القاهرة .

" ل "

٦٩ - لسان العرب .

أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقى

المصرى .

٧٠ - لسان الميزان .

الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على (ابن حجر)
العسقلانى .
الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١م .
مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت .

" م "

٧١ - ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين .

السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى .

الطبعة العاشرة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٧م (هكذا) .

فى السنة الميلادية ولعلها ١٩٧٣م .

دار الأنصار .

٧٢ - مجمع البيان فى تفسير القرآن .

الشيخ أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى .

الطبعة الثانية ١٣٧٩ هـ .

كتاب بفروشى إسلامية . تهران .

٧٣ - مجموعة الرسائل .

الداعى أحمد حميد الدين الكرمانى .

تحقيق وتقديم مصطفى غالب .

الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر .

٧٤ - محاضرات فى النصرانية .

الإمام محمد أبو زهـــرة .

الطبعة الخامسة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م .

دار الفكر العربى .

٧٥ - مختصر تفسير ابن جرير الطبرى ، اختصار وتحقيق .

الشيخ محمد على الصابونى . الدكتور صالح أحمد رضا .

الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

دار القرآن الكريم - بيروت .

٧٦ - مختصر تفسير ابن كثير - اختصار وتحقيق .

الشيخ على الصابونى .

الطبعة السابعة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١م .

دار القرآن الكريم - بيروت .

٧٧ - مذاهب فكرية معاصرة .

الأستاذ محمد قطب .

الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

دار الشروق - بيروت .

٧٨ - مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى .

الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م .

المكتب الإسلامى للطباعة والنشر .

٧٩ - المسيحية (مقارنة الأديان) .

الدكتور أحمد شلبى .

الطبعة الثانية ١٩٦٥م .

مكتبة النهضة المصرية .

٨٠ - مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار .

الإمام يحيى بن حمزة العلوى .

تحقيق وتقديم الدكتور محمد السيد الجليند .

الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

الدار اليمنية للنشر والتوزيع .

٨١ - معالم تاريخ الإنسانية .

هـ . ج ولز . ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد .

الطبعة الثانية ١٩٦٧م .

مطبعة لجنة التأليف والترجمة . القاهرة .

٨٢ - معركتنا مع اليهود .

الشهيد سيد قطب .

الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠م .

دار الشروق جده .

٨٣ - مفاتح الغيب .

الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازى .

الطبعة الأولى .

التزام عبد الرحمن محمد بميدان الجامع الأزهر .

بمصر .

٨٤ - المفسدون فى الأرض .

س . ناجى .

الطبعة الثانية ١٩٧٣م .

العربى للإعلان والنشر والطباعة . دمشق .

٨٥ - مقدمة ابن خلدون .

عبد الرحمن بن خلدون .

مكتبة التجارية الكبرى .

٨٦ - مكايد يهودية عبر التاريخ .

الشيخ عبد الرحمن حسن حبنك الميدانى .

الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م .

دار القلم . دمشق .

٨٧ - الملل والنحل .

أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى .

تحقيق محمد سيد كيلانى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

دار المعرفة للطباعة والنشر ... بيروت .

٨٨ - الموسوعة العربية الميسرة .

بإشراف محمد شفيق غربال .

الطبعة الثانية ١٩٨٢م .

دار الشعب .

(*)
٨٩ - ميزان الاعتدال فى نقد الرجال .

الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى .

الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م .

بتحقيق محمد على البجاوى .

دار أحياء الكتب العربية .

" ن "

٩٠ - النشرات الإسلامية بيان مذهب الباطنية وبطلانه منقول من كتاب

قواعد عقائد آل محمد .

محمد بن الحسن الديلمى .

مطبعة الدولة ١٩٣٨ م .

استنبول (إسلام بول) .

٩١ - النفاق والمنافقون فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
إبراهيم على سالم .

الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
الشعب .

(*) موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادى للتاريخ أحمد العوايشة الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م (دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع

" هـ "

٩٢ - هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى .

الإمام ابن القيم الجوزية .

مؤسسة مكة للطباعة والإعلام .

٩٣ - الهزيمة والنصر عبر تاريخنا الاسلامى (*) .

شوقى أبو خليل .

الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

دار الفكر .

٩٤ - همجية التعاليم الصهيونية .

بولس يوحنا مسعد .

تقديم محمد خليفة التونسى .

الطبعة الأولى ١٩٦٩م .

دار الكتاب العربى - بيروت .

٩٥ - يسوع المسيح شخصه تعاليمه .

بولس إلياس اليسوعى .

الطبعة الثانية ١٩٦٦م .

مطبعة الكاثولكية - بيروت .

٩٦ - اليهود بين الدين والتاريخ .

صابر عبد الرحمن طعيمة .

الطبعة الأولى ١٩٧٣م .

شركة الطباعة الفنية المتحدة .

(*) هذا الكتاب هو (عوامل الهزيمة) تابع حرف (ع) .

٩٧ - اليهود فى القرآن الكريم .

عفيف عبد الفتاح طبارة .

الطبعة الثانية ١٩٨٠ م .

دار العلم للملايين . بيروت .

٩٨ - اليهودية (مقارنة الأديان) .

د / أحمد شلبى .

الطبعة الثانية ١٩٧٣م .

المجلات الاسلامية :

١ - الدعوة : إسلامية أسبوعية جامعة تصدر عن :

مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية . السعودية .

٢ - المجتمع : إسلامية أسبوعية تصدر عن :

جمعية الإصلاح الإجتماعى - الكويت .

٣ - محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

الموسم الثقافى للعام الدراسى ٩٨ - ١٣٩٩ هـ .

* * * *

فهـرس الموضـوعات

تابع فهرس الموضوعات

تابع فهرس الموضوعات

الباب الثالث

تابع فهرس الموضوعات

تابع : فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الباب الرابع

تابع فهرس الموضوعات